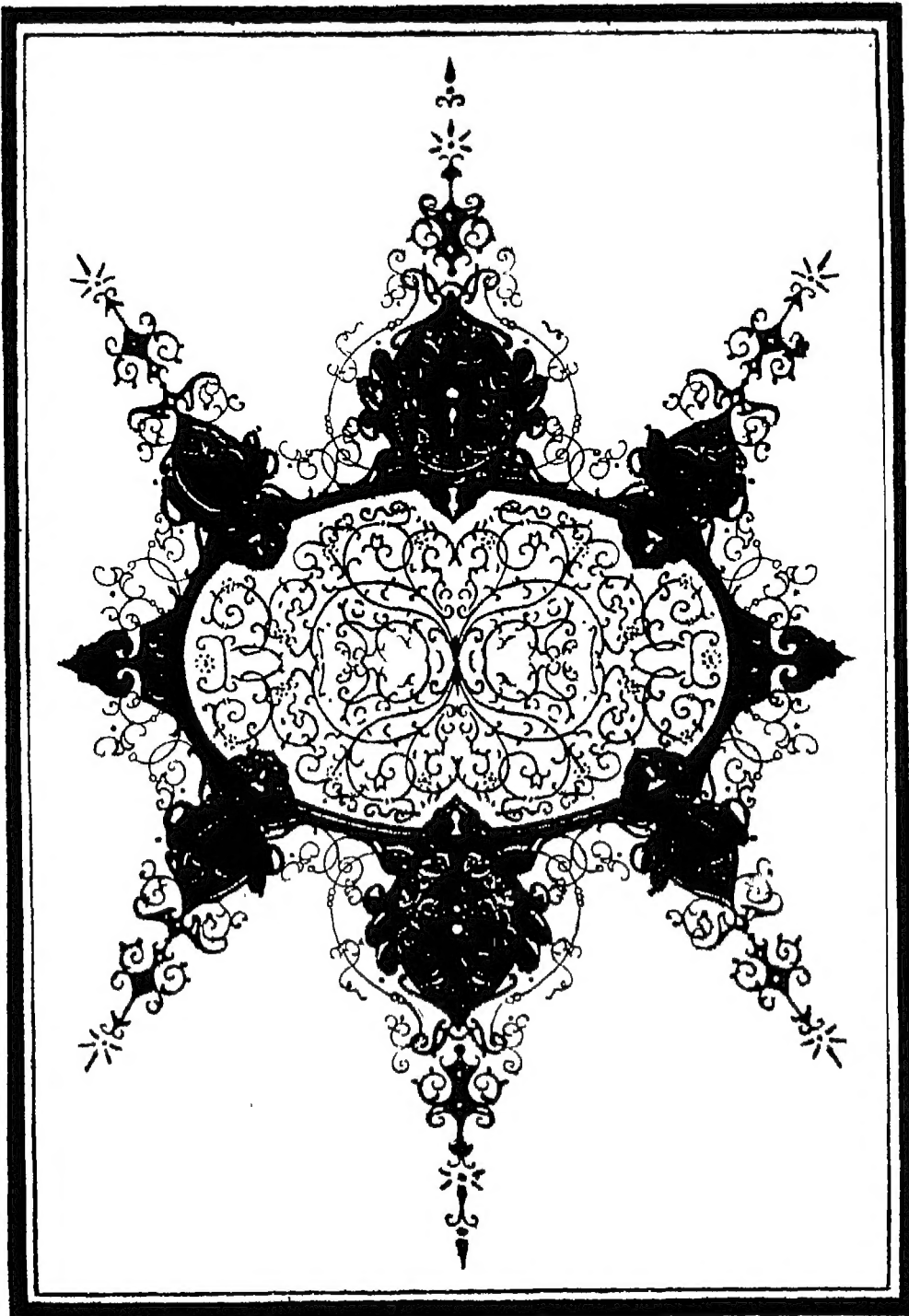


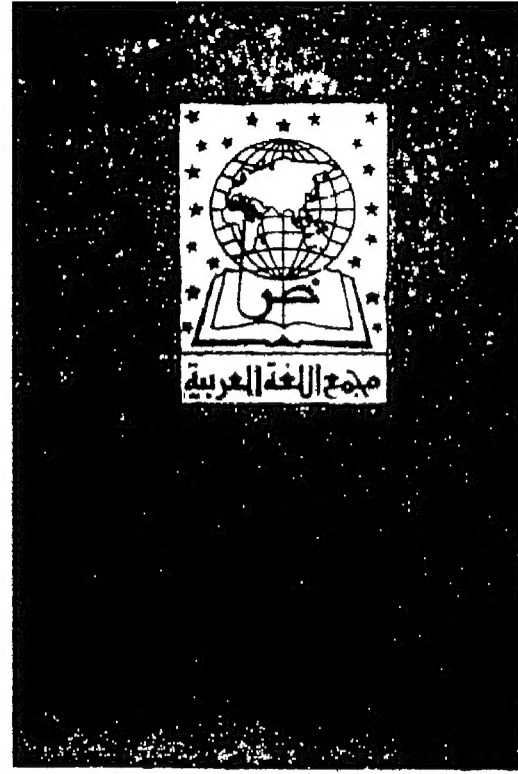
مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء التاسع والعشرون

صفر ١٣٩٢

مارس ١٩٧٢



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد - الجيزة

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقي ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء التاسع والعشرون

(صفر ١٣٩٢ هـ = مارس ١٩٧٢ م)

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

أمين التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير :

- مسطرة اللغوى
للدكتور ابراهيم انيس

بحوث ومقالات :

- ابن العوام
للدكتور عبد الحليم منتصر
ص ٥٠
- بين القافية فى الشعر العربى والقافية
فى الشعر الانجليزى
للدكتور ابراهيم انيس
ص ٧
- لفة العلم فى الاسلام
للدكتور ابراهيم مذكور
ص ١٤
- تخريج نصوص ارسططالية فى كتاب
الحيوان المجاخذ
للدكتور طه الحاجرى
ص ٧٤
- الطير الابابيل فى واقعة الفيل
للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج
ص ١٨
- سجع القرآن فريد
للدكتور احمد الحوفى
ص ٩١
- وديان وأودية
للدكتور ناصر الدين الاسد
ص ٢٩
- كتابة الاعلام الافريقية والرومانية بحروف
عربية
للدكتور محمد محمود السلامنى
ص ٩٧
- هجاء الزوجات
للأستاذ على الجندى
ص ٤٠



تعريف ونقد :

- الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية
للاستاذ نيقولا دوبريشان
ص ١٤٧
- كتاب « محاضرات في علم اللغة العام »
لفرديناند دي سوسير
للدكتور كمال بشر
ص ٢٣٠

شخصيات مجمعية :

- دراسة في حركية عين الكلمة الثلاثية
للدكتور أحمد علم الدين الجندى
ص ١٧٣
- امثال عامية بين القرنين التاسع والرابع عشر الهجريين
للاستاذ محمد قنديل البقلى
ص ١٩٩
- استقبال الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة
كلمة الأستاذ زكى المهندس
ص ٢٥٢

من التراث اللغوى :

- كلمة الدكتور إبراهيم مدكتور
ص ٢٥٣
- كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة
ص ٢٦١
- لامية منظور بن مرثد الأسدى
جمعها وحققها وعلق عليها
للدكتور رمضان عبد التواب
ص ٢٠٨

● تأبين المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري	● تأبين المرحوم الدكتور فدرى حافظ طوفان
كلمة الأستاذ زكى المهندس	كلمة الأستاذ زكى المهندس
٢٦٩	ص ٢٨٧
كلمة الدكتور محمد مصطفى القللى	كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر
٢٧٠	ص ٢٨٨
قصيدة الأستاذ عزيز إباطة	● تأبين السير هاملتون أ. ر. جيب
ص ٢٨٢	كلمة الدكتور مهدى علام
	ص ٢٩٦
كلمة الأسرة	<u>من أنباء المجمع :</u>
للأستاذ حنفى الفزارى	
ص ٢٨٥	ص ٣٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير

مسطرة اللغوى

للدكتور إبراهيم أنيس

من المهندس وطالب الهندسة مسطرة حاسبة تيسر العمليات الحسابية المعقدة في دقة وأمن من الزلل ، فتغنى عن الحساب بوساطة القلم والقرطاس ، وتوفر زمنا وجهدا ذهنيا ، وتحقق نتائج سريعة دقيقة في البحوث الهندسية ، وهي تستخدم لدى المهندسين منذ عشرات من السنين .

ثم أصبحنا وإذا باللغوى الحديث وقد تهيأت له منذ شهور أداة تشبه مسطرة المهندس ، هي التي ندعوها هنا مسطرة اللغوى ، وتتمثل في تلك الجداول الإحصائية التي نُشرت ووزعت على أعضاء المجامع اللغوية وأساتذة اللغات والرياضة في العالم العربى ، وبها اكتملت مسطرة اللغوى التي ظلت زمنا طويلا حُلماً لنا نحن اللغويين وأملنا نتطلع إليه ونتمنى لو ظفرنا به حتى نتحقق على يدي أستاذ الفيزياء الدكتور على حلمى موسى بعد أن استخدم ذلك الجهاز العجيب المسمى بالكومبيوتر أو العقل الإلكتروني !!

والجداول الإحصائية التي بين أيدينا الآن مؤسسة على معجم من أشهر وأصح المعاجم العربية القديمة ، هو معجم صحاح اللغة للجوهري المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري .

ويتساءل الدارسون منذ ظهرت تلك الإحصاءات كيف نستفيد منها في البحث اللغوي ، وهل تفسر لنا بعض تلك الظواهر اللغوية التي كنا ندهش لها ، ونعجب من أمرها ، ثم لا نكاد نجد لها تفسيراً علمياً معقولاً مقبولاً ؟ !

وقد أشرت من قبل إلى هذا التساؤل في صدر هذه المجلة ، وتنبأت بأن ذلك التفسير العلمي المنشود سيتم بإذن الله ، ودعوت اللغويين المحدثين إلى أن يقولوا كلمتهم بعد أن قال أهل العلوم كلمتهم ! !

وهأنذا أفتح هنا البحث اللغوي على أساس تلك الإحصاءات ، وقد كان لي حظ الاستشارة فيها والإشراف عليها ، فأصدر هذا الجزء من مجلتنا ببحث قصير أحاول فيه على ضوء هذه الإحصاءات تفسير ظاهرة من ظواهر لغتنا العربية عرفها علماءنا القدماء باسم « القلب المكاني » ! !

قنع اللغويون من العرب بالإشارة السريعة إلى هذه الظاهرة ودون محاولة لتعليلها أو تفسيرها متمررين أنها من سنن العرب ، ثم يسوقون لها مجموعة من الأمثلة لعل من أشهرها : جذب ، جبد . يئس ، آيس ، لأك ، ألك . اضمحل ، امضحل . عجوز شهيرة ، شهيرة . اكفر ، اكرف .

ولست أعرف منهم من عرض لها بشيء من التفصيل سوى ابن جني في كتابه الخصائص ، فقد قسم أمثاتها قسمين : أحدهما يكون فيه كل من الصورتين أصلاً مستقلاً بذاته ، فليست إحدى الصورتين أصلاً والأخرى فرعاً لها . ومثل لهذا القسم بالكلمة (جذب ، جبد) . ومقياس الأصالة في هاتين الصورتين ، في رأيه ، كثرة التصريف مع كل منهما إذ يقال : جذب يجذب جذبا فهو جاذب . . . الخ . كما يقال جبد يجبد جبدا فهو جابذ ! !

أما القسم الآخر فيمثل له ابن جنى بكلمة (اضمحَل ، امضحل) ويعتد الصورة الأولى أصلا ، وأن امضحل فرع لها . وذلك لأن اضمحل هي التي تتصرف فيكون منها المصدر اضمحلال ، في حين أن امضحل لم يرد منها امضحلال ! !

ويرى اللغوي الحديث في كل أمثلة القلب المكاني أن إحدى صورتين أصل ، وأن الأخرى فرع لها ، غير أنه قد تصادف أن بعض الفروع اشتهرت وشاع استعمالها فتصرفت أيضا كالأصول وجاءت منها مشتقاتها ، في حين أن البعض الآخر من الفروع لم تنح له تلك الشهرة أو الشيوع فلم تتصرف كأصولها .

وظاهرة القلب المكاني ليست مقصورة على اللغة العربية ، فقد عرفت في بعض اللغات الأجنبية ، وأشار إليها بعض اللغويين الأجانب ، وفسروها في لغاتهم . فيسميها « جيسبرسن » في بعض ما كتب Transpositon أو Mnetathesis⁽¹⁾

ويعزوها إلى الجيل الناشئ وتعثره في النطق بالصورة الأصلية ثم ذبوع الصورة الجديدة . ويرى أنه مع الكلمة الكبيرة البنية يشق عادة على الطفل النطق بمجموع ما فيها من أصوات مرتبة نفس الترتيب . ويعبر عن ذلك بقوله : « ليس الأمر مرجعه إلى طول الكلمة وحده ، أي صعوبة إصدار سلسلة كبيرة من الأصوات ، لأن الطفل في مرحلة المناغاة يستطيع النطق بسلسلة أطول من الأصوات ، وذلك حين يكون نطقه غير متعمد أو مقصود . ولكن السر الحقيقي في هذه الظاهرة هو أن الطفل يصعب على ذاكرته الضعيفة تذكر سلاسل الأصوات مرتبة كما يسمعها من الكبار حوله ، فلا يقدر على تذكر ترتيبها ليتحقق له النطق الصحيح . وكذلك الشأن مع بعض الكبار في بعض الأحيان ممن يكون نصيبهم من التعليم والثقافة ضئيلا . فحين يُطلب من أحدهم ترديد كلمة طويلة البنية من لغة أجنبية عنه كالسنسكريتية مثلا يشق عليه تذكر الترتيب الصحيح بين أصواتها ، فيحدث في نطقه ما يسمى بالقلب المكاني » . ويسوق لنا جيسبرسن أمثلة لاحظها مع بعض أطفال الإنجليز حين قالوا : Efelent بدلا من Elefant ، وقالوا : Serreval بدلا من Several ؛ وقالوا : Waps بدلا من Wasp ؛ وقالوا : Pillarcat بدلا من Caterpillar ! !

Language its nature, development & origin. P. 108. & 281.

(١)

على أننا مع التسليم بفكرة ضعف الذاكرة لدى الأطفال وأشباههم ، نتساءل لماذا يقع القلب المكاني ، مع ذلك ، في بعض الكلمات القصيرة البنية ، ثم فوق هذا ، لماذا يتخذ القلب المكاني صورة معينة في تغيير ترتيب الحروف ؟ ! ولذلك لا نتصور أن يكون لضعف الذاكرة دور حقيقي في ظاهرة القلب المكاني إلا مع الألفاظ الأجنبية الطويلة البنية .

وقد تبين لنا في دراسة حديثة أن السر الحقيقي في معظم أمثلة القلب المكاني يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في كلمات اللغات .

وربما يكون ذلك أوضح في اللغات السامية ومنها اللغة العربية ، لأنها تعتمد في كلماتها على الجذور الأصلية . وعليه فمعظم الصور المروية للقلب المكاني في الكلمات العربية تعزى أولاً وقبل كل شيء إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في اللغة العربية .

وليس بين اللغويين العرب أو المستشرقين من فطن لذلك ، بل لم نطقن له نحن قبل ظهور الإحصاءات التي بين أيدينا .

وحديث ذلك ، دون الدخول في مناهات علم النفس عن الذاكرة أو الحافظة ، أن نقول : إن المرء يكتسب في سني حياته محصولاً لغوياً ضخماً يختزنه مرتباً في مخه ترتيباً خاصاً يعين على تذكره وتداعي بعضه مع بعض ، فكأن الله سبحانه قد أمده المخ في كل منا بجهاز كومبيوتر عجيب لا يكاد العلم الحديث يعرف عنه شيئاً . ويكفل لنا هذا الاستعداد الفطري اختزان المحصول اللغوي مرتباً في نظام صوتي خاص ييسر علينا تذكر ما نحتاج منه في كلامنا ، كما ترتبط عناصره ببعضها ببعض ، وتتداعي بعضها مع بعض كلما خطرت في الشعور أو جرت في الاستعمال . ولا نشك في أن ذلك المحصول اللغوي لدى كل منا يتألف من سلاسل صوتية أغلبها ثلاثي الأصول أو الجذور ، وأن هذه السلاسل الصوتية تختلف في نسبة شيوعها

في الكلام العربي ؛ فمنها الكثير الشيوخ ، ومنها المتوسط الشيوخ ، ومنها النادر الشيوخ .

فإذا شطرت في الذهن إحدى تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوخ فقد تستدعي إلى الشعور سلسلة أخرى تشبهها في معظم معالمها . ونلاحظ أن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا من الناحية الإحصائية هي أكثر السلاسل خطورا في الاذهان ، وأسرع في الاستجابة حين الحاجة . فإذا سمع السامع أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوخ تداعت لها مسرعة سلسلة أخرى أشبه بها أو أقرب إليها ، وهي في نفس الوقت أكثر منها شيوعا وترددا في كلام الناس ، فكأنما كانت تطفو على سطح الشعور ، ولذلك تبادر قبل غيرها في الاستجابة إلى المتكلم أو السامع .

فحلول سلسلة صوتية محل أخرى ، وهذا هو القلب المكاني ، سره الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعا ودورانا في الكلام من الأخرى .

هذا هو الذي يفسر لنا ظاهرة القلب المكاني في معظم أمثلة العربية بوجه عام . فما يسمى أحيانا بتعثر اللسان أو زلة اللسان ليس مرضا عضويا في كثير من حالاته ؛ ولعل التعبير بقولنا : « سبق اللسان » يكون أقرب إلى ما نحاول هنا بيانه ؛ فسبق اللسان ليس إلا صدى لسبق التذكر الذي مرجعه أن بعض السلاسل الصوتية في حافظتنا أسرع استجابة للخاطر من غيرها .

فإذا نظرنا في ضوء ما تقدم ، لمجرد زيادة التوضيح ، إلى مثل من الأمثلة المروية في كتب اللغة للقلب المكاني تجلت لنا هذه الحقيقة .

خذ مثلا الفعل « يرس » مع مقلوبه « أيس » نجد أن التفسير العلمي لهذا القلب هو أننا نجد في الإحصاءات التي بين أيدينا ، والتي استخدم في استخراجها جهاز الكمبيوتر ، وهي الإحصاءات التي ندعوها هنا مسطرة اللغوي ، نجد أن الجذر

الثلاثى الذى يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعا من الذى يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرة واحدة فقط يرد الثانى عشر مرات .

وكذلك نجد أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعا من الذى ينتهى بالياء وبعدها السين ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرتين فقط يرد الآخر ثمانى مرات . وأخيرا نجد أن المادة الثلاثية التى تبدأ بالياء وتنتهى بالسين أقل شيوعا من تلك التى تبدأ بالهمزة وتنتهى بالسين ، فبينما ترد الأولى فى إحصاءاتنا سبع مرات ترد الأخرى خمس عشرة مرة .

وهكذا نرى أن الذى سوغ القلب المكافى فى الفعل « يئس » ليصبح « أيس » هو أن نسبة شيوع السلسلة الصوتية « أيس » فى الكلام العربى أكثر كثيرا من نسبة شيوع السلسلة الأخرى .

وبالله التوفيق ما

مارس ١٩٧٢ م

ابراهيم انيس
المشرف على المجلة

بحوث ومقالات



لغة العلم في الإسلام

للدكتور إبراهيم مسدكور

ثم لا تلبث أن تقوى وتستقر ، وحياتها في أن تستعمل وتبادل . وتاريخ علم إلى حد ما هو تاريخ مصطلحاته ، لأنها جزء من منهجه ، وتعبير دقيق عما يشتمل عليه من آراء ونظريات . ويوم أن يصطلح العلماء على دوال معينة تضيق مسافة الخلف بينهم ، وقديما قال لبينتز : « إن معظم الخلافات العلمية يرجع إلى اختلاف معاني الألفاظ ودلالاتها » . والعالم ، وهو الباحث عن الفكرة ، من حقه أن يضع لها اللفظ الذي يؤديها ، وقد درج العلماء على هذا باطراد ، فلم يكشفوا الحقائق وحدها ، بل قدموا لها ما استطاعوا من وسائل التعبير . وهم في خلاف أحيانا مع اللغويين الذين ينكرون عليهم هذا الحق المطلق ، ويقيدونه ببعض القيود ، وربما اقترحوا لهم ألفاظا أخرى غير تلك التي ارتضوها ، ولكن العلماء دائما هم أصحاب الحق الأول

لغة يؤدي بها ، ولا حياة له بدونها ، يلتقى عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب . وعلى أساسها يقوم الشرح والدرس ، ويعتمد التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ، ولا سبيل لأن توجد في أمة جاهلة ، ولا لأن تحيا في بيئة لا تغذيها ولا تنميها . وعصور الازدهار العلمي في التاريخ قديمه وحديثه هي عصور مجد الأمم ونهوضها ، فالعلم اليوناني وليد نهضة أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، والعلم الإسلامي ثمرة من ثمار الصدر العباسي الأول ، ولا تزال الثقافة الفرنسية المعاصرة تحمل في ثناياها جهود القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولغة العلم صنيع أهله يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه ثمت وتحددت ، تبدأ هزيلة مترددة ،

في تخير اللفظ الملائم للمعنى الذي قصدوا إليه ، وبقدر تمكنهم من لغتهم يكون اختيارهم أدق وأحكم . وقد لا يجد الباحث الأول اللفظ الدقيق ، فيتدارك تلاميذه مافات . وهكذا يسير العلماء ، الواحد منهم تلو الآخر ، في ضبط المعاني وتحديد الألفاظ المعبّرة عنها ، وتطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر اهو تطور لآرائه ونظرياته .

* * *

على هذا النحو تكوّنت لغة العلم في الإسلام ، فلم تنشأ دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت على مر الزمن . بذرت بذورها في القرن الأول الهجري ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها في القرن الثاني مصطلحات في علوم اللغة والتاريخ ، في الأخلاق والسياسة ، في الطب والكيمياء ، في الفلك والهندسة . واستكملت العلوم العربية في القرن الثالث لغتها ، وتوقّرت لها أسباب الحياة . وما إن حل القرن الرابع الهجري ، وهو العصر الذهبي في تاريخ الثقافة الإسلامية ، حتى استقر المصطلح العلمي ، وتنوَسى معناه

الأول ، وأصبح حقيقة عرفية لا يفهم منها إلا مدلولها الجديد . وتداوله الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم يختلف من قطر إلى قطر . فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان ، في الفسطاط ودمشق ، في بغداد وأصفهان . وبدئ بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم مفردات أو تعريفات . ويمكن أن نذكر منها « كتاب الحروف » للفارابي ، « ومفاتيح العلوم للخوارزمي » اللذين ظهرا في القرن الرابع ، و « كتاب التعريفات » للجرجاني في القرن الثامن ، و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية مانقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة .

واستعان علماء الإسلام على تكوين لغتهم بوسيلتين هامتين ، وهما النقل والوضع ، والنقل طريق سهل مألوف في اللغات على اختلافها . ينقل اللفظ من مدلوله الأصلي إلى مدلول آخر جديد ، لا يلبث أن يستقر ويصبح حقيقة عرفية . وقد عول عليه مفكرو الإسلام الأول

كالعربية لا يعز عليها أن تؤدي المعاني في صورها المختلفة ، وليست في هذا أقل مرونة من بعض اللغات اللاتينية التي تعتمد على نظام السوابق (Tréfines) واللاحق (Suffines) .

على أن علماء العرب لم يقفوا عند النقل والوضع ، بل أخذوا بالتعريب كلما دعت إليه حاجة ، فعربوا عن الفارسية والهندية ، كما عربوا عن اليونانية والسريانية . وربما آثروا العرب على العربي الأصل إذا كان أدل على المعنى ، فأحلوا كلمة « جوهري » الفارسية الأصل محل كلمة « عين » العربية للدلالة على لفظ « أوسيا » اليونانية . ويطول بنا الحديث لوتبعنا هذه المعربات جميعها ، وفي « مفاتيح العلوم » للخوارزمي قدر منها . ويكفي أن نشير إلى أن الألفاظ الفارسية كثيرة الورد في مستحدثات الحضارة والنظم والإدارة ، وأن اليونانية والسريانية ملحوظة في العلوم والفلسفة . وفي هذا ما يدل على المصادر التي أخذ عنها العرب بوجه عام ، ويحمل المعنى معه عادة اللفظ الدال عليه . فمن الفارسية مثلاً « الرزنامة » وهي

فيما وضّعه من مصطلحات ، ويلحظ بوضوح في مصطلحات الفقه والتشريع كالصلاة والصوم والزكاة ، وفي علوم النحو واللغة كالتمييز والاستثناء ، والجامد والمشتق . وكثيراً ما درج المؤلفون على شرح المصطلح في جانبه اللغوي والعلمي . وعن طريق النقل قد يؤدي اللفظ عدة معان باختلاف الموضوعات ، فالرجعة مثلاً عند الفقهاء الرجوع في الطلاق ، وعند الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند المنجمين سير الكواكب المتحيرة على غير النظام المألوف .

وليس الوضع أقل شأنًا من النقل في تكوين المصطلح العلمي ، فيبتكر لفظ جديد لأداء معنى خاص عن طريق النحت أو التركيب أو الاختزال . والاشتقاق أيسر السبل لوضع المصطلحات لأنه يخضع لقواعد محددة ويؤدي معاني متعددة ، فمنه تؤخذ صيغة الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم الآلة والزمان والمكان ، وقد أفسح المصدر الصناعي المجال للدلالة على أسماء طوائف ومذاهب مختلفة كالتقديرية والجبرية واللا أدرية . وإن لغة اشتقاقية

لأن ندرس الآن نشأة هذه المصطلحات وتطورها ، وما أجدرنا أن نفعل ، ففيها تراث الماضي وذخيرة الحاضر ، وعون على تكوين لغة العلم المعاصر . وعسانا نوفق لعرض نماذج من ذلك في فرصة تالية . وقد سبق لمجمع اللغة العربية أن وجه في سنيه الاولى الباحثين لمجمع المصطلحات العلمية القديمة من أمهات الكتب التي نشرت أو التي تعد للنشر ، ولا يأخذ المحققون أنفسهم بذلك في اطراد ، مع أنه جزء هام من أجزاء المنهج العلمى للنشر الدقيق . وينبغى أن يختم كل نص قديم يخرج للقراء بفهرس يشتمل على ماورد فيه من مصطلحات ، نحى بها الماضى ونعين أبناء الحاضر على الدرس والبحث

ابراهيم مذكور
الامين العام للمجمع

مشك حساب الخراج ، « والدفتى »
« والفهرست » وهما من مستلزمات الديوان ، و« البريد » ، وهو فى الأصل دابة تحمل الرسائل ، أصبح نظاما متعدد الأشكال ، و« الدستور » ، وهو كلمة تنوسى اليوم تماما أصلها الفارسى . ومن اليونانية على سبيل المثال أيضاً « الناموس » « والسفسطة » فى الفلسفة ، « والارتماطيقى » « والألأطربلاب » فى الرياضيات ، « والقولون » وهو المعى الغليظ « والترىاق » وهو دواء السم فى الطب ، ومن السريانية الكيان وهو الطبيعة فى الفلسفة ، والبُحران وهوداء معروف فى الطب .

* * *

والعلوم الإسلامية متعددة ومتنوعة ، بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية ، ولكل علم لغته ومصطلحاته . ولا سبيل



الطير الأبابيل

في واقعة الفيل

وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

صاحبه ، فلما ينبغى التعويل على القول ذاته وصحته وجودته ، لا على القائل ومكانته أو شهرته .

وإن من تلك الآراء الخاصة ، التي انفرد بها الأستاذ الإمام - عليه سحائب الرحمة - قوله في الطير الأبابيل^(١) التي أرسلها الله - سبحانه وتعالى - على جيش الأحباش في حادثة الفيل - إنها جماعات البعوض والذباب ، التي كانت تحمل جراثيم مرض الحصبة أو مرض الجدري ، ولأنها ليست على ما يرويه المؤرخون والمفسرون من أنها أنواع من الطيور تشبه الخطاطيف ، وأن كل واحد منها كان يحمل ثلاثة أحجار على ما سنبينه فيما يلي بشيء من التفصيل .

المغفور له الشيخ « محمد عبده » تفسير الجزء الثلاثين من القرآن الكريم .

وله فيما كتب على بعض سور هذا الجزء آراء خاصة ، انفرد بها ، لم يقل بها - فيما نعلم - أحد ممن سبقه من أئمة التفسير القدامى ، ولا من جاء بعدهم .

وليس على الباحث عيب ، ولا عليه تبعة إذا هو خرج من بحثه برأى لم يسبقه إليه أحد ، ما دام يعتمد في هذا الرأى على حجة واضحة ، وما دامت تويده فيه اللغة الصحيحة .

أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإن المطالع المتبصر لا يسوغ له أن يأخذ بذلك الرأى أو يعتمد عليه مهما كان شأن

(١) الأبابيل جمع أبيل أو أبول أو إبالة : القطعة من الطير والخيل والإبل . والإبالة أيضاً الخزمة من الحشيش أو الحطب ، استعملت في جماعة الطير المتضامة التي فيها كثرة . وقيل إن الأبابيل جمع لا واحد له .

يرى الأستاذ الإمام رأيه الخاص في ذلك ويقول إنه الوجه الذي يصح اعتقاده والاعتداد به في تفسير قوله تعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » .

وسنعرف قيمة هذا الرأي بعد عرضه ، بالتفصيل ومقابلته برأى العلماء الآخرين .

قد ورد في قصة الفيل - برواية الثقات - أن « أبرهة الأشرم » بن الصباح الحبشي - ملك اليمن من قبل « أصحمة النجاشي » ملك الحبشة - أنشأ كنيسة بصنعاء ، أحكم تشييدها ، وأبدع زخرفتها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر الثمينة ؛ وقد أراد بإنشائها أمرين :

(الأول) المبالغة في إرضاء النجاشي وإزالة ما قد يكون باقياً في نفسه من الغضب عليه لما كان منه من قتل « إرياط » قائد الجيش الحبشي إلى اليمن واستبداده بملك اليمن من بعده .

(الثاني) أنه - انتصاراً للمسيحية - أراد أن يحول إلى تلك الكنيسة جموع العرب الذين كانوا يقصدون إلى مكة في موسم الحج ، وكتب بذلك إلى النجاشي .

وقد أثار هذا الأمر الثاني حفيظة العرب ، فخرج رجل من كنانة إلى تلك الكنيسة ليلاً متخفياً وقعد فيها أي أحدث ، ثم لطم محرابها بما أحدث . وقيل أيضاً : إن جماعة من العرب أوقدوا نارا في موضع كان قريباً من الكنيسة ، فتنطابروا إليها الشرر فأحرقوها . وقد يكون الأمران جميعاً .

أغضب ذلك « أبرهة » غضباً شديداً فأقسم ليهدم الكنيسة ، قبله أولئك العرب ومتعبدتهم ، وأرسل إلى النجاشي يبلغه ذلك ، ويسأله أن يرسل إليه الفيل الأعظم المعروف عندهم ، ويقال إن اسمه « محمود » .

ثم تجهز بستين ألفاً من الأحباش ، وقدم الفيل الذي أعده ليهدم به الكنيسة وسار بالجيش ، فخرج له في بعض الطريق ، ملك من ملوك اليمن ، يقال له « ذو نَفر » ، فقاتله ، ولكن أبرهة هزمه وأسره بعد ما فتك بأصحابه ، وقد هم بقتله ، فرجاه ألا يفعل ، فربما كان بقاؤه خيراً وأنفع من قتله ، فعدل عن قتله ، واكتفى بأن أوثقه وأخذ معه أسيراً .

(١) يقول المؤرخون : إن « أصحمة » هذا هو جيد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن بعثته عليه الصلاة والسلام .

« بالفاء » للغارة على مكة ، فمضى واستاق
إبلًا لقريش فيها مائتا بغير لعبد المطلب
وحده ، ولم تستطع قريش أن تصد هذه
الغارة أو تعرض لها .

ثم أرسل « أبرهة » مرة أخرى - وهو
بالمغمس - « حناطة الحميري » رسولا
إلى سيد مكة وشريفها يبلغه أن الملك لم
يأت لحرب ، وإنما جاء لهدم البيت ،
فإن لم يقاوم أهل مكة ولم يحولوا بينه
وبين مقصده فسوف لا تكون حرب .
وسينتهى الأمر بسلام ، فإنه ليس به
حاجة إلى دماهم .

وكان فيما أمر به ذلك الرسول أن
يستصحب إليه سيد مكة إذا عرف منه
أنه لا ينوى حربا ولا مقاومة . فدخل
« حناطة » مكة وسأل عن يكون سيد
القوم ، فدلوه على « عبد المطلب بن هاشم »
فبلغه الرسالة وذهب معه إلى « أبرهة » ،
فاستقبله وأجله ، ونزل عن سريره ، وأجلسه
بجواره على البساط لما قيل له إنه سيد مكة
وشريفها . غير أنه عاب عليه أنه لم يهتم لذلك
الأمر العظيم الذي قدم له أبرهة ، وأنه لم
يطلب - لما سأل عن حاجته - إلا أن يرد إليه
إبله ، ولم يبال بما اعتزم أبرهة أن يفعله بالبيت

ثم سار حتى بلغ أرض « خثعم » ،
فخرج له « نفيل » بن حبيب الخثعمي
بقبيلته ومن انضم إليهم من العرب ،
فقاتلوه ، ولكنه قهرهم أيضا ، ووقع
في يده « نفيل » أسيرا ، ولما أراد قتله
قال له لا تقتلني ، وأكون لك دليلا بأرض
العرب ، حتى تباع ما تريد . فعدل عن قتله ،
واتخذ دليلا ، وسار حتى بلغ « الطائف »
فخرجت له « ثقيف » برئيسها « مسعود
ابن معتب الثقفي » ، يستقبلونه ويعيونه
ويظهرون له الطاعة والخضوع ، ويقولون
له إن بيت « اللات » معبودتهم ليس
هو البيت الذي يريده ، وإنما ذلك في مكة ،
وقدموا له رجلا منهم ، يقال له : « أبو رغال »
ليكون دليلا إلى ذلك البيت ، فانصرف
عنهم ، وسار معه هذا الدليل حتى بلغ
موضعاً يقال له « المغمس » بضم الميم
الأولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم
الثانية مفتوحة أو مكسورة . وهو في طريق
« الطائف » على بعد ثلثي فرسخ من مكة ؛
فمات هناك « أبو رغال » ، ودفن ،
ثم صار قبره بعد ذلك يرحم بالأحجار .
ومن المغمس بعث « أبرهة » قطعة
من الخيل بإمرة « الأسود بن مفضود »

الذى هو متعبد انقوم ومحل عزهم
وشرفهم ؛ فقال له « عبد المطلب » :
إني أنا رب الإبل ، وأما البيت فله رب
يحميه .

ورجع عبد المطلب بالإبل فأهداها
جميعها - فيما يروى - للحرم .

ثم أعد أبرهة الخيل والجند والفيل
لدخول مكة ، فلم يستطيعوا سوق الفيل
نحوها ، وكان كلما وجهوه إليها سقط
إلى الأرض ؛ فلإذا وجهوه إلى جهة أخرى
أى جهة هروا .

ثم نزلت بهم الكارثة العظمى التى حدثت
عنها القرآن : أرسل الله عليهم أنواعاً
من الطير ، لم يكن لأهل مكة عهد بها من
قبل : فى أشكالها وألوانها وكثرتها وشدة
هجومها ؛ وكانت ترد جماعات جماعات ،
تحلق فوق الجيش وترميهم بحجارة من
سجيل ، كما قال القرآن ؛ فقتضت عليه ،
ولم يبق منه إلا عدد قليل يحمل العبرة ،
ويكون شاهداً بالهول الذى حدث ، وبِعَظَمِ
المعجزة التى أرادها الله إرهاباً وتمهيداً
لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظاً
للبيت الذى هو كعبة الإسلام .

وفيمما يروى أن أبرهة قد أصابه الله
بمرض الجدري الذى تساقطت منه
أطرافه ، وانشق به صدره عن قلبه وكان
به فى آخر الأمر حنفاً ، أما وزيره الذى
يدعى « أبا يكسوم » فقد فر راجعاً إلى
« أصحمة » وطائر يتبعه وهو لا يدري ؛
حتى إذا فرغ من إخبار الملك بما حدث
للجيش ألقى عليه الطائر حجراً من تلك
الحجارة فمات لساعته ، والملك ينظر
فيعرف كيف كان هلاك الجيش .

ولقد كان هلاك الجيش بتلك الحجارة
أمراً عجيباً حقاً .

لكن هل كان بتلك الحجارة ذاتها
ومن غير توسيط شئ آخر ، كما يهلك
إنسان بصخرة تقع عليه ، أو بطعنة رمح
تنفذ منه فى مقتل ؟ أو أن الرمي بتلك
الحجارة كان ينشأ عنه مرض فتاك ،
يكون بسببه الهلاك ؟ ثم ما هى حقيقة
تلك الحجارة ؟

الذى قاله المفسرون والمؤرخون أن هذه
الحجارة كانت قطعاً صغيرة من طين
يابس ، شديد صلب ، وذلك هو معنى
السجيل ، فهى من طبيعة الطين ، وليست

أعلاه فينفذ فيه ويخرج من أسفله ؛ حتى إنه إذا كان راكباً نفذ أيضاً في مطيته .

روى « ابن كثير » بسنده عن عبيد ابن عمير قال : « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجله ، وحجراً في منقاره ، قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في رجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة ، فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً . (البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٤)

ثم إنه ليس في كلمة « حجارة » ، ولا في كلمة « سجيل » التي هي بمعنى الطين اليابس الصلب المتحجر كما قدمنا ، ولا في التعبير بالرمي ما يشعر بشيء غير الذي قاله أولئك العلماء ، فهو الذي يتبادر إلى الذهن من تلك الكلمات .

وليس بغريب في باب المعجزات وخوارق العادات - وحادثة الفيل - هي من هذا

من طبيعة أحجار الجبال ؛ وقد عبر عنها بحجارة نظراً إلى يابسها وشدتها وصلابتها .

هذا هو ما تشهد به اللغة في معنى السجيل ؛ وهو ما تدل عليه آيات قرآنية تحدثت عما رمى به قوم « لوط » عليه السلام من مثل ذلك ، مما كان به هلاكهم كذلك : قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . (٨٢ هود) وقال سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين ؛ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . (٧٣ ، ٧٤ الحجر) .

وفي سورة الثالثة بيان عن تلك الحجارة التي رمى بها قوم « لوط » أنها من الطين ، ذلك هو قوله تعالى : « قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنما أُرسلنا إلى قوم مجرمين ؛ لنرسل عليهم حجارة من طين » (٣١ - ٣٣ الذاريات) .

وقد حفظ أولئك المفسرون والمؤرخون - مما بلغهم عن حادثة الفيل - أن هلاك جيش « أبرهة » كان بتلك الأحجار ذاتها ، فكان الحجر يسقط على الرجل في

الأمراض الفتاكة ، ثم تكون ملازمة أرجل البعوض أو الذباب لجسم الإنسان هي المراد بالرى بتلك الحجارة ؟

لا نظن أن أحدا من أئمة التفسير يعجز مثل هذه الاحتمالات ، لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز .

لكن الشيخ « محمد عبده » - رحمة الله عليه - قد أجازها وقال صراحة بها ، بل قال « إنه يجوز » أن يكون من جماعات ذلك الطير ما يسمى الآن بالميكروب ، فهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بأرثها .

إنه جائز من ناحية اللغة ذاتها أن يطلق على البعوض « طير » وعلى الذباب « طير » ، وحتى الميكروب يمكن أن يحمل على ذلك ويطلق عليه أيضاً أنه طير ، فالطير - كما يقول الأستاذ الإمام - كل حيوان يطير في الهواء مما يرى وما لا يرى .

لكن الكلام في الطير المحدث عنه في سورة الفيل : ذلك الطير الذي أخبر القرآن أنه كان يحمل أحجاراً يابسة شديدة عبر عنها بالسجيل ، وأنه كان يرمى بها جنود جيش الحبشة فيكون فيها هلاكهم .

القبيل - أن ينتقم الله من ذلك الجيش الجرار الجبار الذي سار ليهدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام ، فيرسل عليه جماعات عظيمة من الطير تحمل أحجاراً صغيرة وشديدة ترمى بها ذلك الجيش فيكون فيها هلاكه . .

إن الآيات الكريمة من سورة الفيل لم تعين ذلك الطير ، ولم تبين نوعه ، وإنما أتت بكلمة طير تنكرة ، لإفادة الكثرة التي قد تكون من أغراض التنكير ، لأنه لا يتعلق غرض خاص بتعيين ذلك الطير وبيان نوعه أو لونه ، إذ أنه يكفي فيما يقصد إليه الإعلام بالواقعة ، أن يحمل لفظ الطير على ما يتبادر إلى الذهن مما هو معهود ، أو مما يماثل ما هو معهود منه ، أي أنه يكفي في تحقيق المقصود من الإخبار بواقعة الفيل أن يحمل الطير على نحو العصفير أو الحمام أو اليمام أو الهدهد أو الخطاف أو ما شاكل ذلك .

لكن هل يمكن أن يحمل لفظ الطير في الآية الكريمة على البعوض أو الذباب ، وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما يعلق بأرجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد المسمومة ، التي تشتمل على جراثيم

ثم لم يرد أن يذهب - مع الاحتفاظ
بذلك التعليل العلمى - مذهب أولئك
العلماء الذين ثبت لديهم أن ما ورد فى
السورة من ألفاظ « الطير والرمى والحجارة
والسجيل » هى على معانيها الظاهرة ،
التي لم يصرف عنها صارف . والتي
على أساسها تكون واقعة الطير ورميه
الجيش الحبشى بحجارة السجيل من
باب المعجزات وخوارق العادات .

لم يذهب الشيخ هذا المذهب ، واقتصر
على أن ما كان هناك من الطير هو من
نوع البعوض والذباب ، الذى حمل للجيش
جرائم ذلك المرض .

وهنا نرى أنه لابد من وقفة بإزاء
ما قرره الشيخ « محمد عبده » فى تفسير
السورة لإبداء بعض ملاحظات ، وهى التى
نورد ها فيما يلى :

١- الملاحظة الأولى : « أنه ردد عبارات
« التواتر » و « المتواتر » وما اتفقت
عليه الروايات « بمناسبة ما يروى من وقائع
حادثة القيل ، ثم قال « إن الذى ذكره
هو واقتصر عليه من تلك الوقائع فى
تفسير السورة هو الذى ثبت بالتواتر »

فهل يصح أن يفهم أن الذباب أو
البعوض أو الميكروب هو المراد بذلك
الطير ؟

إن السورة ليس فيها ما يشعر بشئ
من هذه الأنواع الثلاثة ، التى يريد
الشيخ « محمد عبده » من كلمة « طير »
وليس فيها ما يوجب صرف اللفظ إلى هذه
الأنواع ؛ فما هو السبب الذى جعل
الأستاذ الإمام يذهب فى التفسير ذلك
المذهب البعيد ؟ لعله استنتاج يكون قد
اعتمد فيه على ما جاء فى بعض الروايات عن
حادثة القيل أنه قد وقع فى الجيش الحبشى
الإصابة بمرض الجدري أو الحصبة . وقد
اختار الشيخ « عبده » رواية وردت فى
ذلك لم تسعد عند المؤرخين وعلماء التفسير
بشهرة من مثل ما كان لكثير من وقائع
تلك الحملة الحبشية . تلك الرواية تحكى
أن ذلك المرض - الجدري أو الحصبة -
قد عم الجيش الحبشى كله وتفشى فيه .

فلعل « الشيخ » أراد أن يعلل هذا
المرض بما يعلل به عادة فى عالم الطب ؛
ودلك بإسناده إلى الإصابة بالميكروب
الخاص به .

وهو الذى يصح الاعتماد عليه . وما عداه فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته .

وغريب أنه يرفض هكذا رواية أخبار الأحداث التاريخية إذا لم تكن متواترة ولو كانت صحيحة لا سطعن فيها .

إنه معقول أن يشترط التواتر في الأخبار عن أمهات الأحداث وأصول الوقائع ، التي تتحقق لها موجبات الديوع والشهرة ، كأن تكون مما تتوافر الدواعى على نقله والإخبار به ، والحديث عنه . وفي هذه الحالة لا يقبل من آحاد الناس ادعاء الانفراد بشهودها ومعرفتها والوقوف عليها .

أما فروع الأحداث وتفصيلها التي لا تتوافر لها موجبات الديوع والشهرة كما تتوافر لتلك الأصول فإنه يكون من الحيف ألا يقبل فيها ما يرويه الآحاد ولو كانوا عدولا صادقين غير متهمين بكذب ولا تدليس ولا تحريف ، وكان ما يخبرون به عن تلك الأحداث الفرعية لا يتعارض وما ثبت بالتواتر عن الوقائع الأصلية ، ولا يناقض روايات آحادية أخرى عن تلك الأحداث الفرعية ذاتها .

ونضرب لذلك مثلاً ما روى من أن « عبد المطلب » جد الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى « أبرهة » حينما كان أ بالمغمس طلب منه أن يرد عليه إبله التي كان قد استولى عليها قائده « الأسود بن مفسود » في غارته على سرح مكة ، وأن « أبرهة » قد رد عليه الإبل ، وكانت مائتي بعير ، وأنها كانت كلها لعبد المطلب ، وأنه أهداها جميعها للحرم .

فهل مثل هذه الوقائع الفرعية يلزم لقبولها أن تكون مروية بالنقل المتواتر فتكون مرفوضة إذا لم يتحقق لها هذا التواتر ولو كانت صحيحة لا طعن فيها ولا تجريح ؟ إن هذا يكون من لزوم ما لا يلزم ، وهو شيء لم يقل به أحد فيما نعلم .

هذا - ونريد ألا نقف هنا طويلاً ، فإن هذه المسألة ليس لها من الأثر في الموضوع الذى نحن بصدده إلا بالقدر الذى أشرنا إليه .

٢ - الملاحظة الثانية : أن الشيخ « محمد عبده » قد أورد في القطعة التي قال إنها متواترة شيئاً لم يثبت بالتواتر ولم تتفق عليه روايات الرواة فإنه قال

عليها الروايات ، ولم تثبت بالضرورة ثبوت التواتر ، فإن كثيراً من أعلام المؤرخين لم يذكروا شيئاً يدل على أن مرض الجدري أو الحصبة قد عم الجيش وفشا فيه ، بل إنهم لم يذكروا شيئاً أصلاً عن إصابة الجيش بهذا المرض . ومن ذكر من هؤلاء شيئاً عن مرض الجدري أو الحصبة لم يذكر أنه أصيب به أحد غير أبرهة .

إنه بعيد جداً أن تكون إصابة الجيش الحبشي بمرض الجدري هكذا إصابة عامة وبائية ثم يسكت عنها ويغفل أمرها أولئك العلماء الذين أشرنا إليهم^(١) ، إذ أنها حينئذ تكون جديرة أن يروى أخبارها كل معنى يحفظ الأحداث التاريخية العظيمة ، ولا سيما حادثة كحادثة الفيل .

ويستند المرحوم الشيخ « محمد عبده » في دعوى إصابة الجيش الحبشي بالجدري إلى ما روى عن « عكرمة » أن ذلك كان أول جدري ظهر ببلاد العرب ، ولكن هذه الرواية ليس فيها ما يفيد أن مرض الجدري قد تفشى في الجيش كله .

ما نصه : « وفي اليوم الثاني - أي بعد وصول « أبرهة » إلى المغمس - فشا في جند الجيش الحبشي داء الجدري والحصبة قال « عكرمة » : وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب . وقال « يعقوب بن عتبة » فيما حدث : إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام ؛ وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين . وأصيب الحبشي ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأتملة أتملة ، حتى انصدع صدره ومات في صنعاء » .

ثم قال « الشيخ » : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به « اهـ » .

وهكذا يقرر الشيخ « محمد عبده » أن الإصابة بالجدري والحصبة قد أفرغت الجيش كله ، وفشت فيه ، وأن هذا مما ثبت بالتواتر واتفقت عليه الروايات .

ونحن نقول : إن حادثة مرض الجدري أو الحصبة وفشوه في الجيش لم تتفق

(١) من هؤلاء العلامة ألسطافى في المواهب الدينية والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقانى في شرح المواهب ؛ وابن كثير في البداية والنهاية .

يتبادر إلى الذهن من تلك الألفاظ ، وهو الذي بيناه فيما سبق واتفق عليه جميع المفسرين ، والمؤرخين ، وهو الذي روى أيضاً عن « عكرمة » الذي يستند إلى روايته المرحوم الشيخ « محمد عبده » .

وهو غير ما ذهب إليه « الشيخ » الذي يحصر سبب إصابة الجيش الحبشي بالجدري فيما نقل إليه من الجراثيم بواسطة الذباب أو البعوض ؛

٣ - الملاحظة الثالثة : أن الشيخ « عبده »

- الذي يقرر أنه إنما يعتمد على التواتر في أخبار هذه الأحداث ، أو على ما اتفقت عليه الروايات - لم يأخذ بما اتفقت عليه الروايات جميعها فيما حدثت به عن الطير وعن الحجارة التي كان يلقي بها على الجند وكيف كان الهلاك بتلك الحجارة على ما بيناه فيما سبق ؛ بل نحا في ذلك ناحية لم يذهب إليها أحد قبله ، فقال بالبعوض والذباب والميكروبات ، ولم يقل بما قاله سائر العلماء الذين نقلوا أن هلاك جيش « أبرهة » كان بذلك الحادث الذي هو من المعجزات وخوارق العادات .

بل نحن نقول : إنه قد روى عن « عكرمة » ما هو أصرح من ذلك في الدلالة على وقوع الجدري في الجيش وأنه قد تفشى فيه : ذلك هو ما أثبتته « الفخر الرازي » في التفسير الكبير إذ يقول : روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفض جلوده وثار به الجدري ؛ قال : وهو قول « سعيد بن جبير » . ثم قال : وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدسة وأكبرها مثل الحمصة ^(١) .

ولكن هذه روايات - فأي من دعوى التواتر أو دعوى اتفاق الروايات ؟

ثم إننا لا نمتنع أن يكون جيش الحبشة قد وقعت فيه الإصابة بالجدري ونفترض أن هذا المرض قد عم أفراد الجيش وتفشى فيهم ، وأنه كان أثراً لما رماهم به الطير الذي أرسله الله عليهم ؛ لكن يجب أن يكون ذلك كله على أساس أن تكون ألفاظ الطير والرمي والحجارة الواردة في السورة مأخوذة في معناها الظاهر الذي

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ٨٤

٤- الملاحظة الرابعة : هي أن المرحوم الشيخ « عبده » يقول : وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الريح .

ونحن نرجع إلى السورة فلا نراها تبين شيئاً أو تقول شيئاً عن الجدري أو الحصبة . لم تعرض السورة لشيء من ذلك ، ولم تقل إن تلك الحصبة أو ذلك الجدري كان من أثر الجرائم التي كانت عالقة بحجارة سقطت على الجيش من الطير الذي يرسله الله مع الريح ، تعنى الذباب والبعوض .

فالسورة لم تذكر تعليلاً للإصابة بمرض حصبة أو جدري ، لأنها لم تذكر في آياتها الحصبة والجدري .

ثم لم يثبت ثبوتاً قاطعاً متواتراً أن الجيش أصيب إصابة عامة بهذا المرض ، على ما يرى المرحوم الشيخ « محمد عبده » حتى يمكن أن يقال إن السورة قد عرضت لبيان العلة في هذه الإصابة مكتفية بذلك عن التصريح باسم الحصبة أو الجدري .

هذا - وفي ختام هذه الملاحظات نقول : إنه ليس بمثل تلك التكاليف والمحاولات : تكون الإجابة أو التجديد ، في تفسير الآيات البيئات ، من كتاب الله المجيد . والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع



وديان أودية

للدكتور ناصر الدين الأسد

(١)

بعض المُحدثين . ممن لهم
عناية باللغة . إلى تخطيط
استعمال « الوديان » جمعاً للوادي ،
ونبّهوا على أن الصواب « أودية »^(١) .

وحاولت أن أتتبع جمع « الوادي »
في أساليب القدماء ، فرجعت إلى نحو
ثلاثين ديواناً لشعراء العصور المختلفة :
الجاهلية والأموية والعبّاسية ، وقرأت
جميع ما فيها من أبيات على قافية النون

وقبلها ألف . فلم أجد فيها « الوديان »
على كثرة الحاجة إليها في مثل هذه
القافية . ووجدت في بعض هذا الشعر
« أودية » في درج البيت . ثم رجعت
إلى ما تيسر من كتب المسالك والبلدان
ومعاجم الجغرافيا . فلم أجد كذلك أحداً
من مؤلفيها يستعمل « الوديان » ووجنتهم
جميعاً يجمعون « الوادي » على « أودية » .

واشتد ظلي للوديان وحرصى على
التنقيب عن هذا الجمع ، ولكني لم أجده
فما قرأت من كتب تراثنا في اللغة أو
الأدب أو التاريخ أو غيرها . حتى أفسدت
على شهوة البحث عن هذا الجمع لذة
قراءة تلك الكسب وربما فوّتت على فوائد
أخرى كثيرة .

ولجأت إلى المعاجم وكتب اللغة لعلّ أجد
فيها ما لم أجد في غيرها ، فلم أفر بظائل .

فالأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) يقتصر على
إيراد جمع واحد للوادي هو « الأودية »^(٢) .

(١) كتاب المنذر إلى المجمع العلمي العربي في دمشق ١ : ١٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٢٧ ؛ والكتابة
الصحيحة ، لزهدي حار الله . ٣٢٩ . الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨

(٢) تهذيب اللغة ١٤ . ٢٣٢

الوادی يجمع أوداء ، على أفعال . . .
أمسية ، وطبيئ تقول : أوداء ، على
القلب ، ثم أورد ما ذكره الجوهري
في صحاحه عن مخالفة الجمع « أودية »
للقياس .

واقصر الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) على
ذكر « أودية » في جمع واد^(٥) .

أما مجد الدين الفيروزابادي
(ت ٨١٦ أو ٨١٧ هـ) فقد أورد أربعة
جموع ، هي : أوداء ، وأودية ، وأوداة ،
وأودية^(٦) .

وكذلك فعل المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)
فقد أورد هذه الجموع الأربعة وزادها بيانا
مما ذكره الجوهري وابن منظور^(٧) .

أما في كتاب الله فقد جاءت كلمة
« واد » منكرة ومعرفة ، مجرورة

وكذلك فعل أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)
ولكنه أضاف فائدة جلية ، قال :^(١)
« والوادی : كل بطن مطمئن من الأرض ،
وربما استقر فيه الماء ، والجمع أودية ،
على غير قياس . . . »

وتابعه الجوهري (ت ٣٩٣ - ٤٠٠ هـ)
في النص على مخالفة هذا الجمع للقياس ،
ثم أضاف فائدة أخرى جلية ، قال :^(٢)
« والجمع : الأودية ، على غير قياس ،
كأنه جمع ودي ، مثل : سري وأمرية
للنهر » .

ولم يذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)
الجمع ، واقصر على ذكر المفرد^(٣) .

وأورد ابن منظور (ت ٧١١ هـ)
ثلاثة جموع ، قال :^(٤) : « والجمع :
الأودية . . . وقال ابن الأعرابي :

(١) لحن الموام ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة دار المروبة بالقاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٢٤٠

(٢) الصحاح (ودي) .

(٣) أساس البلاغة (ودي) .

(٤) اللسان (ودي) .

(٥) المصباح المنير (ودي) .

(٦) القاموس المحيط (ودي) .

(٧) التاج (ودي) .

ولكن انفراده وحده بهذا الجمع ، دون غيره من أصحاب المعاجم واللغة ، أمر يدعو إلى التوقف والبحث عن مظاهره ، فليست قيمة الزبيدي في ذاته ، ولكنها فيما يجمع لنا عن غيره ممن سبقه ، ولا بد من العثور على مصدره الذي استقى منه . وقد أورد عبارته دون نسبة إلى صاحبها ، وأنزلها منزلاً مبهماً . ولم يهتد طول التنقيب إلى كتاب آخر قبل تاج العروس يُحتمل أن يكون قد أخذ منه .

ومع ذلك فهذا عالم أورد في كتابه ما كان يحولك في النفس . وليس أقل من أن أثبت هنا ما جمعته عن هذا الأمر عسى غيرى أن يصل إلى ما عجزت عنه من اليقين القاطع .

(٣)

لا نعرف أحداً من أصحاب اللغة والنحو ذكر أن صيغة (فاعل) في أى معنى من معانيها : سواء أكانت صفة أم اسماً ، مذكراً أم مؤنثاً ، تجمع على (أفعلة)

ومنصوبة ، في ثمانى آيات من ثمانى سور^(١) ، ولم يحىء الجمع إلا في صيغة « أودية » وحدها ، وذلك في آيتين من سورتين ، قال الله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)^(٢) وقال تعالى (فلما رأوه عارضاً مُستَقْبِلَ أوديتهم قالوا هذا عارضٌ مُمطرٌنا)^(٣)

وكان في كل هذا غناءً ومقنع ، وكان بعضه حرياً أن يصرفنى عن متابعة البحث لولا اللجاجة وشهوة التنقيب .

(٢)

ثم عثرت في تاج العروس^(٤) - في آخر مستدرك الزبيدي حيث لا يظن أحد أنه سيعود إلى الحديث عن الوادى وجميعه بعد أن طال حديثه في أمور أخرى غيرهما - على قوله :

« . . . والوديان مشئى ودي كغنى : أرض بمكة لها ذكر في المغازى ، وقد يجمع الوادى أيضاً على وديان بالضم . . . »

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٧٤٧

(٢) الرعد : ١٧

(٣) الأحقاف : ٢٤

(٤) الفضل في ذلك للصدوق العلامة الأستاذ حمد الجاسر .

تَجَنَّى . والنص عليه وشرحه وأمثلته من الشعر وغيره ، كل ذلك واضح الدلالة على أن (أنجية) هم القوم الذين يتناجون فهي جمع (نجى) وليست جمع (ناج) بمعنى البعير .

أما جمع (واد) فهو موضوع الحديث في هذا البحث . وقد رأينا أن المعاجم وكتب اللغة لم تنص إلا على جمع واحد هو (أودية) ، ولكننا رأينا كذلك أنها نصت على أن هذا الجمع «على غير قياس» لأن صيغة (فاعل) لا تجمع على (أفعلة) وزاد الجوهري في صحاحه : «كأنه جمع وديّ . مثل : سريّ وأشريّة ، للنهر» .

فإذا كان هذا صحيحاً فنحن نعرف أن (أفعلة) من جموع القاذبة ، وأنها تطرد في صيغة (فجعل) ، وأن جمع الكثرة لهذه الصيغة هي (فعلان) بضم الفاء أصلاً وكسرها أحياناً . وقد وضح

سوى ما استدركه بعضهم من نصهم على شذوذاً ثلاث كلمات ذكرها المرتضى الزبيدي نقلاً عن غيره^(١) . وهي ناد وأندية ، وناج وأنجية ، وواد وأودية .

أما جمع ناد فقد استوفيت الحديث عنه في مقالة نشرت في هذه المجلة^(٢) . وذهبت إلى أن (أندية) جمع (ندي) بمعنى (ناد) ، أما جمع (النادي) فهو (النوادي) وهو جمع قياسي مطرد لا ينكسر في «فاعل» إذا كان اسماً أو صفة غلبت عليها الاسمية لغير العاقل^(٣) .

أما (أنجية) جمع (ناج) فلم أعثر عليه في شيء مما اطلعت عليه من المعاجم وكتب اللغة - سوى هذا الذي نقله لزبيدي في التاج عن أبي العباس الحلبي المعروف بالسمين في كتابه عمدة الحفاظ - فجميعها تنص على أن الناجية هي «الناقة السريعة تنجو من ركبتها» ، والبعير : ناج^(٤) ، ولا يورد له جمعاً . أما أنجية التي وردت في هذه المعاجم فهي جمع

(١) تاج العروس (ودي) .

(٢) الجزء السابع والعشرون ، ذر الحجة سنة ١٣٩٠ هـ ، فبراير سنة ١٩٧١ ، ص : ٩٠ - ١٠٣

(٣) انظر «السان» مثلاً .

سيبويه وجوه استعمال هذا الجمع بما لا مزيد عليه^(١) ، ومما قاله :

« . . . فأما ما كان من بنات الياء والواو فهو بمنزلة ما ذكرنا ، وقالوا : نرى وأقربة وقربان ، حين أرادوا بناء الأكثر ، كما قالوا جريب وأجربة وجربان ، ومثله سري وأسرية وسريان . . . »

وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ)^(٢) :

« . . . ولكن باب جمع (فُعَلان) في العدد الكثير (فُعَلان) ، كما أن باب جمع (فُعِيل) (فُعَلان) ، نحو : ظليم وظلمان ، وقضيب وقضبان . . . »

وقال ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)^(٣) :

« . . . وإذا سميت بصفة مما يختلف جمع الاسم والصفة فيه جمعته جمع نظائره من الأسماء ولم تُعْجَرْهُ على ما جمعو حين كان صفة إلا أن يكونوا جمعو جمع الأسماء فتعجيره على ذلك ، كرجل سمّيته بسعيد أو شريف تقول في أدنى

العدد : ثلاثة أشرفة وأسعدة ، وتقول في الكثير : سُعدان وُسُرفان وسُعد وُسُرف ، لأن هذا هو الكثير في الأسماء في جمع هذا البناء ، تقول : رغيف وأرغفة ، وجريب وأجربة ، وقالوا : رُغفان وجُربان . . . »

ونص السيوطي على الصسيغ التي يستعمل فيها هذا الجمع فبدأها بقوله^(٤) : « فُعَلان ، بالضم ، ويطرّد جمعاً لاسم على فعيل . . . »

ونحن نرى من هذا كله أنهم حين نصوا على أن جمع (واد) على (أودية) إنما هو على غير قياس ، ذكروا أيضاً « كأنه جمع وديّ ، مثل : سري وأسرية ، للنهر » ، وهذا سيبويه ينص ، كما رأينا ، نصاً واضحاً على أن (سري) يجمع على (أرية) حين يريدون جمع القلة ، ويجمع على (سريان) حين يريدون جمع الكثرة . فإذا استعملوا لواد جمع قلة هو في الأصل لصيغته

(١) الكتاب ٢ : ١٩٢ - ١٩٤

(٢) المقضب ٢ : ٢١٢

(٣) المختصص ١٧ : ٨٥

(٤) مع الموائع ٢ : ١٧٨

(وَدَى) ، فهل لنا أن نتساءل لِمَ لا
لا نستعمل جمع الكثرة لمثل هذه الصيغة ،
فيكون (وديان) للكثرة و (أودية)
للقلة ؟

(٤)

وذكر رضى الدين الاسترأبادى
(ت ٦٨٨ هـ) أن (الوادى) لم يجمع
الجمع القياسى المطرد على (فواعل)
وكذلك لم يجمع على (فُعْلان) ، وإنما
جمع على (أفعلة) لآلة محددة ، قال ^(١) :
« كأنهم استشقوا الواوين فى أول
الكلمة لو جمعوه على (فواعل) ، وانضمام
الواو وانكسارها لو جمع على (فُعْلان) ،
وإذا سلّمنا بصحة العلة الأولى وهى
استثقالهم الواوين فى أول الكلمة لو
جمعوه على (فواعل) ^(٢) فإن العلة
الثانية يصدق عليها قولهم : أوهى من

حجة نحوى ! وذلك أن الواو : مضمومة
أو مكسورة ، فى أول المفرد وفى أول الجمع
كثير فى كلام العرب ، لم يجدوا فيها
ثقلاً ، أو لم يمنعهما ما فيها من ثقل أحس
به رضى الدين الاسترأبادى من أن تكثر
فى كلامهم . وحسبنا أن نذكر من أمثلة
الجمع ، وهى كثيرة على أبنية متعددة ،
جمعين على بناء (فعْلان) - وهو مدار
حديثنا هذا - أحدهما بضم الواو
والآخر بكسرها ، وهما : وحْدان (بضم
الواو) جمع واحد ، وولْدان (بكسر
الواو) جمع ولد .

وقد استعمل العرب هذين الجمعين
منذ أقدم ما نعرف من عصور العربية ،
وما زلنا نستعملهما إلى يوم الناس هذا ،
وسنظل نستعملهما إلى ما شاء الله ، لانحس
فيهما ثقلاً يمنع من استعمالهما . فكيف

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٥١ مطبعة حجاى .

(٢) وكانوا يتخلصون أحياناً من اجتماع الواوين فى أول الكلمة بقلب الأول منهما همزة ، قال نشوان الحيرى
(ت ٥٧٣ هـ) : « وإذا اجتمع فى أول الكلمة واوان قلبت الأول منهما همزة ، وذلك فى جمع (واصل) وتصغيره ،
فتقول فى جمعه : أواصل ، وفى تصغيره : أو يصل . والاصل : وواصل ، وواصل . وذلك لكراهية اجتماع
واوين فى أول الكلمة وثقل النطق بهما . فأما قوله تعالى : (ما ورى عنهما) فأنما ذلك على أن الواو الثانية مدت لأنها
بدل من ألف (وارىت) ، وقال الشاعر فى الحمزة « هو مهلهل بن ربيعة » :

ضربت صدرها إلى وقالت يا عدياً لقد وقتك الأواق

والأصل الواو فى جمع واقية ، كمامية وعواف . (الحور العين ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ،
ص : ٧٣) وانظر أيضاً المعاجم (وقى) .

أو عاميَّاتهم ، في جميع ديارهم في عصرنا هذا وربما فيما قبله من عصور ،

وإذا كان مثل هذا الجمع هو من مألوف كلام العرب الفصحاء ومن صحيح أبنيتهم وأساليبهم وقياسهم المطَّرد في جمع ما جاء على وزن (فَعِيل) من الأسماء حين يريدون الكثرة ،

وإذا كانوا قد جمعوا لفظ (واد) على (أودية) على غير قياس ، كأنه جمع (وَدِي) مثل : سَرِيٍّ وأسرية ، بمعنى نهر. فهل نستطيع نحن أن نقرَّ استعمال (وديان) جمعاً لَوَادٍ ، حين يُشَبَّه جمعه بجمع وَدِيٍّ ، كما استعملوا لفظ (سُريان) ولفظ (أسرية) معاً جمعاً لَسَرِيٍّ ، الأول للكثرة والآخر للقلَّة ؟

ذلك كلُّه إذا أخذنا بغير القياس ، على تشبيهه ببناء (فاعل) ببناء (فَعِيل) فنستعمل في جمع (وادٍ) جمع (وَدِيٍّ)^(٢)

نستثقل انضمام الواو أو انكسارها في (وديان) جمع (واد) ، وهي مثل (وحدان) جمع (واحد) ؟ والجمع (وديان) بكسر الواو مستعمل في عصرنا هذا على ألسنة العرب كافة في أحاديثهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وقد سألت نفرا من أهل كل مصر من هذه الأمصار عما يستعملونه في أحاديثهم اليومية جمعاً لَوَادٍ فلم أسمع من أحد منهم أنهم يستعملون (أودية)^(١) ، وإنما يستعملون جميعاً كلمة (وديان) . والعامية تنجح دائماً إلى استعمال الأخف والأسهل والأبعد عن الاستكراه والاستثقال ليكون ذلك أعون على دوران الكلمة على الألسنة !

(٥)

فإذا كانت (وديان) جمع (وادٍ) هي وحدها المستعملة في عامية العرب ،

(١) سؤى ما أخبرني به - بعد طبع تجارب هذه المقالة - صديق ثقَّه من أنه سمع رجلاً من السراة وآخر من بعض أنحاء نجد يستعملون « الأودية » جمعاً للوادي في حديثهما .

(٢) كان العرب يشبهون بناء ببناء ، ويجمعون أحد البنائين بجمع الآخر ، جاء في اللسان (شعر) : « ... ورجل شاعر ، والجمع شعراء . قال سيبويه : شبهوا فاعلاً بفعيل كما شبهوه بفعول ، كما قالوا : صبور وصبر ، واستغنوا بفاعل عن فمیل ، وهو في أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعاً موقعه ، وكسر تكسيره ليكون أمانة ودليلاً على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه » .

وفي المصباح المنير (شعر) : « ... قال ابن خالويه : وإنما جمع شاعر على شعراء لأن في العرب من يقول شعر ، بالضم ، فقياسه أن تبيء الصفة على فعيل ، نحو : شرف فهو شريف ، فلو قيل كذلك لا لتلبس بشعر ، الذي هو الحب ، فقالوا : شاعر ، ولحقوا في الجمع ببناء الأصل ... » .

وفالتي وفلقة—ان^(٦) ، ومالٌ ومُلان^(٧) .
ولا يمتنع شيءٌ من ذا من (فواعل) .
« وأما ما كان أصله صفة فُجْرى
مُجْرى الأسماء فقد يبدرنه على (فُعْلان)
كما يبنونها ، وذلك : راكب ورُكبان ،
وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ،
وراع ورُعْيَان . . . فلما لم يخافوا
الالتباس قالوا (فواعل) كما قالوا
(فُعْلان) » .

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ ودل يحتاج
الأمر إلى مزيد من التمثل والاستشهاد
وضرب الأمثلة ؟ إن ما أورد سيبويه
يتردد بعبارات متقاربة في كتب النحو
الأخرى ، وحسبنا أن نضرب مثلاً برضى
الدين الاستربادى الذى يقول^(٨) :
« قياس فاعِل - بفتح العين وكسرها -
في الاسم : فواعل ، قياساً لا ينكسر

ولكن ما لنا نلجأ إلى هذا التشبيه
والتغيير في بناء المفرد التماساً لتعليل
الجمع ؟ وما لنا لا نعود إلى أصل البناء
وهو (فاعل) لندرى ما قال فيه علماء اللغة
والنحو ؟ قال سيبويه^(١) : « وما كان من الأسماء
على (فاعل) أو (فاعَل) فإنه يكسّر على
بناء (فواعل) ، وذلك : تابَل وتوابل ،
وطابق وطوابق ، وحاجر وحواجر ، وحائط
وحوائط .

« وقد يكسرون (الفاعل) على
(فُعْلان) نحو : حاجر وحُجْران^(٢) ،
وسالٍ وسُلَّان^(٣) ، وحائر وحُوران^(٤)
وقد قال بعضهم : حيران ، كما قالوا :
جانٌ وجِنَّان ، وكما قال بعضهم : غائط
وغَيْطان . وحائط وحَيْطان ، قلبوها
حيث صارت الواو بعد كسرة ، فالأصل
(فُعْلان) . وقد قالوا : غالٌ وغُلَّان^(٥) ،

(١) الكتاب ٢ : ١٩٨

(٢) الحاجر من مسايل المياه وثابت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع .

(٣) السال : المسيل الغميق في الوادى .

(٤) الحائر : المكان المظلم الوسط المرتفع الحروف .

(٥) الفال : نبت ، أو نبات الطلح ، أو الوادى النامض في الأرض فيه شجر .

(٦) الفالاق : المكان المنحدر بين ربوتين ، والقضاء بين شقيقتين من رمل .

(٧) المسال : في اللسان (ملل) : « وحكى سيبويه مال ، وجمعه ملان ، ولم يفسره » .

(٨) شرح الشافية ٢ : ١٥١ - ١٥٢ ، وله رأى طريف وملحظ دقيق في الفرق بين صيغتي الجمع في المعنى ،

قال : « وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم ، كراكب الذى هو مختص براكب البعير ... وفارس المختص براكب
الفرس ، وراع المختص برعى نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من العموم ، فإنه يجمع في الغالب على
فعلان ، كحجران في الاسم الصريح ... » .

فمن أمثلة الأسماء والصفات ذات الحروف الصحيحة : فالتى وفلقان ،
لأوراكب وركبان ، وصاحب وصُحبان ،
وفارس وفُرسان ، وحاجر وحُجران .
ونضيف إليها : راهب ورهبان ، وراجل
ورُجلان .

ومن أمثلة المضعفة اللام : شابٌ
وشُبَّان ، وسالٌ وسُلَّان ، وغالٌ وغُلَّان ،
ومالٌ ومَلَّان ، وجانٌ وجِنَّان .

ومن أمثلة المعتلة العين : حائط
وحيطان ، وحائر وحُوران أو حيران ،
وغائط وغيطان . ونضيف إليها : جائز
وجُوزان^(٢) .

ومما يحسن أن يضاف كذلك استكمالا
للعالم هذا التقسيم :

من أمثلة المعتل الفاء : واحد ووُحدان .
ومن أمثلة المهموز اللام : شاطى
وشُطَّان .

وقد جاء فعْلان كحُجران ، وفعْلان
كجِنَّان ، والأول أكثر - أى مضموم
الفاء - ويجوز أن يكون حيطان من الأول
قلبت الضمة كسرة لتسالم الياء . . . »

وأورد ابن منظور في تعليل جمع (راعٍ)
على (رُعَيان) ما ذكره من أنه مثل
« شابٌ وشُبَّان ، كسروه تكسير
الأسماء ، كحاجر وحجران ، لأنها صفة
غالبة^(١) » .

وهذه العبارة توضّح ما جاء في كلام
سيبويه وما أورده سائر علماء النحو من
أن الأسماء التى على وزن (فاعل) يجوز
جمعها جمع تكسير على بناء (فعْلان)
وأن الصفات حين تجرى مجرى الأسماء
يجوز كذلك جمعها على (فعْلان) كما
جاز فى الأسماء .

وربما كان من المفيد أن نعيد ترتيب
الأسماء والصفات التى وردت فى النصوص
السابقة ترتيبا يكشف عن نوع هذه
الأسماء والصفات من حيث حروفها
الأصلية .

(١) اللسان (رعى) .

(٢) الجائز : الخشبة التى يوضع عليها أطراف الخشب فى سقف البيت .

فهذه تسعة عشر لفظاً من الأسماء والصفات التي أُجريت مجرى الأسماء ، من الصحيحة الحروف الأصلية ، أو من معتلة الأول أو الوسط أو الآخر ، أو من مضعفة الآخر أو مهموزته . وكلها على وزن (فاعل) وتجمع على (فُعلان) بضم العين أو بكسرها ، مع أن لها كلُّها جمعاً آخر أو جموعاً أخرى على أبنية مختلفة . وجمع هذه الالفاظ على (فعلان) ورد في المعاجم وكتب اللغة وجرى به أسلوب الفصحاء .

(٦)

وبعد

فما كنت لأتكلف ما تكلفت لو لم تكن كلمة (وديان) هي الجمع الجارى على ألسنة العرب في هذا العصر في مختلف ديارهم ؛ ولو لم يتصمداً نفر - من الحريصين على نقاء هذه اللغة وسلامتها - لتخطئة هذا الجمع .

٣٨

ومن الطبيعي أن يتسرب الفساد ويتطرق الخطأ إلى بعض ألفاظ اللغة أو أساليب العبارة عند بعض الناس ، في كل عصر من العصور ومنها هذا العصر الذي نعيش فيه ، خاصة بين جمهرة المتعلمين الذين يتأثرون بما يقرأون مما تدخله العجمة وتشوبه آثار الترجمة . أما أن تُجمع الأمة كلها دون استثناء - في أى عصر - على استعمال كلمة في لغتها تجرى في بنائها على بناء مثيلاتها التي تُعد من الكلام الصحيح الفصيح ، ثم يأتي من يخطئ تلك الكلمة ، فهذا أمر يدعو إلى التوقف أولاً ، وإلى النظر ثانياً ، ثم إلى الإسهالك عن العجلة في التخطئة آخر الأمر .

ونخاطب كل ما تقدم :

١ - أن كلمة (وديان) هي المستعملة جمعاً لواء في كلام العرب وأحاديثهم اليومية في العصور الأخيرة ، وقد أنس

إليها ذوق جمهور المعاصرين ، وجرت
على أقدام بعضهم^(١) .
وهي قاعدة غالبية ، وإن لم تكن شاملة
جامعة .

٢- إن هذا الجمع (فعلان) من أبنية
الجموع العربية التي نصت عليها معاجمهم
وكتب لغتهم ، ودارت دلي ألسنتهم
وعلى أقدامهم في شعرهم ونشرهم .
٤- أن القدماء نصوا على أن بناء
(فاعل) للاسم أو للصفة التي تجري
مجرى الاسم ، قد يكون على (فعلان) .
وقد أوردنا أمثلة متعددة على ذلك .
و (الوادى) على بناء (فاعل) .

* *

٣- إن القدماء نصوا على أن جمع (وادٍ)
على (أودية) هو على غير قياس كأنما هو
جمع (وديّ) ، مثل : (سريّ) .
و (سريّ) جمعه : أسريّة وسريان .
وهذه الصيغة (فعيل) تجمع جمع قلة
على (أفعلة) وجمع كثرة على (فعلان)
وأمثلة ذلك من كلام العرب كثيرة ،
فهل من حرج ، بعد هذا ، على من
لا تطمئن نفسه إلى تخطئة (وديان)
إذا ما رآها في بعض ما يكتب أو سمعها
في بعض ما يقال ، حتى تقوم على تخطئتها
بيّنة قاطعة ؟ وهيئات ! !

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع

(١) وذلك كثير في الشعر والنثر ، وحسبنا أن نسوق ثلاثة أمثلة من الشعر ، أحدها من مصر ، والثاني من
لبنان ، والثالث من الجزيرة العربية .

قال حافظ إبراهيم (ديوانه ، طبع دار الكتب سنة ١٩٣٧ ، ج ١ ، ص : ٢٩) :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه
وفاض بالخير في سهل ووديان

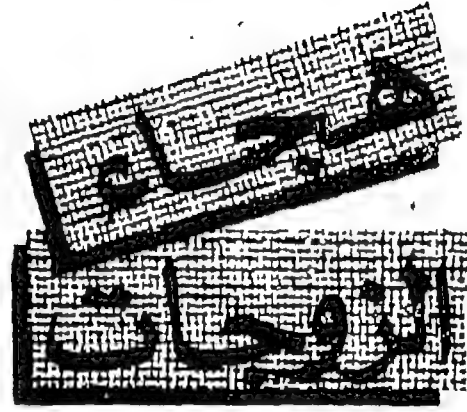
وقال إلياس أبو شبكة (من صعيد الآلهة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص : ٤١) :

يمشي وللنار في أجفائه زبد
على لظى الرمل ، من واد لوديان

وقال حسن عبد الله القرشي (فلسطين وكبرياء الجرح ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، ص : ١٠٢) :

يتنادون يا لغارات « مروا
ن « فيسرى النداء في الوديان

فلو أنهم كانوا على حظ من سمو الخلق ،
ورقة الشعور ، وسلامة الذوق ، لكظموا
غيظهم ، ولطؤوا كشحا على المكروه ،
ولآثروا الصمت على الكلام في مثل هذه
المواطن التي تُهجن سمعة الفراش ،
وتشئ بمساوي البيوت ! فكل ما يتعلق
بالنساء يجب ستره كالنساء ! ولو كان
حسناً ! فما الظن به إذا كان مما يقبح
نشره !



للأستاذ على الجندى

أدرى من فتح باب الشر ،
ولست وإن كان يغلب على الظن :
أنه الحطيئة بقوله :

أطوف ما أطوف ثم آوى
إلى بيت قعيسدته لكاع

وإن صح أن منهم أشرافاً ، فينضح
عنهم اللوم ! أنهم كانوا يُعانون ثورة
نفسية عَزَبَ معها حلْمهم ، فنطقوا
بما لا يريدون ! وكثيراً ما يستفز النساء
- بخرقهن وكيدهن - أرحب الرجال
صدراً ! وأكثرهم صبراً ، وأبعدهم
أناة !

ولكن ما لنا نلومهم ، وهذه ساحات
المحاكم الشرعية يقف فيها الزوجان

ومع أن هذا الشاعر كان خبيث اللسان ،
كثير الفُحش والبذاء ، حتى لم تسلم
نفسه من شر نفسه ! فمن الإنصاف له
أن نعترف : بأنه سلك سبيل القصد
في هجاء زوجه ! فلم يُمكن في الثلب ،
ولم يتقص العيوب كما فعل غيره ، ممن
وردوا هذا المستنقع الوخيم !

وهذا اللون من الأدب قد كشف لنا
عن ضعف بين في أخلاق هؤلاء الشعراء !

صَابَاً وَعَلَقَمًا عَلَى الزَّوْجَاتِ ! وَلَكِنَّهُ انْتِقَامُ
الذَّلِيلِ ، وَقَدْرَةُ الْخَوَرِ الَّتِي يَصُوِّرُهَا
أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ :
وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فَرْصَةً

قَتَلْتُ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الشَّاعِرُ أَنْ يَنْتَقِمَ بِغَيْرِ
لِسَانِهِ ؟ إِذَا مَا سَاقَ إِلَيْهِ الْقَدَرُ الْقَاهِرُ
زَوْجَةٌ بِكَتَاكِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا خَالِدُ الْحَذَّاءِ :
خَطَبْتُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فَجِئْتُ لِأَنْظُرَ
إِلَيْهَا - وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا رِوَاقٌ يَشْفَى - فَدَعْتُ
بِعُجْفَةٍ مَمْلُوءَةٍ ثَرِيدًا ، مَكَلَّلَةً بِاللَّحْمِ ،
فَأَتَتْ عَلَى آخِرِهَا ! وَأَتَتْ بِإِنَاءٍ مَمْلُوءٍ لَبَنًا
وَنَبِيذًا ، فَشَرِبْتُهُ حَتَّى كَفَّاتُهُ عَلَى وَجْهِهَا !
ثُمَّ قَالَتْ : يَا جَارِيَّةُ ، ارْفَعِي السَّجْفَ ،
فَإِذَا هِيَ جَالِسَةٌ عَلَى جِلْدِ أَسَدٍ ! وَإِذَا هِيَ
شَابَّةٌ جَمِيلَةٌ !

ثُمَّ قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَنَا أَسَدَةٌ !
مِنْ بَنِي أَسَدٍ ! عَلَى جِلْدِ أَسَدٍ ! وَهَذَا مَطْعَمِي
وَمَشْرَبِي ! فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَافْعَلْ !
فَقُلْتُ : أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ ! فَخَرَجْتُ
وَلَمْ أَعُدْ !

عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءَ ، إِنْ كَانُوا
قَدْ أَسَاءُوا مِنْ جِهَةٍ ، فَقَدْ أَحْسَنُوا مِنْ

« الْكُرَيْمَانِ » بَيْنَ سَمْعِ الْجُمْهُورِ وَبَصَرِهِ ،
يَتَرَاشِقَانِ بِحَصَائِدِ الْأَلْسِنَةِ ! وَيَهْتَكَانِ
الْأَسْتَارَ عَنْ مَخْبَيَاتِهِ تَقْنَعُهُمَا بِالْعَارِ
وَالشُّنَارِ ؟ !

قُلْتُ : إِنَّ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْأَدَبِ كَشَفَ
لَنَا عَنْ ضَعْفٍ فِي أَخْلَاقِ الشُّعْرَاءِ ! وَقَدْ
يَسُوْغُ لِي أَنْ أَقُولَ : إِنَّهُ كَشَفَ لَنَا كَذَلِكَ
عَنْ ضَعْفٍ فِي أَبْدَانِهِمْ ! ذَاوُ أَنْهَمِ أَوْتُوا
بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ ، وَشِدَّةً فِي الْأَسْرِ ؛ لِأَغْنَتَهُمْ
بَسْطَةُ أَيْدِيهِمْ عَنْ بَسْطَةِ أَلْسِنَتِهِمْ ،
وَلَعَمَلُوا بِالْمَحْكَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَأْثُورَةِ :

« عَالِقٌ سَوْدَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ »

وَلَكِنْ أَزْنَى لَهْمِ الْعُضَلِ الْمَجْدُولِ ،
وَالسَّاعِدِ الْمَفْتُولِ ، وَالزَّرَاكِيْبِ الْمَوْثُوقَةِ ،
يُرْدِدُونَ بِهَا نِسَاءَهُمْ ! وَقَدْ أَنْجَلَ الشُّعْرُ
أَبْدَانَهُمْ ، وَنَزَفَ قُوَّتَهُمْ ، وَأَوْرَثَهُمُ الضَّعْفَ
وَالْأَبُولَ ! وَأَلْبَسَهُمُ الْهَرَمَ قَبْلَ الْأَوَانِ !
فَلَوْ زَيْنٌ لِأَحَدِهِمْ شَيْطَانُ الْقَوَافِي أَنْ يَمُدَّ
يَدَهُ بِسَوْءٍ إِلَى قَعِيدَةِ بَيْتِهِ ، لَرَاغَتْ عَلَيْهِ
ضَرْبًا بِالْيَحْيَيْنِ ! فَطَارَتْ مَرْكَزُ الشُّعْرِ
مِنْ مَخَّهْ ! وَرَدَّتْ إِلَيْهِ صُبَابَةٌ عَقْلُهُ !

فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مَا يَشْفُونَ بِهِ غِيْظَ
قُلُوبِهِمْ ، فَزَعُوا إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَصْهَبُونَهَا

فلم يكن وكُذَّ الشعراء من هذا الهجو ،
عَصَب النساء بِسُبَّةٍ لَا تُمَحَى ! ولَمَّا كَانَ
الغرض التَّشْفِيَّ بِإِغَاظَتِهِنَّ ! وَلَا شَيْ
أَشَدَّ إِيْلَاماً لِلدَّرْأَةِ ، وَلَا أَسْرَعَ فِي هَدْمِ
كِبَرِيَّائِهَا ، مِنْ وَصْفِهَا بِالْقَبِيحِ وَاللَّدَامَةِ !

هذا هو الوتر الحساس ، الذي يهزها
من أعماقها هزاً عنيفاً ! ولو كانت
تؤمن في نفسها : بأنَّها خلقت على صورة
القرد والخنزير ! ولن تنسى ما عاشت
هذه الإساءة من مخلوق !

فمِمَّا ورد في ذمِّ الزَّوجَات ؛ ما حكاها
الأصمعي ؛ قال : كنت أختلف إلى
أعرابي ، أقتبس منه الغريب ، فكنت
- إذا استأذنت عليه - يقول : يا «أمامة»
ليدني له .

فاستأذنت عليه مراراً ، فلم أسمع
يذكر أمامة ؛ فقلت : يرحمك الله !
ما أسمعك تذكر أمامة !

قال : فوجم وَجْمة ! فندمت على ما كان
منِّي ! ثم أنشأ يقول :

ظَعَنْتُ أُمَامَةَ بِالطَّلَاقِ
وَنَجَوْتُ مِنْ غُلِّ الْوَثَاقِ

جهات ، فأقوالهم قد حُشِنَتْ مُلَحَا
وَفُكَاهَاتٌ مُسْتَعْدِيَةٌ ، وَظَرْفٌ بَارِعٌ يَبْسُطُ
النفوس المنقبضة ! ويُطلق بالضحك
فم الذُّكْلَى وَالذُّكْلَانِ !

وهي - إلى ذلك - تُرينا قدرة الشاعر
على وضع لسانه حيث شاء ، وبراعته على
أقارب الزَّيْنِ شَيْنًا ، وتبديله الحسنات
سيئات !

وفيهما وصف دقيق لكثير من أعضاء
المرأة ، أكسبت البيان ثروة طائلة من
التشبيهات الرائعة ، والاستعارات الجميلة !

وفيهما تصوير للعلاقة الزوجية ، حين
تستحكم النفرة والشقاق ! ويستحيل
غير الطلاق !

وبحسن أن نشير : إلى أنَّ هذا الشعر
قد عرض لمذمة النساء في خلقهن - بفتح
الخاء وسكون اللام - أكثر من خلقهن -
بضم الخاء واللام - والحكمة من ذلك
واضحة ، فهو لاء النساء زوجات أو كنَّ
زوجات ، ورمى الغرائب المحصنات جُرم
شنيع ! وإسفاف ودناءة ! يَمَسُّ عارها
الرجل نفسه ؛ فكيف إذا كنَّ حليلات؟!!

بانت فلم يَأْلَمْ لها
 قلبي، ولم تَبْكِ المسافر
 لَسَوْ لَمْ أَرْخُ بطلاقها
 لأرحت نفسي بالإباق^(١)
 ودواء ما لا تشتهيه النَّـ
 فس تعجيبـ لُ الفراق
 والعيش ليس يطيب بين اثـ
 نئين من غير اتفاق
 وقال أبو موسى في زوجته - وقد طلقها - :
 تَجْهَزِي للطِّلاقِ وارتحلي
 فإذا دواء المجانب الشَّريس
 ما أنت بالحُبَّة الودود ولا
 عندك نفعٌ يُرَجَّى للتمس^(٢)
 لَلَيْلَتِي حينَ بَتُّ طلاقـ
 أَلَدُّ عِنْدِي من لَيْلَةِ العُرْس
 بَتُّ لَيْلَتِهَا بشرٌ منزلة
 لا أَنَا في لَيْلَةٍ ، ولا فَرِي

تلك على الخَسَف لا مُعِين لها
 وذا أَنَا لا يسوغ لي تَفْسِي
 ومن الملح : أَنَّ بعض الأدباء تزوج
 امرأة فلم توافقه ! ففعل له : إِنَّ حُمِي
 دمشق سريعة في موت النساء !
 فحملها إليها وأنشد هذه الأبيات :
 دَمَشْقُ خُلِيهَا وَأَعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةً
 تَمَرُّ بَعْدِي تَعِشْهَا لَيْلَةُ القدر
 أَكَلْتُ دَمَا إِن لَمْ أُرْعِكِ بَضْرَةً
 بعيدة مَهْوَى القُرط طَيِّبَةُ النَّشْرِ^(٣)
 أما لك عُمرٌ إِنَّمَا أَنْتِ حَيَّة
 إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الدَّمِ
 ثلاثين حولا لا أرى منك راحة
 لِهَنَّاكَ فِي الدُّنْيَا لِبَاقِيَةِ العُمُرِ
 فَإِنِ أَنْفَلْتُ مِنْ حَبْلِ « صَبَّة » مرة
 أَكُنْ مِنْ نَسَائِ النَّاسِ فِي بَيْضَةِ العَقْرِ^(٤)

(١) الإباق : الحروب والذهاب . (٢) الحبة - كقبة - الحبيبة .

(٣) أَكَلْتُ دَمَا : كناية عن أنه يرضى بالدية من أخذه الثَّار وهو عندهم ضعف وذلة . وبعيدة مهوى القُرط : كناية عن طول العنق .

(٤) لِهَنَّاكَ : لأنك ، أبدلت الهمزة هاء .

(٥) بيضة العقر : بضم فسكون - : آخر بيضة الدجاج ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة . يريد أنه لا يتزوج بعد ذلك .

وهذه الأبيات وما قبلها تجلو لنا حكمة
الطلاق في أبي معرّض ! فإنه وإن كان
أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فإنه كثيرا
ما يكون نعمة على الزوجين ، لا تطيب
لهما الحياة بدونه ! والشارع أعلم بمصالح
العباد !

وقال آخر يهجو امرأته : بأنّها مضياح
خرقاء ، وهما خصلتان عمّت بها البلوى
في عصرنا الحاضر ! فكل زوج منهما
في همّ مُفْعِلٍ مُقِيم !

يقول :

وإنّ بلائي من « رُدَيْنَة » كلّما
رجوت انتعاشا أدركتني بعائر
تُرِدُّ ماء « السّعن »^(١) في ليلة الصّبا
وتستعمل الكركور^(٢) في شهر ناجر
أما الهجاء بذكر العيوب البدنية ،
فقد قدّمنا أنه كثير ، وسنقتصر على
أملحه وألفه وأعفه !

فمن ذلك قول بعض الأعراب :
لها جسمٌ برغوثٍ وساق بعوضةٍ
ووجهٌ كوجه القرد بل هو أفبح
وتبرق عينها إذا ما رأيتهما
وتعبس في وجه الضجيج وتكلّع

وتفتح - لا كانت - فما لو رأيته
توهّمته بابا من النار يُفْتَحُ
فما ضحكت في الناس إلّا ظننتها
أمّامهم كلّها يهرّ وينبّسح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها
تعوّد منها حين يُغشى ويُضْهِج
وقد أعجبتها نفسها فتملّحت
بأى جمالٍ ليت شعري تملّح^(٣)

وقال آخر :

الأم على بُغْضٍ لما بين حيّة
وضبع وتمساح تَغْشَاك من بحر
تُحاكي نعيّا زال في قُبْح وجهها
وصفحتها - لما بدت - سطوة الدهر

(١) السّعن - كسمن : قرية تقطع من نصفها ويند فيها .

(٢) الكركور : من أدوات التسخين . وناجر من شهر الصيف .

(٣) تملّحت : تحسّنت .

وئسدى يجول على نحرها
كقربة ذى الغلّة المغطس
وساق مخلخلها حمشة
كساق الجرادة أو أحمش^(٤)
كأن الشاليل فى وجهها
إذا سفرت يد الكشمش^(٥)
لها جمّة فوقها جثلة
كمثل الخوافى من المرعش^(٦)

وقد يكون للهجا سبب ؛ لا تملك معه
إلا أن تمهد بعض العذر للشاعر ؛ فمن
ذلك ما حكاه الكلابى : من أن أعرابيا خطب
شابة بالبصرة ، فدسوا إليه عجوزا !

فلما دخل بها وأرخيت الستور ،
وغلقت الأبواب ، ضجر وطالت ليلته !
حتى إذا أصبح وأراد الخروج ، منع من
ذلك ! وقيل له : لا ينبغي لك أن تخرج

هى الضربان فى المفاصل نازلا
وشعبة برسام ضمنت إلى النحر^(١)
إذا سفرت كانت لعينك سُخنة
وإن برقعت فالفقر بل غاية الفقر
وإن حدثت كانت جميع مصائب
موفرة تأتي بقاصمة الظهر
حديث كقلع الضرس أو نتف شارب
ودل كحطم الأنف عيل له صبرى
وتفتّر عن قلح - عذمت حديثها -
وعن جبلى طى وعن هرمى مصر^(٢)

وقال الحنفى :

منيت بزمرودة كالعصا
ألص وأخبث من كندش^(٣)
لها شعير قرد إذا أزيئت
ولون كلون القطا الأبرش

(١) الضربان - كسرطان - : نخمة ووجعة . والبرسام - بكسر الراء - : علة يهلى منها .

(٢) قلح - كحمر - : أى أسنان صفر . من القلح - كسبب - وهو صفرة فى الأسنان .

(٣) كندش : - بضم فسكون - : المعقق ، وهو طائر خطاف .

(٤) حمشة الساق : دقيقتها .

(٥) الكشمش : بئر صفار صلب مستدير على صور شئ . والكشمش - كسمم - : عنب صفار يكون
أصفر وأحمر وأسود .

(٦) المرعش - ككرم بفتح العين وكقعد - : جنس من الحمام يحلق فى الهواء .

إلا بعد سبعة أيام ! فقال - يشكو مصابه
ويبكي حريته ! - :

أقول وقد شدوا عليها حجابها
ألا حبذا الأرواح والبلد القفر
ألا حبذا سيني ورحلى وتُمرق
ولا حبذا منها الوشاحان والشذر^(١)

أتوني بها قبل المحاق بلياسة
فكان محاقا كله ذلك الشهر
عجوز تُرجى أن تكون فتيسة

وقد يبس الجنبان واخدوب الظهر
وما غرنى إلا خضاب بكفها

وكحل بعينيها وأثوابها الصفرة
تسألني عن نفسها هل أحبها

فقلت ألا لا والدي أمره الأمر

تفوح رياح المسك والعطر عندها
وأشهد عند الله ما ينفع العطر

ويشبه ذلك ما قصه عبد الملك بن
عفان ، قال : تزوج ابن عبدل امرأة

من ههنا . فلما دخل بها ، لم تقع عنده
بموقع ! فقال :

أعاذلتى - بربكما - دعانى
أقلاً اللوم إن لم تغلراني

فإني قد دليت على عجوز
مبرقة مخرقة مخضبة البنان

تغصن جلدتها واخضر إلا
إذا ما ضرجت بالزعفران

فلما أن دخلت وحادثتني
أظلتني بيوم أرونان^(٢)

تحدثني عن الأزمان حتى
سمعت ندا المؤذن بالأذان ؟

فقلت قد نكحت اثنين شتى
فلما صاحباني طلقاني

وأربعة نكحتهم فماتوا
فليت عريف حتى قد نعاي^(٣)

(١) الترق - كفتدق - : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرجل . والشذر : قطع من الذهب تعلق من
معدله بلا إذابة ، أو خمرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار .

(٢) يوم أرونان : صعب .

(٣) العريف : رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس .

وقالت ما تِلَاذُكَ قلت مالى
 حمار ظالع ، ومزادتان^(١)
 وبورى وأربعه زُيوف
 وثوباً مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقَانِ^(٢)
 فقالت قد رضيت فسم ألفا
 ليسمع ما تقول الشاهدان
 ومالك عندنا ألف عتيد
 ولا تسع تُعد ولا ثمان
 ولدعبل الخزاعي في هذا الباب قدم
 راسخة ، ولكن المبالغة والإغراق في تصوير
 العيوب ، وإبرازها في إطار من التهويل ،
 قد أفسد عليه قصده ، فاستحال هجاؤه
 ضرباً من المفاكهة والتندر ، حتى ليخيل
 إليك أنه كان يقصد العبث والتلعب ،
 لا حقيقة الهجاء ! ولا أظن زوجه وجاريتيه
 حين هجأهما بهذا الشعر الذى سنسوقه
 للقراء ، إلّا قابلاته بالضحك والسخرية !

يقول فى امرأته .
 يا رُكبتى جَزُر وساقٍ نعامسة
 وزبيل كنّاس ورأسٍ بعير^(٣)
 يا من أشبهها بحمى نافض
 قَطّاعة للظهر ذاتُ زفير^(٤)
 صُدغاك قد شَمِيطا ونحرك يابس
 والصدر منك كجوجر الطنبور^(٥)
 يا مَنْ مُعانقهما يَبِيت كأنه
 فى مَحْبَسٍ قَمَل ، وفى ساجور^(٦)
 قبلتها فوجدت طعم لِثَاتِهَا
 فوق اللثام كلسعة الزنبور
 ويقول فى جاريتيه « غربال » :
 رأيت « غربا لا » وقد أقبلت
 فأبَدت لعينى عن مَبْصَقِهِ

(١) ظالع : يغمر فى مشيه . والمزادة : ما يحمل فيه الماء « القربة » .

(٢) البورى : الحصير .

(٣) الجُر - كجر - الشاء . والزبيل - كزميل - : القفّة .

(٤) النافض من الحمى : ذات الرعدة .

(٥) شَمِيطا : من الشمط - كسب - وهو بياض الشعر يخالطه سواد . والجُزجُر : الصدر . والطنبور من آلات الطرب « العود » .

(٦) قمل - كفرح - كقمل القمل . والساجور : خشبة تجعل فى عنق الكلب .

أَلِيمٌ بِهَا لَا تَسْلِيمَ وَلَا مِقْسَمَةَ
إِلَّا لِيَكْسَرَ مِنْهَا أَنْفَهَا الْحَجَرُ
أَلِيمٌ بِرُطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةً
فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ^(٥)
حَدْبَاءُ وَقَصَاءُ صِيغَتِ صَيْغَةٍ عَجَباً
وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرٌ^(٦)

وقال آخر :
تَمَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنِهَا
وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٧)
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبِ حَقِيقِ
أَقْصَرَ فِرَاسَ الَّذِي قَدِ عَيَّبَتْ لِلْحَجَرِ

وقال آخر :
لَا تَنْكُحَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ أَيْمًا
مُخْرَمَةٌ قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ^(٨)
تَحُكُّ قَمَاهَا مِنْ وَرَاءِ خَمَارِهَا
إِذَا فُقِدَتْ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُنَّتْ

قَصِيرَةٌ خَلَقَ وَدَحْدَاحَةٌ
تَدَخَّرَجُ فِي الْمَشْيِ كَالْبُنْدُقَةِ^(١)
كَأَنَّ ذِرَاعًا عُلَتْ كَفُّهَا
- إِذَا حَسَرَتْ - ذَنْبُ الْمَلْعَقَةِ
تُحْطِطُ حَاجِبُهَا بِالسَّدَادِ
وَتُرْبِطُ فِي عَجْزِهَا مِرْفَقَهُ
وَأَنْفٌ عَلَى وَجْهِهَا مُلْصَقٌ
قَصِيرُ الْمَنَاخِرِ كَالْفُسْتُقَةِ
وَتُدْيَان : ثَدْيٌ كَبَلُوطَةٌ
وَأَخْرُ كَالْقَرِيصَةِ الْمَفْهَقَةِ^(٢)
وَصَدْرٌ نَحِيفٌ كَثِيرُ الْعِظَامِ
م تَقَعَّقُ مِنْ فَوْقِهِ الْمِخْنَقَةُ^(٣)
وَتَغْرُ إِذَا كَثُرَتْ خِلَاتُهَا
- يُخَالِجُ - ذَاوِيَةٌ مُغْلَقِيصَةٌ
وقال آخر :
أَلِيمٌ بِجَوْهَرٍ بِالْقَضْبَانِ وَالْمَدَرِ
وَبِالْعَصَى الَّتِي فِي رَأْسِهَا عَحْرٌ^(٤)

(١) دحداحة : قصيرة .

(٢) المفهقة : المثلثة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) العجر : العقد جمع عقدة .

(٥) الوطباء : العظيمة الثديين .

(٦) الوقصاء : قصيرة العنق . والترايب : عظام الصدر . والزور - كسبب - : الميل .

(٧) الملح : الملاحه . أى تمت فى كل شئ إلا فى الملاحه ، وبعدت منها المحاسن بعد الشمس والقمر .

(٨) الأيم : التى فارقتها زوجها بموت أو طلاق . مخرمة : كثر الدعاء عليها باخترام المنية لها .

ولنختم مقالنا بهذه الطرفة ؛ يذكر
 بعض أتتياخ البصرة : أن رجلا وامرأته
 اختصما إلى أمير من أمراء العراق ؛ وكانت
 المرأة حسنة المتعقب ، قبيحة المنظر ،
 كانت ذات لسان فصيح ؛
 فكان العامل مال إليها ، وظن أن
 تحدث القبيح عادة فاتة ؛ فقال : يعمد
 أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ، ثم
 يسئ إليها ؛
 فأهوى الزوج ، فألقى النقاب عن
 وجهها ؛ فقال العامل : عليك اللعنة ؛
 كلام مظلوم ، ووجه ظالم ؛
 على الجندي
 عضو المجمع



ابن العوام

للدكتور عبد الحليم منتصر

أسبانية سنة ١٨٠٣ . وينقسم الكتاب إلى أربعة وثلاثين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى في الفلاحة ، بينما تبحث الأربعة الأخيرة في تربية الماشية . وقد أعطى « مايرن » خلاصة لهذا الكتاب في : "Geschichte der Botanik" ونشر كليمان ميرليه « ترجمة فرنسية لهذا الكتاب ١٨٦٤ ونقد « دوزى » ثم « هنكاده » كلا من المترجم والناشر .

وقد قدم ابن العوام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « أطلبوا الرزق في حنايا الأرض » وقوله « من غرس غرساً أو زرع زرعاً . فأكَل منه إنسان أو طائر أو سَبَّع كان له صدقة » وقوله « من غرس غرساً فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بقدر ما يخرج من الثمر » كما أورد بعض الأقوال المأثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه « عليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم » ومن ذلك أن يتفقد صاحب الضيعة ضيعته بنفسه ، ولا يغيب عنها ، ولا سيما في وقت عملها وفلاحتها ومن الأمثال في هذا تقول الضيعة لصاحبها « أرني ظلك أعمر »

أبوزكريا بن محمد بن العوام الأشبيلي ، اشتهر بكتاب كبير في الفلاحة عنوانه « كتاب الفلاحة » لانكاد نعرف شيئاً عن حياته ، إلا أنه كان يعيش حوالى نهاية القرن الثاني عشر الميلادى ، وأن أصله من أشبيلية ، وقد ذكره ابن خلدون ، دون أن يعرف له هذا المصنف ، الذى كان يعتبره مرجزاً لكتاب « الفلاحة النبطية » لابن وحشية ، ولم يذكره « حاجى خليفة » . ولا ابن خلكان .

وكان « كازبرى » في فهرسه ، أول من نبه الأذهان إلى المخطوط الكامل لهذا الكتاب المحفوظ بمكتبة الأسكوريال . وقد نشر بانكوير هذا الكتاب مع ترجمة

وقد سمي ابن العوام المراجع والمصادر التي استقى منها ، ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتأ يذكرها ، كلما أراد ، فهذا الغرناطي (غ) ، وجالينوس (ج) وقسطوس (ق) ، وأرسطوطاليس (ط ط) وطامثري (ط) وهكذا . ويقول إنه لم يُثبت إلا ما جربه مرارا فصيح ، ويقول أحيانا إنه لم يقطع بأن هذا يصح في بلادنا ، لبعد بلادهم عنا كما أنه حدد المقاييس وعرف المصطلحات كالطمر ، والكمخ ، والنبش .

وتسمي الأشجار التي توافقها . ثم يذكر تزييل الأرض والأشجار المغروسة وغير المغروسة وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الأرض المألحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل في سقى الأشجار والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقى الكثير ، ويصف عملية تذكير الأشجار ، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمنافرة ، ويفرد بابا خاصا لعلاج الأشجار من الداء والأمراض وكذا علاج البقول والخضر . ويتحدث في باب آخر : عما سماه دُلحا مستطرفة تُعمل في بعض الأشجار والخضر ، وتغيير لون الورد ، وتدبير في الورد حتى يورد والتفاح حتى يثمر في غير أيامه . ويشرح كيفية العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره مما يمكن أن يسمى الصناعات الزراعية .

ويتحدث في الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ومنفعته وإصلاح الأرض بعد كلالها وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطاني واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من أنواع الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدخن

وقسم الكتاب إلى جزأين ، يقع الأول في ستة عشر بابا ، كما يقع الثاني في ثمانية عشر بابا . وخص الجزء الأول في معرفة أنواع الأراضي ، وأنواع الأسمدة ، وأنواع المياه ، والبساتين ، واتخاذ الأشجار والثمار ، ثم في تطعيم الأشجار وتسمي الأشجار المعتاد زراعتها ، ويقول في أغلب بلاد الأندلس . الجبلى والريفى والسهلى ، نحو خمسين نوعاً . ويتكلم في الباب الثامن عن تركيب الأشجار بعضها في بعض ، وأوقاته وكيفية اختيار الأقلام ثم تقليم الأشجار ، وتحدث في الباب العاشر عن حرارة الأرض المغترسة

ويتحدث في الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ومنفعته وإصلاح الأرض بعد كلالها وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطاني واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من أنواع الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدخن

مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ،
ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع .

وكذلك نرى أن الكتاب على بعد عهده
يعالج كل العلوم الزراعية تقريباً في
أسلوب سهل جذاب ، لا تمل قراءته إن
اتسم بالأمانة في العرض والاستشهاد ،
ثم يتبع ذلك بقوله : لى . وذلك حين
يعرض رأيه هو . وفيما عدا ذلك فإنه
ينسب الأقوال إلى قائلها من ابن حجاج
إلى يוניوس أو قسطوس . الخ

يقول ابن العوام أول مراتب علم الفلاحة
معرفة الأرض ، والسواد دليل الحرارة
كذلك الحمرة ، إلا أن حر الحمرة أقل
من السوداء ، ثم يتلوها الصفرة ، إن أنت
مارست الطين بيديك فأصبته شبيهاً
بالشمع يلصق شديداً فاعلم أنها أرض غير
موافقة للبقول ولعله يقصد الأرض الطينية
الناعمة ، ويقول هذا قول « يוניوس »
ويقول إن بعضهم يستدل على طيب
الأرض وذناتها بأعشاب نبتتها ، لا تكاد
نخطئ الاستدلال بها ويمثل بنباتات
لا تنبت إلا في الأرض الجيدة ، وأخرى
تنبت في الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت
في كليهما . وهذا ما يسمى في العلم الحديث

والجلبان واللوبيا سقيا وبعلا ، ثم زراعة
القطاني سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب
والقطن وبصل الزعفران والقوة ثم اتخاذ
المباقل واختيار أرضها ، وذكر ما يصلح
أن ينقل ، ويخصص أبواباً متتابعة لزراعة
البقول ذوات الأصول مثل السلجم والجزر
والفجل ثم القثاء والبطيخ والدلاع
والباذنجان والحنظل ثم البذور المستعملة
في الأدوية كالكمون والكزبرة والكرامية ..
ما يمكن أن نسميها النباتات الطبية .
ويخصص فصلاً للرياحين وثاني لأنواع
النبات التي تتخذ منه الجنان وثالث
لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع
الحاصلات وتدرس . وخص الباب الثلاثين
لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب
ومعاصر الزيت .

أما الأبواب الباقية من الكتاب فقد
خصصها ابن العوام لما نسميه تغذية
وتربية الحيوان وكذا أمراض الحيوان ،
فتحدث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة
الحمل ، وما يصلح من العلف . وعلاج
بعض أدواها ثم التسمين والعلف ، ورياضة
الأمهار ثم علاج بعض علل الدواب ، مما
يمكن أن يسمى بيطرة . وتحدث في فصل
خاص عن اقتناء الحيوان الطائر في البيوت

أن النباتات كواشف للبيئة ، وهى كما يقول ابن العوام لا تخطئ أبدا .

يقول : وأجود الأرض البنف سجية ثم شديدة الغبرة ، فيها تخلخل وطعم ترابها عذب ، لعله يريد أن يقول إنها مسامية خالية من الأملاح . وأنه ليجرى التجارب ، وإن كانت بدائية إلا أنها تدل على اعتمادها على المنهج التجريبي . فهو يطلب إليك أن تأخذ قدرا معينا من التربة ، وترجه بالماء الحار ، وتتذوق الماء وتبين رائحته ، ويطلب أن تلاحظ ما ينبت بها من نبات برى ، إن كان قميئاً أو قوياً . ويقول إن البعض يكتفون فى امتحان الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة مثل السوس والعوسج والشوك والعليق فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة ، فيدقونه ويقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات . فيستدلون بالخلاف والوافق . وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العملية . وعلى أسس علمية سليمة يقول ابن العوام . وهناك الأرض المالحة ، والنزه ، والغدق ، والرخوة ، والدسمه المفرطه فى ذلك والقابضة والحامضة الحارة ، والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحصاف والمفرطة

التكزز ، وما أظن علم الأراضى الحديث يزيد على هذه الأنواع ، وإنما ابتكر المقاييس والتعاريف المختلفة . ثم يذكر ما يصلح لكل منها من نبات . وكيفية معالجة كل نوع من هذه الأراضى . ويقول : والأرض المالحة ، وهى أنواع منها ما يشرب طعمها مع الملوحة حموضة ومنها ما يشوبه معها مرارة ، ومنها ما يشوبه معها قبض ، ويضيف وللملوحة علاج عام وعلاج خاص وإن زرع فى هذه الأرض حب الأزاد رخت واللوز المر والآس وشجر الغار ، لقطت هذه الأشياء المرارة كلها حتى تصلح صلاحاً تاماً ، ويتم صلاحها بتكرير التزييل الحصوص المرافق . ويقول اهرب كل الهرب من الأرض المالحة والرمل المالح ، يقول من صفات الأرض التخلخل والرخوة والتكزز والتنكيد . ويذكر تجربة لمعرفة نوع الأرض ويقول يحفر ثلاث حفر ، عمق نصف ذراع ويجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم يأخذ من أرض متخلخلة غير مكتزة ويوضع فى الحفائر فإن بقى شئ كانت مكتزة ، يقول والأرض المتخلخلة تصلح للغرس . والصلبة المكتنزة لا تصلح ، وشديدة التلزز من طبعها تحبس الماء

وأنه ليرصى بتجربة الشمة لمعرفة ما إذا كان فى البشر بخار دؤدى . رطريقة لإخراج هذا البخار ، وهى طريقة مؤكدة صحيحة وأنه إيوصى فى غرس البساتين ، بالا يكون غرس الأشجار غرساً مختلفاً ، لكن يغرس كل واحد منها قريباً من جنسه ، لئلا يغلب القوى منها الضعيف ، فبعد ذلك الضعيف منها ، وينبغي أن تكون الفرج التى بين الغروس على قدر طبع الأرض وقوتها ، ويضيف وأجود جميع الغروس التى تحرل ، وخير غرس الشجر ما يكون من غصون ، وأن الغروس التى من البذور فى الجملة أضعف من جميع الغروس ولا تغرس الأشجار التى تعظم مع الأشجار التى لا تعظم ، ولا التى تتعرى من أوراقها مع التى لا تتعرى منها وكذلك ما يأتى منها فائدة فى وقت واحد ، يغرس معاً فى جهة واحدة ، مثل التفاح والأجاص والكمثرى والمشمش لتخفف المؤونة فى حرازتها . وبعد أن يذكر إجماع حذاق الفلاحين على ألا تقرر هذه الأشياء فى مواضعها ، بل تنقل ، وذلك مثل الجزر واللوز وشاه بلوط والخوخ والأجاص والنخل والصنوبر والسرو والغبيراء والغار والصنوبر والمشمش

فلا تمص كثيراً ، ولا تجذبه إلى باطنها ويقول : ويصلح فى الجبلية منها على حال مع كثرة العمارة ، شجر الزيتون والخروب والبلوط والشاه بلوط والغبيراء والكمثرى والأجاص والقراصيا . ثم يقارن بين أنواع الأسمدة البلدية . ويقول : هذا رأى يونيوس أما قسطوس فيرتبها الأزبال والأثبان والأرمدة ، إما مفردة أو مركبة . ويخصص فصلاً لكيفية استعمال الأزبال فى الشجر والخضر . ويقول : وهذه مع منفعتها للنبات فلأنها تنفع الأرضين التى فيها النبات والتى لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه إن طرحت فى أرض رديئة أصلحتها ، وإن كانت الأرض صالحة زادت صلاحية فى طبيعتها وقوتها ، وكذلك هو فعلها فى النبات والشجر . التقوية والصلاح ودفع العوارض الردية عنها .

ويتحدث عن أنواع المياه المستعملة فى سقى الأشجار والخضر ، فيقول هناك الماء العذب ، والماء المر ، والماء المالح الزعاق . والماء القابض العفن ، والماء الذى غاب عليه طعم بعض المعادن .

يقول : ويستدل على قرب الماء بأنواع النبات وبلون وجه أرض وطعمه وريحه .

والفستق ، فإذا حال عليها حولان ،
حوالت كلها إلى مكان آخر .

يقول : وما ينبغي أن يغرس من فروع
تنزع من الشجر ، التفاح فالقراصيا ،
والآس ، والزعرور ، ثم يضيف ، ومن الناس
من يحد إلى زرع هذه الأشجار فيميلها
ويطمرها في التراب ، حتى يصير لها
أصول ثم ينقلها ، وهو بذلك يصف
ما نسميه « الترقيد » . يقول والأشياء
التي تغرس في أوتاد التوت ، والأترج
والسفرجل والزيتون والطرفا والمحرق ،
وهذه هي أيضا إن نقلت فغرس
تكون أجود . وأما شجرة التين ، وإن
كانت من الأشجار اللينة (المعمرة)
فلتحريف عودها وخوره ، رأوا غرسه من
القضبان الرقاق . ويتابع وصفه لطرائق
التكاثر الخضرى في الأشجار المختلفة ،
فيقول : تنقل القضبان من الترميدانات
(المثائل) بطيها ، وتطمر ثلاثة أرباعها
ويبقى الربع بارزا ، وينبغي أن تكون
الترميدانات في أرض لم تفاح ، جافة وأن
تكون الشمس مشرقة عليها ، وتصل إليها
الرياح الجارية ، وينبغي أن تقلب هذه
الأرض قلبا مستقصى لتنزع أصول

الحشائش ، ويحفر حول الغرس مرة كل
شهر ، وأن تكون الآلات صغارا جدا
لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط
الفروع التي تنبت في الغرس ، وهي
غضة قبل أن تخشن وينبغي أن تكون
الأرض التي تحول إليها الغرس من
وضع تربتها مقاربة في الصفة للأرضين
التي ابتداء زراعتها فيها أو مثلها ، ولا تحول
من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول : في أوقات الغرس ، أنها تختلف
على قدر اختلاف البلدان والأمم ، أو الربيع
أو الخريف ويضيف : وإذا أردت أن تأخذ
الغرس من أى نوع شئت كان ، قطعاً ،
أو خلا ، أو ملحاً ، أو وتدا ، أو غرساً
بأصله ، فلا تأخذ إلا ما يلي الشمس ،
فهى تحره وتدينه ، وكلما أحرق الشمس
فهو أجود ولا تأخذ غرساً أبداً من ناحية
الشمال ، وما جاوز الشمال فإنه ظليل قليل
الحمل ، قليل التعلق . ينبغي أن تأخذ
الأغصان من أعلى الشجرة . ويضيف قول
سيداغوس : « ينبغي ألا ننقل ما كان من
من الملاح والقضبان والنوى والأوتاد
منشوء على السقى والرطوبة الدائمة إلا إلى
مثل ما كان عليه ، فينبغي أن ينقل السقى

أو بعض الوصفات البلدية ، أو الملح الطريفة ، ويقول لم أذهب إلا إلى التأسيس باتفاق المتقدمين على الأشياء التي قصصتها ، ولعلم أن هذا إجماع من حذاقهم ، ليعمل به ويعقد عليه . ولو أتى أوردت قول أحدهم دون أصحابه لم آمن أن يظن أنه قد شذ عن نظرائه ، فأوردت أقوالهم بحسب ما لقيتها ليكون الأمر أوكد عنده وألزم له . وفضلا عن ذلك فإنه حين يتحدث مثلا عن غرسة الخوخ والمشمش والنارنج والجوز والدردار وقصب السكر ... الخ يلزم في كل حالة باختبار الأرض ، وطريقة الغرس ، وموعده ، وطريقة السقي والتعهد ، مما لا يبقى معه زيادة لمستزيد .

ذلك هو ابن العوام عالم الزراعة القديم ، وتلك طريقته في البحث ، كما عرضها في كتابه الفلاحة الذي نقدمه في هذا الحديث .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

إلى السقي ، والبعل إلى البعل ، وأنه ليقارن بين أقوال يونس وديمقراطيس ، وبنهاريس وتسطوس ، وابن حجاج ، والحاج الغرناطي وغيرهم ، ثم يقول : وتختار للغراسة من الأشجار أكثرها حملا وأطيبها طعماً ، فإن المؤونة والنفقة في غرسة النوع الجيد وعمارته والردىء سواء ، فغرسة الجيد أولى ، وأنه ليدكر ما آثرت ذلك فيضيف : قالوا نغرس الأشجار في زيادة القصر ، فلإنها تطول وتغلظ وتفرط في ذلك ويكثر حملها إذا غرست في ذلك الوقت . وبالصمد من ذلك فيما يغرس أو يزرع في نقصانه ، وأنه ليؤيد آراءه أحيانا بقوله « قال ابن الحجاج رحمه الله : هذا إجماع من حذاق أصحاب الفلاحة على كراهة غدران الناس وكراهة الافراط في الزبل لشجر الزيتون ، فبعد أن يذكر آراء سلفه يقول : لي : جربت ذلك فصح . كما يورد بعض الأحاديث النبوية

بين القافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي

الدكتور إبراهيم أنيس

وإذا كان هذا هو حكمنا على لغتنا العربية في مجوعها ، أى من حيث أصواتها وصيغها وتراكيبها في جل صنوف الكلام وأساليبه ، فأولى بهذا شعرها ، لأن الموسيقى أهم ما يتسم به الشعر. ليس من المغالاة إذن أن نتوقع في تلك البيئة الجاهلية ، شعرا كملت موسيقيته فأطرب السامعين في أسواقها ، وهز قلوبهم ونفوسهم هزا عنيفاً .

وحدث أن كنا أخيراً نندارس بعض ظواهر الشعر الإنجليزي في كتب الأدب والنقد فراعنا أن وجدنا شيئاً لا تسمح به قافية الشعر الإنجليزي ونعلم في نفس الوقت أنه جائز في شعرنا العربي . ولم يكن هذا الأمر قد خطر لي وأنا أولف كتابي « موسيقى الشعر » منذ ما يقرب من عشرين عاماً .

لنا في بحث سابق أن الامية التي سادت في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام كان لها دور كبير في صيغ ألفاظ اللغة العربية وأساليبها بصيغة موسيقية . وذلك لأن القوم قد اعتمدوا ، من حيث اللغة ، على الآذان في تلقيها ، وعلى الألسنة في أدائها ، فمرنت الآذان والألسنة ، وأصبحت الآذان مرهفة حساسة تميز الجرس الجميل المطرب من النابي النشاز ، كما أصبحت الألسنة ذلقة لبقة تنطلق بأصوات اللغة في وضوح وتطريب. وترتب على كل ذلك كلف القوم بنغمات كلامهم ، وحرصهم على جرسه ، واستمتاعهم بجمال أصواته ، وتحاشيهم لكل ما يتعثر فيه اللسان وينبو في الآذان^(١)

(١) دلالة الألفاظ : ص ١٩٥ - ٢٠٦

ولإزاء تلك الظاهرة التي وقفنا عليها في القافية الإنجليزية ، نحيل إلينا لأول وهلة ، أن القافية الإنجليزية ، أدق في موسيقيتها من القافية العربية .

فبدأننا نتساءل : هل يعقل مع ماقررناه من اتسام العربية بالموسيقية ، وحرص أهلها على تلك السمة أن تتسامح فيما لا تتسامح فيه لغة أخرى ؟ وأن يجوز شعرها ظاهرة مهما كانت لطيفة في السمع ولا تكاد تدركها الأذن ، في الوقت الذي تأبأها لغة أخرى ؟ !

ثم اطمأنت النفس حين تذكرنا أن القافية العربية في أغلب حالاتها من النوع الذي يسمى بالقافية المطلقة وهي التي يحرك فيها الروى بحركة قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح حرف مد ، بل قد يكون حرف المد الذي تنتهي به قافيتنا العربية جزءاً من بنية الكلمة التي ينتهي بها البيت . فلنستمع لأمير الشعراء «شوقي» يقول :

ريم على القاع بمن البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
لما رنا حدثتني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمي

فالروى في هذه القصيدة هو حرف «الميم» وقد حرك بالكسرة التي قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح ياء مد ، ولذلك قابلتها وانسجمت معها ياء المد الأصلية في الفعل « رمى » وهي جزء من بنية الكلمة . ويعتمد الروى على هذه الحركة في تردد وصدى القافية وحسن موسيقاها . ويتصور من لا دراية لهم بطبيعة الأصوات أن مثل هذه الحركة صوت تافه لا أثر له في السمع ، غير أن الدراسة الصوتية الحديثة تبين بجلاء أنها أوضح في السمع من الروى نفسه ، وتلقفها الأذان في وضوح وقوة لا تقل عن الروى . فهي مما يسميه الصوتيون بأصوات اللين أو ال Vowels التي تعد أوضح الأصوات في كل لغة وأقبل التغمي بها . ليست العبرة هنا بوظيفتها النحوية وإنما العبرة بوقعها في الأذن .

وقد تبين لنا في إحصاء سابق أن نحو ٩٠٪ من الشعر العربي ، قديمه وحديثه وقعت فيه القافية المطلقة وهي التي لا يكاد يعرفها الشعر الإنجليزي الذي تنتهي أبياته بحروف ساكنة كما هو معروف ؛ أي أن المقارنة بين القافية العربية والقافية

الإنجليزية لا تكاد تعرف هذا النوع ،
اتضح من ذلك جنوح أكثر نحو الموسيقى
في القافية العربية .

وقد يتوهم بعض الدارسين أن القافية
المطلقة قد وقعت أيضاً في الشعر الإنجليزي
حين يقرأ تلك الأشعار الإنجليزية القليلة
أو النادرة التي فيها يجد أن القافية قد
انتهت بكلمتين مثل : Fro مع Free. So مع
Blue. Sea مع Woe. Drew مع Below . ويتصور
لذلك أن القافية هنا تشبه القافية العربية
المطلقة لأنها تنتهي في كل من القافيتين
بحرف مد ! !

وفي الحق أن القافية المطلقة في الشعر
العربي لم تسم كذلك لمجرد انتهائها بحرف
مد ، بل لا بد فيها من أمرين : الروى
أولا وهو حرف عادى كالسين أو الميم مثلاً
ويضاف إليه حرف المد ، ففيها عنصران
أساسيان هما : الروى + حرف المد
في حين أن الإنجليزية في الأمثلة الآتية
الذكر قد اعتمد كل منها على حرف المد
وحد ، فكأن القافية العربية إذا قورنت
بالإنجليزية ، تشبه ما يسمى بلزوم
مالا يلزم ، أو بعبارة أدق يكثر فيها تردد.

الإنجليزية تقتصر على ما نسميه في شعرنا
بالقافية المقيدة التي لا تجاوز في الشعر
العربي ١٠٪ بل نحن هنا نقصر المقارنة
على ما قبل الروى من حركة أو حرف مد
في تلك القافية المقيدة .

وقبل أن نعرض لتلك الظاهرة التي
أزعجتنا لأول وهلة ، وقبل أن نحاول
تفسيرها وبيان الحقيقة في أمرها ، يجدر
بنا أن نبين بما لا يدع مجالاً للبس أو
الوهم أن القافية في الشعر العربي بوجه
عام أكثر موسيقية وأجمل وقعاً في الآذان
من القافية في الشعر الإنجليزي مؤسسين
هذه الحقيقة على الأسس الصوتية التالية :

أولاً : أن القافية المطلقة أوضح في السمع
وأشد أسراً للأذن ، لأن الروى فيها يعتمد
على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد
وتشبه حينئذ حرف مد . ومن المقرر
في علم الأصوات أن حروف المد
أوضح في السمع من الحروف الأخرى
كالعين والفاء مثلاً . وإذا كان قد ثبت
لنا عن طريق الإحصاء أن القافية العربية
في الكثرة الغالبة من صورها من النوع
المسمى بالقافية المطلقة وأن القافية

أما في حالة واو المد وياء المد فيأبى معظم أهل العروض اعتبارهما رويًا ، ويتطلبون أن يسبق كل منهما في القافية العربية بحرف عادى هو الروى الحقيقى للقصيدة كالدال أو النون مثلا .

ومع أننا لا نكاد نعثر على شعر عربى محقق النسبة فيه واو المد أو ياء المد بمثابة الروى ، نجد أن بعض المتسامحين من العروضيين يقبلون ذلك حين تكون واو المد أو ياء المد حرفاً أصلياً من بنية الكلمة ، فإذا كان زائدا رفضوا الاعتراف به رويًا . ويستقبحون لذلك ما يروى عن مروان بن الحكم أنه قال :

وهل نحن لإمثلة من كان قبلنا
نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا
وينقص منا كل يوم ليلة
ولا بد أن يلقي من الأمر ما لقوا

* * *

ومع أن معظم المستنيرين من العروضيين لا يسمحون بقبول حتى الأصلية من واو المد وياء المد بوصف كل منهما رويًا ، نجد أن قلة من العروضيين يقنعون بذلك ويمثلون له بهيتين تبدو عليهما الصنعة

الأصوات فيكسبها جمالا موسيقياً أكثر مما قد يتصور في نظيرتها الإنجليزية ، إذ ليس في القافية الإنجليزية في هذه الحالة ما يناظر الروى العربى .

ولعل الذى سوغ على كره ، قبول ذلك فى الشعر الإنجليزى أن النبر فى الأمثلة السابقة يقع على الحركة الطويلة أو حرف المد الذى تنتهى به القافية ، فى حين أن طبيعة اللغة العربية تأبى وقوع النبر على المد الأخير من الكلمة ، ولذلك لا يقنع به السامع فى الاعتماد عليه وحده لتكوين النغمة الشعرية ، ويتطلب معه ما يسمى بالروى . فإذا أريد في بعض الحالات الوقوف على حرف المد الأخير من الكلمة العربية ونبره حينئذ ، استحسنت لغتنا العربية أن يوصل حرف المد بهاء السكت ، أو همزة الوقف ، أو بما يسمى نون الترتم .

وهذا هو السر فى تردد معظم العروضيين بصدد وقوع حروف المد رويًا ، ولم يجوزوا منها إلا الألف استثناسا بتلك القصائد التى تسمى بالمقصورات وأشهرها مقصورة ابن دريد التى يروى أن مطلعها :

شرد عن عيني الكرى طيف سرى
من أم عمرو فى غياهيب الدجى

العروضية ، ويشترط أن بعينهما في كتبهم
وهما :

نروح ونغدو لحاجاتنا

وحاجات من عاش لانتقضى^{٢٤}

تموت مع المرء حاجاته

وتبقى له حاجة ما بقي

* * *

وفي الحق أننا لا نكاد نعثر في الشعر
العربي، قديمه وحديثه، على أمثلة محققة
النسبة لهذا النوع الذي يعتبر فيه الروى
واو مد أو ياء مد .

وهكذا نرى أن القافية العربية المطلقة
ومى التى يتألف منها الكثرة الغالبة من
الشعر العربى تعد فى الحقيقة إذا قورنت
بالتادر من القوافى الإنجليزية التى فى مثل
blue مع dew ، أكثر عناية بالموسيقى
وأجمل وقعا فى الأسماع .

ثانياً : نبين أن الكثرة الغالبة من
الشعر الإنجليزي قافيته تشبه القافية
المقيدة أى تنتهى بحرف ساكن مثل :

Street مع Rough. Sweet مع Enough

وتعتمد القافية فى هذه الحالة على ذلك
لحرف الساكن اعتماداً كبيراً .

ولكننا نعرف من الدراسة الصوتية أن^{٢٥}
الحرف الساكن Consonant حين يقع
فى نهاية الكلمة ثم يرد الوقوف على
كلمته ، قد يتعرض ذلك الحرف للغموض
أو الإبهام فيقل وضوحه فى السمع أو قد
يسقط فى النطق ، ولا سيما حين يكون
من الحروف المهموسة الشديدة كالتاء
والكاف ، فلا يكاد يتضح فى الأذن
ولا يكاد السامع يدرى حقيقة أمره
ولا يحسّ بموسيقاه .

وما تقدم نرى أنه ليس من الإسراف
أو المغالاة أن نقرر أن القافية فى الشعر
العربى بوجه عام تعد أدق حساسية
بالموسيقى وأكثر عناية بإبرازها من القافية
فى الشعر الإنجليزي التى تعتمد اعتماداً
يكاد يكون كلياً على النوع المسمى
بالقافية المقيدة .

نشرع بعد ذلك فى الحديث عن تلك
الظاهرة التى راعتنا فى أثناء مدارسة حديثه
محاولين تفسيرها تفسيراً موضوعياً ،
وفى حيدة وإنصاف ، لكل من الشعر العربى
والشعر الإنجليزي .

ولنبداً بالقافية الإنجليزية ، حين
يكون ما قبل الروى حركة قصيرة ، أى

ما يشبه الفتحة والضمة والكسرة مثل
الكلمات :

dead, said, bed التي تنسجم معاً حين
تكون في قواف متوالية ، مثل met مع set ،
ومثل but مع cut ، ومثل bit مع sit ،
ومثل rod مع tod ، ومثل ox مع rocks ،
ومثل flex مع sex .

وهكذا نرى أن القافية الإنجليزية تُصرُّ
على التزام الحركة القصيرة قبل الروى ،
فإذا كانت ما يشبه الفتحة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الضمة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الكسرة التزمت . ولا
تسمح القافية الإنجليزية أن يرد فيها sex
مع ox ، ولا مثل put مع met ، أو sit
مع cut .

في حين أن الشعر العربي قد وقع فيه شيء
من هذا ، فلنستمع إلى قصيدة شوقي تحت
عنوان انتحار الطلبة :

ناشي في الورد من أيامه
حسبه الله أبالورد عثر ؟

راحلا في مثل أعمار المنى
ذاهباً في مثل آجال الزهر

هارباً من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغدُر

وكذلك قصيدته في أبي الهول :
أبا الهول طال عليك العصر
وبلغت في الأرض أقصى العمر
فيالدة الدهر لا الدهر شاب
ولا أنت جاوزت حد الصغر

* *

ففي القصيدة الأولى وعدتها ٥٧ بيتاً
ناحظ أن ما يقرب من ٤٩ بيتاً سبق
الروى فيها بالفتح ، وسبق الروى بالضم
في خمسة أبيات ، وبالكسر في ثلاثة .
وفي مشهد من مشاهد مسرحية عبدالرحمن
الناصر للشاعر الكبير عزيز أباظة نجد
أن هذا المشهد القصير الذي يتألف من ١١
بيتاً ومطلعه :

بعض الحنان يا شفق
حطم قلبي يا شفق

يشتمل على ٧ فتحات ، ٣ كسرات ،
وضمة واحدة قبل الروى .

وفي الحق أن جميع الشعراء المحدثين
قد تناوبت الحركات الثلاث وبكثرة

وسموها « سناد التوجيه » ، ثم روي لنا فيه ثلاثة آراء :

(أ) رأى الأخفش وفيه يقرر أن سناد التوجيه لا عيب فيه ، أو على الأقل يمكن أن يعدّ رخصة شعرية ولا يلام الشاعر عليها .

(ب) رأى الخليل الذي يجوز التناوب بين الضمة والكسرة فقط . ولا شك حين نسترشد بعلم الأصوات نجد أنهما حركتان متشابهتان وأن الموجة الصوتية الأساسية مهمما واحدة ، والاختلاف بينهما في الموجات الفرعية . هذا إلى أنهما من الأصوات الضيقة التي يتخذ أول اللسان معها في حالة الكسرة وضعا يشبه ما يتخذه أقصى اللسان مع الضمة . ولا غرابة لذلك أن الأذن تسمعهما وكأنهما أختان أو توأمان . ويقلل من قيمة الفرق بينهما أنهما حركتان قصيرتان تتطلبان زمناً قصيراً في النطق بكل منهما ، مما قد يساعد على ضالة الأثر السمعي في تمييز الفرق بينهما .

في قوافي شعرهم التي من هذا النوع ، فلا يكاد أحدهم يلتزم حركة واحدة في قصيدة من قصائده .

ورأينا إزاء هذا أن نرجع إلى الشعر الجاهلي الذي نظمته أصحابه بآذانهم المرهفة ، واعتمدوا فيه على الجرس الموسيقي وحرصوا فيه إلى أبعد حدود الحرص على الانسجام بين نغمات القوافي . فدهشنا حين تبين لنا أن في القدر القليل المروي من هذا النوع في الشعر الجاهلي قد تناوبت الحركات الثلاث ، وإن التزم بعض الشعراء في القليل من الأحيان حركة بعينها ولا سيما حين تكون الفتحة . ففى قصيدة من قصائد المفضلات عدتها تجاوز ثمانين بيتاً التزمت الفتحة : مثل (وقع ، نفع) ، إلا في بيت واحد يؤكد لنا محققو الديوان أنه ينتهي بالكلمة « كنّغ » بهذا الضبط . ولست أدهش حين يتضح لنا بالبحث في المعاجم أن هذه الكلمة ينطق بها « كنّغ » أيضاً ، أو أن لام الكلمة هنا وهى من حروف الحلق ، تسمح بفتح الوسط كما هو الشأن في كثير من الصيغ العربية .

ولما عرض أصحاب العروض لهذه الظاهرة في كتبهم عدوها من عيوب القافية

الحركة التي قبله ، ولا هيب لذلك
أن يقول شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

لأن السمع في هذه القافية يتعلق بالروى
والصوت الذي بعده وهو الحركة . ولذلك
لم يتحدث علماء العروض عما يسمى
بسناد التوجيه إلا في القافية المقيدة .

أما ما يزعمه بعض أصحاب العروض
من وقوع تلك الظاهرة التي يسمونها
بالإقواء حين تختلف حركة الروى في
القافية المطلقة بين الضمة والكسرة ،
ويسمى بالإصراف حين يكون الاختلاف
بينهما وبين الفتحة ، فليس كل هذا في
الحقيقة إلا صناعة عروضية ، أو مؤسسا
على وهم منهم . فلا يعقل مطلقاً أن تقع
مخالفة في حركة الروى حتى بين المتشاعرين
المبتدئين . فالشاعر في القافية المطلقة يلتزم
حركة واحدة لا يحيد عنها أبداً ، ولكنه
في الأمثلة المروية مما يسمى بالإقواء أو
الإصراف قد حاد عن الحركة الإعرابية
التي يتطلبها الوضع الإعرابي ، وضحي بهذا
في نظير التزام حركة واحدة ،

ولذلك نطمئن كثيراً إلى رأى الخليل
ونرى أنه استلهم في هذا حمه الموسيقى
المرهف .

فإذا كان من الضروري المناوبة بين
الحركات في القافية المقيدة فليقتصر في
هذا على الضمة مع الكسرة ، وإن كان
التزام إحداها أحسن وأجمل .

(ج) أما الرأى الثالث وهو المنسوب
لكراع فهو رأى عجيب غريب
لا يستند إلى طبيعة الأصوات
في شيء ، ولا يبرره ما روى فعلا من
الشعر ، ولذلك نؤثر أن نتجاهله إذ ليس
له أى سند علمي .

فلنطمئن إذن على موسيقى القافية
العربية ، ذلك لأن القافية المقيدة في الشعر
العربي قليلة أو نادرة ، والحكم على شعرنا
يجب أن يؤسس على الشائع منه وعلى
الكثرة الغالبة من حالاته ويتمثل هذا
في القافية المطلقة التي لا تكاد توجد
في الشعر الإنجليزى ، والتي يعتمد الروى
فيها على الحركة التي بعده ويتجاهل

كل الحرص على كمال الموسيقى في
الثقافية ؟ ! ومن واجبنا إزاء ذلك أن نلتبس
مسوغاً معقولاً مقبولاً لورود تلك الأمثلة
على قلّتها أو ندرتها .

وليس من الضروري هنا أن نشير إلى
ما يقرره كثير من الدارسين من أن بعض
الشعر الجاهلي قد وقع فيه الانتحال ، لأن
كل ما يمكن أن يترتب على ذلك هو أن
النسبة تقل ولا تنعدم ، ولا مفر من
الاعتراف بصحة بعض المروي من هذه
القافية ، وأننا لا نزال بحاجة إلى تفسير
هذا الصحيح ، وإن كان من العسير فصله
فدعلاً تاماً عن المنتحل .

وفي رأي المتواضع أن الشاعر الجاهلي
بريء من هذا النوع في القافية المقيدة ،
أي لم يقع في شعره ما يسمى بسناد التوجيه ،
وأما ما ظنه المتأخرون تخالفاً في حركة
ما قبل الروي من القافية المقيدة فيشبه
ما تصوره بعض العروضيين مما يسمى
بالإقواء أو الإصراف ، وهو التخالف
في حركة الروي نفسه ، وقصد أنكرنا
آنفاً وقوع التخالف في حركة الروي من
القافية المطلقة ، وتبين لنا أن الشاعر
حرص دائماً على حركة واحدة بعد الروي ،

أي كما يقضى النظام الشعري وتقضى
موسيقاه ، أو بتعبير آخر يمكن أن يقال
إن الشاعر في هذه الأمثلة أخطأ في الإعراب
ولم يخطئ في موسيقى الشعر . وسواء
كان هذا الخطأ الإعرابي كما يقول
النحاة من الضرورة الشعرية أي يقع
من الشاعر عن عمد وهو مدرك لهذا
الانحراف الإعرابي مستغلاً في ذلك
الضرورة الشعرية ، أو أن الشاعر وقد
ملكته عليه الموسيقى عقله وقلبه لم يفتن
إلى ما قد تتطلبه القاعدة الإعرابية ، أقول
سواء هذا أو ذاك فالنتيجة واحدة وهي
اتحاد حركة الروي في كل أبيات القصيدة .

ومع قلة أو ندرة القافية المقيدة في
الشعر الجاهلي ، فلا أظن أن ما روى فيه
من أمثلة هذه القافية يجاوز نسبة ٢٪
من مجموع الشعر الجاهلي ، ومع أن
العروض العربي يصم اختلاف الحركة هنا
ويعده من عيوب القافية ، لا يزال
في النفس شيء من تلك الأمثلة القليلة
أو النادرة التي انحدرت إلينا ونسبت
لشعراء جاهليين ! ! إذ نتساءل كيف يقع
هذا في شعرهم وهم الذين كانوا يعتمدون
في النظم على الآذان المرفهة ، ويحرصون

أن معظم أبيات القصيدة التزمت فيه
الفتحة ، ووقعت الضمة أو الكسرة في
القليل أو النادر من أبياتها . وقد نجد في
مثل آخر أن الضمة التزمت في معظم
الأبيات قبل الروى ونجد معها الكسرة
أو الفتحة في حالات قليلة أو نادرة .

٢- والفرض الثاني هو أن نقرر ونعلن
مطشنون أن الشاعر في كل مثل من هذه
الأمثلة المروية ، قد اتخذ حركة معينة
ليؤسس عليها القصيدة ، وأنه أنشد جميع
الأبيات بحركة واحدة قبل الروى ،
مستلهماً في هذا حسه الموسيقي ومعتمداً
على نطق آخر للكلمة جائز أو سائد في
لهجة قومه .

ولم يزعم أحد من اللغويين أن ما ورد
في المعاجم التي بين أيدينا هو كل الوجوه
الجائزة في ضبط الكلمات ، بل يكادون
يجمعون على أن كثيراً من الوجوه الصحيحة
في ضبط الكلمات العربية ، قد نذ عنا
وافقدناه فيما روى لنا .

وإذا سلمنا بصحة القول المشهور عن
أبي عمرو بن العلاء (ما انتهى إليكم من
كلام العرب إلا أقله ، ولو قد جاءكم كله

مضحياً في سبيل موسيقاه سواء عن عمد
أو عن غير عمد ، بما تقضى به قواعد الإعراب .

وكذلك الشأن مع القافية المقيدة نتصور
أن الشاعر الجاهلي حرص دائماً على وحدة
الحركة التي قبل الروى ، وأن رواة
النصوص في عصر التدوين هم المسئولون
وحدهم عن إبراز أمثلة التخالف التي نراها
في دواوين الشعر الجاهلي ، لأنهم ربما
اعتمدوا على رأى واحد في نطق الكلمة
العربية ثبت لديهم أنه وحده الصحيح .

ولابد لنا هنا أن نفترض أحد فرضين:

١- بأن نقول كما قلنا في القافية
المطلقة إن الشاعر قد ضحى بشيء من بنية
الكلمة وأحدث فيها تغييراً طفيفاً اقتضته
القافية وموسيقاها ، وهكذا نطق بالكلمة
المضمومة الوسط مفتوحة أو مكسورة على
على حسب ما جاء في معظم أبيات القصيدة .
فالذى لا شك فيه أن كل مثل من الأمثلة
التي قيل إن التخالف في الحركات قد وقع
فيها ، يعتمد في معظم الأبيات على حركة
بعينها ، وأن قدراً ضئيلاً جداً من الأبيات
جاء مخالفاً لهذه الحركة . ففى مثل من
تلك الأمثلة المروية يلحظ بوضوح

لجاءكم علم وأدب كثير) ، فلا شك أن
مما فقدناه بعض الوجوه الجائزة في ضبط
الكلمة العربية .

ليس من الإسراف إذن أن ندعو
الدارسين للشعر الجاهلي إلى إنشاد تلك
الأمثلة المروية من القافية المقيدة بحركة
واحدة أي قبل الروى ، وإلى أن ينزهوا
هذا الشعر عن ذلك العيب الموسيقى

أما ما جاء في شعر المحدثين والمولدين
مما يشبه تلك الأمثلة المنسوبة للجاهليين
فليس في الحقيقة إلا نوعاً من التقليد
على توهم أن ما جاز للقدماء أصحاب اللغة
يجوز من باب أولى للمحدثين أو المولدين .
أي أن الشعراء المحدثين والمولدين لم
يستلهموا في هذا قريحتهم الشعرية وحدها ،
بل اعتمدوا أيضاً على المروى من شعر
نسب للقدماء فقلدوه وحذوا حذوه .
ولو قد استلهموا قريحتهم الشعرية وحدها
واحتكموا إلى آذانهم المرفهة ما وقع في
شعرهم هذا التخالف في حركة القافية
المقيدة ، ولكانوا كابن الرومى الذى التزم
في كل شعره حركة بعينها اعتمدت
عليها قصائده التى من القافية المقيدة ،
فلا يكاد يشذ عن هذا ، فلم نعثر في

ديوانه على مثل واحد فيه تختلف الحركة
قبل الروى من القافية المقيدة .

وكنا نتوقع أن تسترعى هذه الظاهرة
الموسيقية في شعر ابن الرومى انتباه أستاذنا
العقاد رحمه الله في كتابه المشهور عن
ابن الرومى ، غير أننا لم نجد في كتابه
سوى بضعة مطور في فصل من الكتاب
بعنوان (صناعة ابن الرومى) فيها يقول
العقاد^(١) (كان ابن الرومى يركب
القوافى الصعبة ويتعمد رياضة الحروف
العصية فيذل له أعصاها ، حتى الثاء والحاء
والذال والزاي والظاء والغين والهاء ،
وغيرها من الحروف المتروكة في الروى
الناقصة في شعر أقدر الشعراء . . .)
ثم يقول في موضع آخر من نفس الفصل^(٢)
(نقول إن ابن الرومى كان من أقل الشعراء
تجوزاً في عروضه وأكثرهم حرصاً على
أوزانه) ، ثم يدافع عن ابن الرومى في
بيتين رويأ عنه وهما :

أبا عثمان أنت قريع قومك
وجودك للعشيرة دون لومك
تمتع من أخيك فما أراه
يراك ولا تراه بعد يومك

(١) ص ٣١٠

(٢) ص ٣٢٣

أيضاً عنايته بموسيقى الشعر . وعلى أساس هذا الفرض نظرنا في ديوانه لنتبين موقفه من القافية المقيدة التي سبق رويها بحركة فلم نجده يختلف عن الشعراء الآخرين في شيء ، فنسبة القوافي المقيدة في ديوانه في حدود ٣٪ والكثرة الغالبة منها من النوع الذي سبق فيه الروي بحركة مثل قوله :

- (أ) من أي ثغر تبتسم
وبأى طرف تحتكم (مجزوء الكامل)
- (ب) مخلف في الذي وعد
سيل وصلا فلم يجد (خفيف)
- (ج) قلت للائم في الحب أفق
لا تهون طعم شيء لم تذق (الرملي)

نكتفي بهذا القدر في القافية المقيدة حين يكون قبل الروي حركة ، وننتقل إلى تلك التي يكون قبل رويها حرف مد . وهنا نشهد في الشعر الإنجليزي ما يشبهها فالكلمات الإنجليزية cat ، flat ، mat ، sat تنسجم موسيقاها حين تقع في القافية الإنجليزية . ويشبه هذا في القافية العربية

ذلك لأن أبا العلاء المعري في رسالة الغفران قد عاب على هذين البيتين أن القافية فيهما مقيدة وأن هذا الوزن (يعني الوافر) لم يجيء عن الفصحاء مقيداً إلا حين يكون في القافية ألف التأسيس . ولكن الأستاذ العقاد يرى ونحن معه أنه لا عيب في موسيقى البيتين ، مخالفاً بهذا الرأي ، رأى أبي العلاء .

ويعد ابن الرومي من هذه الناحية فريداً بين الشعراء القدماء منهم والمحدثين ، فقد تخيرنا من بين أعظم شعراء العربية «البحتري» وهو الذي تروى في شأنه كتب الأدب أنه - في رأى المتنبي وقيل في رأى أبي العلاء - حين سأل سائل عن شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي فكان الجواب المشهور في كتب النقد الأدبي «أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري» ١١

ولسنا ندعي القطع أو الجزم في فحوى هذه القولة المشهورة ، فقد تكون الموازنة هنا مقصورة على الصور والأخيلة والأغراض والموضوعات . على أننا مع هذا نفترض أن وصف البحتري بأنه الشاعر يتضمن

creed, breed, lead ينسجم بعضها مع بعض . ولا تسمح القافية الإنجليزية بأن يقع فيها مثلاً mood مع lead ، في حين أن القافية العربية ، تسمح بواو المد مع ياء المد ، وهذه هي الظاهرة التي أزعجتنا حقاً . فإذا كنا قد تجاوزنا عن اختلاف في الحركة قبل روى القافية المقيدة لصغر هذه الحركة وسرعة النطق بها وقصر زمنها فلا تكاد تشعر بها الأذن ، فكيف يتأتى هذا مع واو المد وياء المد ، مع طول زمن النطق بهما ووضوحهما في السمع وضوحاً كبيراً ؟!

وهنا ننوه بابن الرومي مرة ثانية لأنه لم يقع في شعره شيء من هذا لا في القافية المقيدة وحدها ، بل حتى المطلقة . ففي قصيدة له عنوانها « وحيد المغنية » وعدتها ٥٧ بيتاً ومطلعها :

يا خليلي تيمتني وحيدٌ
فقد أدي بها معنًى عديدٌ
غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيدٌ

* * *

ففي هذه القصيدة وبرغم قافيتها المطلقة قد التزم ابن الرومي ياء المد في كل

وقوع ألف المد قبل روى القافية المقيدة مثل قول البحترى :

إن رقت لي قلبك مما ألاق
من فرط تعذيب وطول اشتياق

وجئت بالوصل على مغرم
فزوديني منك قبل انطلاق

* *

وهنا نرى كل شعراء العربية ، قديمهم وحديثهم ، قد التزموا هذه الألف ولم يشذوا عنها مطلقاً ، لأنها أوضح حروف المد في السمع ، وأن أي انحراف عنها تدركه الأذن حتى غير المدربة أو الموهبة . ولذلك لم تختلف القافية الإنجليزية عن العربية في هذا النوع .

أما الذي اختلفت فيه القافية الإنجليزية عن العربية فهو حين يكون حرف المد قبل روى القافية المقيدة واو مد أو ياء مد . ففي هذه الحالة نجد أن القافية الإنجليزية تلتزم إحداها ولا تسمح بأن يتناوبا في قوافي القصيدة الواحدة :

فالكلمات الإنجليزية، intrude, conclude crude ينسجم بعضها مع بعض في القافية الإنجليزية . والكلمات الإنجليزية

هذه الظاهرة قد كثرت نسبياً بين المولدين
والمحدثين . فيقول مهيار الديلمي :

ردوا لها أيامها بالغميم
إن كان من بعد شقاء نعيم

قلوبهم رق لأهل الحمى
حيث النواصي حرة والجسوم

* *

ويقول العقاد تحت عنوان « حسناء
عمياء » :

قرة العين عزاء
لك في الكون المنير
إن طرفاً يأسر النا
س هو الآن أسير

صدت الشمس ضيها
عناك يا أخت البدور
وجاء في قصيدة شوقي على قبر
نابليون وهي القصيدة المؤسسة على ياء
المد والتي مطلعها :

قف على كنز بباريس دفين
من فريد للمعاني وثمانين
عدة أبيات فيها واو المد قبل روى
القافية المقيدة

الأبيات وهو ما يشبه لزوم ما لا يلزم .
ذلك لأنه في القافية المطلقة نلاحظ بعد
الروى حركة تستطيل عند الإنشاد
وهي التي يعتمد عليها الروى وتعلق الأذن
بها متجاهلة ما قد يكون قبل الروى إلى
حد ما ، ولذلك جاز في القافية المطلقة
وقوع واو المد مع ياء المد قبل الروى لما
بينهما من تشابه صوتي كما أشرنا آنفاً
مع الضمة والكسرة . ويرى معظم العروضيين
جواز تناوب واو المد مع ياء المد قبل روى
القافية المطلقة . ومع هذا يقول الصبان
ما نصه (إنه يجوز من غير قبح وقوع
الواو ردفاً في بعض أبيات القصيدة
الواحدة والياء في بعضها الآخر ، وإن
كان الانتماء أحسن) . فهذا هو عالم
كبير من علماء العروض يرى أن التزام
واو المد أو ياء المد أحسن من التناوب
بينهما حتى مع القافية المطلقة ، أي على
نحو ما التزم به ابن الرومي في شعره .

أما جواز وقوع التناوب بين واو المد
وباء المد في القافية المقيدة فأمر عجيب
حقاً ، ولا ندرى كيف سمح به
الشعر العربي ؟ بل أشنع من هذا أن

أقبح مع المقيدة ، وهذه هي التي تشبه
القافية الانجليزية .

ويعزينا عن هذا الذي استنكره أبو العلاء
وعده أقبح أن أمثله في كل الشعر العربي
قديمه وحديثه لا تكاد تتجاوز نسبة ١/٣ .

ولا شك أن تناوب واو المد وياء المد
في القافية المقيدة ظاهرة قبيحة من حيث
الموسيقى الشعرية ، ولذلك يابها الشعر
الانجليزي كل الإباء .

وكنا نتوقع ألا ترد لها أمثلة في الشعر
الجاهلي ذلك الذي نظمته آذان مرهفة ،
وحرص أصحابه على موسيقية كل الحرف
غير أننا عثرنا على عدة أمثلة من قطع
شعرية صغيرة نسبت في ديوان الحماسة
والمفضليات والأصمعيات لشعراء جاهليين .

مثل المقطوعات الآتية :

(١) لامرئ القيس :

وجامل خوع من نيبه

زجر المولى أصلا والمنيع

وهي من بحر السريع ، وورد فيها واو
المد أيضاً .

ولكن يبدو أن شوقي حين استلهم
قريحته الشعرية وحدها التزم ياء المد
في كل قصيدته لأم المحسنين ومطلعها :

ارفعى الستر وحيى بالعجيين

وأرينا فلق الصبح المبين

وقفى الهودج فينا ساعة

نقتبس من نور أم المحسنين

* * *

وبصدد هذه الظاهرة نجد أن أبا العلاء
المعري وهو الشاعر المكفوف الذي يعتمد
على أذنه الموسيقية المرهفة وحدها يقول
في مقدمة ديوانه « لزوم ما لا يلزم » مانصه :
« ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق في مجيء
الواو المضوم ما قبلها مع الياء المكسور
ما قبلها ... » إلى أن يقول : « وأنا أفرق
بين المطلق والمقيد وأعده في المقيد أشد ،
لأن الروى لا يكون بعده ما يعتمد عليه ،
أما في المقيد فهذا عندي أقبح منه إذا
استعمل في الشعر المطلق » !

ونحن إذا أخذنا أفعل التفضيل في
في الكلمة « أقبح » على بابه ، كان معنى
كلام أبي العلاء أن تناوب واو المد وياء
المد في قوافي القصيدة الواحدة قبيح سواء
كانت القافية مطلقة أو مقيدة ، غير أنه

وهى من السريع، وورد فيها «الوسوق»،
«بالمطيق»، «الحقوق»

(ز) للخرنق أخت طرفة :

يارب غيث قد قرى عازب
أجش أحوى فى جمادى مطير

وهى من السريع ، وورد فيها «عشور»
«القرور»، «البشير» .

(ح) للمرقش الأصغر :

الزق مُلك لمن كان له
والمُلك منه طويل وقصير

وهى من مجزوء البسيط (مستفعلات)،
ورود فيها «صبور» .

فكيف نفسر وقوع هذا القدر الضئيل
جدا فى شعر الجاهليين ؟

كان من رأي دائما أن المحدثين أكثر
تساهلا ، أو إن شئت قلت أكثر جرأة
على موسيقى الشعر العربى من القدماء .
ولعل فيما يسمى فى الوقت الحالى بالشعر
الحر أكبر دليل على هذا الاتجاه وقد
عشرت أخيرا على نص لأبى العلاء يؤكّد
لى هذا الرأى ، إذ يقرر فى مقدمة ديوانه
لزوم مالا يلزم أن القدماء كانوا أكثر
عناية بموسيقى الشعر من المحدثين الذين
أباحوا فيه بعض الرخص ، ثم يوازن بين

(ب) للمرقش الأصغر :

لابنة عجلان بالجو رسوم
لم يتعفين والعهد قديم
وهى من مجزوء البسيط .

(ج) لشعبة بن عمرو :

أأساء لِمَ تسألنى عن أبىك
والقوم قد كان فيهم خطوب
وهى من المتقارب ، وورد فيها ياء المد
أيضاً .

(د) للخنساء :

دلّ على معروفه وجهه
بورك هذا هاديا من دليل
وهى من السريع ، وورد فيها «مايحول»
« الشليل » .

(هـ) لامرئ القيس :

أبلغ بنى أود فقد أحسنوا
أمس بضرب الهام تحت القنوش
وهى من السريع ، وورد فيها «جلوس» ،
« القليد » ، « النفيس » .

(و) للمهلل :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا
والمرء قد يعرف قصد الطريق

شعر لأبي تمام نظم على نسق قصيدة
الشنفرى الأزدي التي مطلعها :

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت

وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقصيدة الأعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقي

وراكبها يوم اللقاء وقلت

ثم يقول أبو العلاء إن أبا تمام - وهو
في رأى أبي العلاء من المحدثين - لم يلتزم
شيئاً قبل التاء .

ونحن مع موافقتنا لقول أبي العلاء
نلاحظ أن الشنفرى لم يلتزم اللام قبل
التاء في كل قصيدته التي عدتها ٣٦ بيتاً ،
بل وقع فيها ما يقرب من نصفها خلوا
من اللام قبل التاء . وكان أولى بأبي العلاء
أن يمثل مع قصيدة الأعشى بقصيدة كثير
عزة التي مطلعها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما أظن أن أبا العلاء يريد أن قصيدة
أبي تمام لم يقع قبل التاء فيها
ولا لام واحدة ، فالحقيقة أن عدد هذه
القصيدة ٤٤ بيتاً ووقعت اللام قبل التاء

في ١٤ بيتاً منها ، ومطلع هذه القصيدة : هو

نسائلها أي المواطن حلت

وأي ديار أوطنتها وأيت ؟

* *

وفي تفسيرنا لتلك الأمثلة الضئيلة
القدر التي وردت في الشعر الجاهلي من
القافية المقيدة وتناوبت فيها واو المد
مع ياء المد ، نلاحظ أنها مقطوعات قصيرة
وأن كلا منها يتألف من عدد من الأبيات
لا يجاوز أصابع اليدين عدا ، وأن معظمها
من بحر واحد هو السريع (خمس من
القطع الثمانية) ، واثنان من مجزوء
البسيط وواحدة من المتقارب ! !

وهنا يخامرنا شك في صحة هذه الأمثلة
ونؤثر أن نعتها بما انتهل في العصور
الإسلامية ، ونسب للجاهليين . وما أظننا
الآن نتردد في قبول تلك القضية التي
نادى بها بعض الدارسين قديماً وحديثاً
من أن بعض ما روى من الشعر الجاهلي
منتهل . وهذا ننزه شعر القدماء الذي
نظم بالسليقة ومع الرعاية التامة لحسن
الموسيقى عن أن يكون أدنى مرتبة من الشعر
الإنجازي في العناية بموسيقى القافية .

ابراهيم انيس

عضو المجمع

تخريج نصوص أرسططالية

في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور محمد طه الحاجري

الجليل ^{١٧}عبد السلام هارون . وما كان النص الصحيح ليأخذ مكانه لولا هذه الوسيلة، ومنها أنها رجحت بعض القراءات على بعض ، فوضعت القراءة المرجوحة مكان القراءة الراجحة . ومنها ، فوق ذلك ، أنها ألقت بعض الضوء على قراءات النص اليوناني واحتمالاته المختلفة ، كما أثبتتها المترجم في هوامش ترجمته ، ولعلها بذلك يمكن أن ترجح بعضها على بعض .

وكنت نشرت من هذه النصوص طائفة تبلغ الثلاثين ، في مجلة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية ^(١) ، ثم صرفتني بعض الصوارف عن نشر سائرها ، ثم توالى بعض الشواغل التي صرفتني عنها ، حتى كدت أنساها ، إلى أن فرضت على طبيعة الحياة إلى التفت إلى الوراء أراجع

عهد غير قريب كنت منذ أخذت - استكمالا لدرس الجاحظ ، وتحقيقا لمصادر معرفته - أتقصي نقوله عن صاحب المنطق ، في كتاب الحيوان خاصة ، وأحاول أن أتعرف مواضع هذه النقول في كتب أرسطو ، وأوردها عنها ، كما جاءت في ترجمة سانتيلير لها . وقد أتيج لي من ذلك قدر صالح ، منها ما جاء مصدرا بعبارة الجاحظ : « قال صاحب المنطق » ، ومنها ما جاء غفلا من ذلك ، لسقط أو اضطراب أو ما إليه . وأخذت في وضع نص حيوان الجاحظ بإزاء نظيره في كلام أرسطو ، متخذاً ذلك أساسا للمقارنة بينهما . وقد أتاحت هذه المقارنة أشياء لها خطرها ، منها أنها صححت بعض الأخطاء التي وقعت في النشرة المحققة التي أخرجها الأستاذ

(١) المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ - ١٩٥٣) والمجلد الثامن (ديسمبر ١٩٥٤) .

ماضي ، فاذا هذه الدراسة بين يدي ،
تدعوني اليها ، لتأخذ في الحياة العلمية
مكانها .

واني إذ أستأنف اليوم نشر هذه
النصوص أتقدم بصادق الشكر لمجلة
مجمع اللغة العربية أن أتاحت لي ولها هذه
الفرصة .

٣١- قال الجاحظ : « قال : ويستبين
خلق الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيام
بلياليها ، وذلك في شباب الدجاج ؛
وأما في المسان منها فهو أكثر . وفي ذلك
الوقت توجد الصفرة من الناحية العليا
من البيضة ، عند الطرف المحدد ،
وحيث يكون أول نقرها ، فثم يستبين
في بياض البيضة مثل نقطة من دم ،
وهي تختلج^٦ وتتحرك . والفرخ إنما يخلق
من البياض ، ويغتنى الصفرة ، ويتم
خلقه لعشرة أيام ، والرأس وحده يكون
أكبر من سائر البدن^{١١} »

ويقع هذا النص من حيوان الجاحظ
في سياق القول في الحمام . وقد أسند
بعض القول فيه إلى من يطلق عليه إسم

« صاحب الحمام » ، وإلى « مثنى بن
زهير » . كما استطرد فيه من الحديث
عن بيض الحمام إلى الحديث عن بيض
الدجاج ، دون أن يرد ذكر « صاحب
المنطق » في شيء من ذلك ، مع أن المقارنة
دلت على أن من الأقوال التي أوردها ماهو
مأخوذ عن أرسطو ، كما نرى ذلك في
النصوص السبعة السابقة^{١٢} على هذا
النص الذي تتصلره أيضا كلمة : « قال »
مرسلة دون تعيين صاحب القول ، وهو
صاحب المنطق ، الذي تقع هذه الجملة
من كلامه في أعقاب النص السابق ،
في أول الفصل الثالث من الكتاب
السادس ، وفي أثنايه ، بعد مقدمة في
أن جميع الطير يتولد من البيض ،
في مدة تختلف باختلاف أنواعه . وذلك
إذ يقول :

« وفي الدجاج يكفى ثلاثة أيام وثلاث
ليال ليبدأ الفرخ في الاستبانة ، فأما
الطيور الكبرى فيلزمها أكثر من ذلك ،
كما يلزم الصغرى أقل . وفي تلك الفترة
تصعد الصفرة شيئا فشيئا إلى أعلى

(١) ٣ : ١٧٧ - ١٧٨

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٨٢ - ٩٠

بها ، تجعل الكلام في هذه الجملة عن القلب : « والقلب يستبين في بياض البيضة مثل نقطة من دم ، وبذلك تنفق تماما مع النص الآخر .

على أنه - إلى جانب ما في النصين من خلاف - يوجد شيء من الاتفاق الدقيق في بعض المواضع . فالتعبير عن النقطة الدموية بأنها تختلج وتتحرك يبدو لأول وهلة كأنه شيء من الفضول أن يورد الفعلان معا في النص الجاحظي ، ومعناها واحد . ولكننا نجد الأمر كذلك في الترجمة الفرنسية : "Ce point bat et s'agite" ، كما نجد مثل ذلك في ترجمة دارسي ونتورث طومسون الانجليزية ويصرح سانتليير في التعليق على هذا الموضع أن الكلمتين موجودتان في النص اليوناني . فليس الأمر إذن في مثل أمر شرح أو فضول أو تزييد في التعبير ، وإنما هو أمر دقة وتحرف للحرفية .

٣٢- قال الجاحظ : « وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجة ثمان عشرة بيضة ، لكل بيضة محتان ،

البيضة ، وهو طرفها المحدد ، حيث مبدأ البيضة ، وحيث تنكسر . وفي البياض يوجد شيء كنقطة من دم ، وهي القلب . وهذه النقطة تخفق وتضطرب ، لأنها حية »

وبعد أن يتكلم في شيء من التفصيل عن خلق الفرخ ، يقول : « ويخرج الفرخ من البياض ، وغداؤه من الصفرة من خلال السرة ، وفي عشرة أيام يتم خلق الفرخ ، ويتميز تماما بأعضائه التي يتكون منها جميعها ، ولا يزال رأسه أكبر من سائر جسده ^(١) »

وبين النصين من الخلاف ما يرجع إلى اختلاف الفهم ، كما في عبارة النص الجاحظي : « وذلك في شباب الدجاج ، وأما في المسان منها فهو أكثر » ، وليس الأمر في النص الآخر خاصا بالدجاج ، وإنما هو في الطير عامة . كما أن من الخلاف ما يرجع إلى النساخ وتصرفهم في النص ، كما في قوله : « فثم يستبين في بياض البيضة مثل نقطة من دم » ، فهناك نسخة أخرى من الحيوان لم يرض الناشر قراءتها في هذا الموضع فلم يأخذ

(١) v. II, p. 268-270

على أن مما يجدر ذكره هنا مما جاء في تعليقات سانتيلير ، مما قد يكون له دلالة ، أن هذا النص قد عانى في غير موضع منه غموضا واضطرابا دعيا إلى إدخال بعض التصحيحات عليه ، كما فعل جسنر *gessner* . كما حملا سانتيلير على التردد في ترجمة بعض الكلمات ، وهى : أحد الفرخين ، أو أحد الصفرتين .

ويتصل بالنص العربى هذه الفقرة ، كأنها تكملة له : « وكذلك الحمام . وما أقل ما يغادر الحمام أن يكون أحد الفرخين ذكراً والآخر أنثى » ، ولانظير لها عند أرسطو ، فهل سقطت من كلامه ، أم هى من كلام الجاحظ وصلها بكلام أرسطو ؟

٣٣- قال الجاحظ : « قال : وربما باضت الحمامة وأشباهاها من الفواخت ثلاث بيضات ، فاما الاطرغلات والفواخت فانها تبيض بيضين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فوخين ، وربما كان واحدا فقط . قال : وبعض الطير لا يبيض الا بعد

ثم سخنت وحضنت ، فخرج من كل بيضة فروجان ، ما خلا البيض الذى كان فاسدا فى الأصل . وقد يخرج من البيضة فروجان ، ويكون أحدهما أعظم جثة ^(١) ونظير هذا النص عند أرسطو يقع فى آخر الفصل الثالث من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول ، بعد أن ذكر أنه قد شوهد من الدجاج مالا يبيض إلا بيضا مزدوجا ، أى له محتان :

« وقد باضت دجاجة ثمانى عشرة بيضة ، وخرج من كل بيضة فروجان ، ماعدا بيض الذنب أو بيض البول *les oeufs de queue ou d'urine* أما الباقي فكان جميعه معصبا . وإذا كان أحد الفرخين أكبر جثة جاء الآخر أصغر ، ويكون الفرخ ^(٢) الأخير مشوها »

ولعل أول ما يلفت النظر فى هذا النص هو عبارة « بيض الذنب أو بيض البول » التى يقابلها فى النص الجاحظى الذى كان فاسدا فى الأصل ، فالترجمة الفرنسية تبدو غامضة غير مفهومة ، ومن هنا لاتظهر لنا العلاقة بينها وبين الترجمة العربية .

v. II, p. 276-277 (٢)

(١) ٣ : ١٧٨

والاطرغلات la tourterelle تبيض
عادة بيضتين ، وأكثر ما يمكن أن تبيض
الاطرغلات والفواخت ثلاث ... ولكنها
لا تربي أكثر من فرخين ، بل لا تربي أكثر
من فرخ واحد في بعض الأحيان
ومعظم الطير لا يبيض في عامه الأول ...
والحمام يبيض عادة ذكرا وأنثى ، وتكون
بيضة الذكر غالبا قبل الأنثى ، وبعد
تستريح فترة يوم ، ثم تبيض الأخرى ...
وتبلغ البيضة التي بيضت أولا نضجها
ثم تفقس في عشرين يوما والأنثى
أسوأ من الذكر خلقا أثناء تربيتها
بصغارها^(٢) .

وبين النصين بعض الخلافات الطفيفة
التي لا نريد أن نقف عندها ، التماسا
لتعليقها ، كتديد مدة الحضن في النص
الارسططالي بعشرين ، وتفاوتها بين
العشرين والسبعة عشر في النص الجاحظي
وكالخلاف في التعبير عن موقف أنثى
الحمام وذكرها من الفراخ ، فالأول
يكتفى بالقول بان الانثى أسوأ خلقا من
الذكر أثناء تربيتها لصغارها ، في حين
يأخذ الآخر بمفهوم ذلك ، فيجعل الأمر

مرور الحول عليه كملا. والحمامة في
إكثر أمرها يكون أحد فرخيها
ذكرا والآخر أنثى ، وهي تبيض أولا
البيضة التي فيها الذكر ، ثم تقيم يوما
وليلة ، ثم تبيض الأخرى . وتمضي
ما بين السبعة عشر يوما إلى العشرين ،
على قدر اختلاف طباع الزمان والذي
يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض
والحمام أبر بالفراخ^(١) .

وهذا النص يقع ، منشورا ، في الفصل
الرابع من الكتاب السادس ، من تاريخ
الحيوان لأرسطو . ولا أدري أكذلك كان
بوصفه هذا في الأصل الذي نقل الجاحظ
عنه ، أم أن الجاحظ كان يتخير :
يأخذ جملة من هنا وجملة من هنا ،
أم أن مانقله أبو عثمان قد عرض له من
البيتر ما جعله على هذه الصورة ؟

ومهما يكن من أمر فما هو ذا ما يقابل
هذا النص في ذلك الموضع من كتاب
أرسطو :

« وجميع الطير من جنس الحمام
كالفواخت le ramier

قسمة بين الذكر والأنثى ، فالذكر أبّر ، فالأنثى أبّر بالبيض بالفراخ ، والأنثى أبّر بالبيض

٣٤- قال الجاحظ : « قال : وأما جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ما خلا الخطاف فإنه يبيض مرتين ^(١) »

ويقع هذا النص عند أرسطو في الفصل الخامس من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان ، حيث عقد الكلام عن العقاب . قال :

« والطيور الأخرى آكلة اللحم لا تببيض أكثر من مرة واحدة في العام ، قدوماً يمكن أن يرى . والخطاف *l'hirondelle* وحده بين آكلة اللحم هو الذي يبيض بيضتين في السنة ^(٢) »

والنصان يتفقان ، كما نرى ، اتفاقاً تاماً ، فليس لنا غير ذلك من تعليق عليهما .

٣٥- قال الجاحظ : « وقالوا : وأما الفرخ الذي يخرج العقاب ، فإن

المكلفة ، وهى طائر يقال لها كاسر العظام ، تقبله وتربيته . والعقاب تحضن ثلاثين يوماً ، وكذلك كل طائر عظيم ، مثل الأوز وأشباه ذلك . فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً ، مثل الحداة ، ومثل أصناف البزاة ، كالبواشق واليآيء والحداة تببيض بيضتين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، وخرج منهن ثلاثة أفراخ . قالوا : وأما العقبان السود اللوان فإنها تربي وتحضن . وجميع الطير المعقف المخالب تطرد فراخها من أعشاشها عند قوتها على الطيران ، وكذلك سائر الأصناف من الطير ، فإنها تطرد الفراخ ثم لا تعرفها ، ماعدا الغداف ، فإنها لانزال لولدها قابلة ، ولحاله متفقدة ^(٣) » وهذا النص أرسطو على خالص صريح ، وإن صدر بكلمة : « وقالوا » فإنما حقها أن تكون : « وقال صاحب المنطق ، كما يبدو من مقارنته بهذا النص من تاريخ الحيوان ، في الفصل الخامس من الكتاب السادس . قال :

« والنسر (*l'effraie*) يقبل (*resgoit*) فرخ العقاب الذي

(٢) v. II, p. 281

(١) ١٧٩ : ٣

(٢) ١٨٠ : ٣ - ١٨١

لا وزن لها ، كوضع عبارة « وما أشبه ذلك » موضع كلمة « الحبارى » ، وكالتمثيل لأصناف البزاة بالبواشق واليآيء ، ولانظير لهما في نص أرسطو الذى ترجمه سانتيلير . على أن احدى مخطوطات الحيوان قد أغفلتهما . فاذا نحن لم نقف عند حد النسخة التى اعتمدها ناشر الحيوان في هذا الموضع ، واعتبرنا تلك النسخة الأخرى ، وهى مخطوطة كبريلى ، أمثل النسخ وأجدرها بالثقة ، فان الاتفاق بين النصين يكاد يكون تاما . وقد أشرنا في موضع سابق إلى أن هذه المخطوطة وضعت في هذا النص ، في موضع كلمة « كاسر العظام » كلمة « فينا » ، وهى بعينها الكلمة اليونانية Phóné المستعملة في هذا الموضع^(٢)

٣٦- قال الجاحظ : « قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينة طيبة جدا . وأما الأوزة فانها التى تحضن دون الذكر ، وأما الغربان فعلى الاناث الحضن ، والذكورة تأتى الاناث بالطعمة ، وأما المحجل ، فان الزوج منها يهيشان للبيض

الذى طرد ويغذوه . والعقاب يحضن ثلاثين يوما تقريبا ، وهذه هى مدة الحضانة عند الطيور العظام ، مثل الأوز والحبارى (l' outorde) ، وأما الطير المتوسطة الجثة فقل أن تحضن غير عشرين يوما ، مثل الحدأة والبازى . والحدأة لاتبيض في أغلب الأحوال غير بيضتين ، ومع ذلك ففي بعض الأحيان يبلغ صغارها ثلاثة ... والعقبان السود ، على العكس من ذلك ، تغذو صغارها باهتمام كبير . ومهما يكن من أمر ، فانه يمكن القول بأن جميع الطيور ذوات المخالب المعقوفة تطرد صغارها وتضربها منذ تصبح قادرة على الطيران . ونكرر القول بأن جميع الطير الأخرى شأنها ذلك تقريبا ، أو على الأقل لاتولى صغارها أدنى عناية بعد أن تغذوها بعض الوقت . ويجب أن نستثنى من ذلك الغداف الذى لايزال معينا بها زمنا ، وحين تطير يغذوها ويطير بجانبها^(١)

وهكذا نرى أن النص العربى يساير النص الآخر مسaire دقيقة ، الا في أشياء

(١) v. II, p. 283-284

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، ص ٢٠ - ٢١ .

«واناث الأوز هي التي تحضن وحدها ... وإناث الغربان هي التي عليها وحدها أن تحضن ، فلاتدع أن تكون على البيض لحظة واحدة ، والذكورة تحمل اليها ماتطعمه ... والحجلان تكوم بيضها كومتين ، فتقوم الأنثى على احدهما ، ويقوم الذكر على الأخرى . وبعض الفقس يربي كل منهما ماحضنه خاصة^(٢)»

ثم يتحدث بعد ذلك قليلا عن سقاد الحجل ، وهذا ينتهي الفصل الخاص به ، لبدأ فصل جديد عن الطاووس ، دون أن نرى أثرا لهذه الجملة التي جاءت في آخر النص العربي ، «وكل منهما يعيش خمسا وعشرين سنة .. الخ» ولكننا سنجدها في الفصل التالي ، عن الطاووس ، وقد اقتبس منه الجاحظ ، عقب كلامه عن الحجل مباشرة .

٣٧- قال الجاحظ : « قال : وأما الطاووس فأول ماتبيض فانها تبيض ثمانى بيضات ، وتبيض أيضا بيض الريح . والطاووس يلقي ريشه في زمن الخريف ، إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط . وإذا

عشرين وثيقين مقسومين عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى ؛ وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة . ولا تلقح الأنثى بالبيض ، ولا يلقح الذكر إلا بعد ثلاث سنين^(١) »

وهذا النص - كما نرى - مضطرب في مبدئه وفي آخره . وإنما أوردناه بصورته هذه ليكون مقالا لما عناه كتاب الحيوان من اضطراب ومادخله من خلط . فصدر هذا النص ناب في موضعه ، منقطع الصلة بما قبله وما بعده . وظاهران عبارة : «وقالوا فراخ البزاة سمينة طيبة جدا» مقحمة في غير موضعها ، وأكبر الظن أنها كانت مما جرى به قلم أحد القراء على هامش إحدى النسخ ، عند الكلام على البزاة وحضنها ، فجاء بعد ذلك أحد النساخ فأدخلها في هذا الموضع . وكذلك الأمر في آخر هذا النص ، ففيه من الخلط مانستطيع أن نتبينه من المقارنة بينه وبين نظيره في كلام أرسطو ، كما جاء في الفصل الثامن من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . قال :

(٢) v. II. p. 287-288

(١) ١٨٢ : ٣ - ١٨٣

بدأ الشجر يكتسى ورقا ، بدأ الطاووس
فاكتسى ريشا^(١) »

ويقع هذا القول - كما قلنا في الفقرة
السابقة - في الفصل التالى ، وهو الفصل
التاسع من الكتاب السادس . ويبدأ هذا
الفصل بالكلام عن مدة حياة الطاووس ،
فيقول : « الطاووس يعيش إلى خمس
وعشرين سنة تقريبا ، ويلقح ، عامة ،
في الثالثة من عمره » . ثم يقول :

« وأنثى الطاووس التى تبيض للمرة
الأولى قلما تبيض غير ثمان بيضات ،
وتبيض أيضا بيضا رائقا (Oeufs-clairs)
... ويلقى الطاووس ريشه مع
سقوط أول أوراق الشجر التى تسقط ،
ثم يأخذ فى استرداد ريشه حين تسترد
الأشجار أيضا خضرتها^(٢) »

ومن هذا نرى أن العبارة التى جعلت فى
آخر الكلام عن الحجل فى النص العربى ،
إنما هى من جملة الكلام عن الطاووس ،
أخطأت موضعها وزحلت عنه ، فأدمجت
فيها قبلها ، ووهب عمر الطاووس ، وهو

خمس ويثرون عاما للحجل ، وقد قال
أرسطو فى موضع آخر أنه ستة عشر عاما
أو فوقها^(٣)

أما وضع كلمة بيض الريح فى النص
الجاحظى للتعبير عن البيض الرائق ،
فقد عرضنا له فى موضع له سابق^(٤) .

٣٨- قال الجاحظ : « قال : وما كان
من الطير الثقيل الجثة فليس يهين لبيضه
عشا ، من أجل أنه لا يجيد الطيران ،
ويثقل عليه النهوض ، ولا يتحلق مثل
الدراج والقبج ، وإنما يبيض على
التراب^(٥) »

وهذا المعنى نجده عند أرسطو فى
الفصل الأول من الكتاب السادس من
تاريخ الحيوان ، إذ يقول :

« والطيور تبيض بصفة عامة فى
أعشاش ، ولكن التى لاتطير كثيرا
لاتعمل أعشاشا ، مثل الحجل والقبج
les perdrix et les cailles التى
تبيض على الأرض ، وتغلى بيضها
ببيض الأغصان^(٦) »

V. II, p. 280 (٣)

II, V. II, p. 289-290 (٢)

١٨٣ : ٢ (١)

(٤) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية . المجلد الثامن ص ٨٦ - ٨٧

V. II, p. 266 (٦)

١٨٤ : ٢ (٥)

قال : وإناث القبيج تبيض خمس عشرة بيضة إلى ست عشرة بيضة .

قال : والقبيج طير منكر ، وهى تفر ببيضها من الذكر ، لأن الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر فى طلب السفاد . والقبيج الذكر يوصف بالقوة على السفاد ، كما يوصف الديك والحجل والعصفور قال : فإذا شغلت عنه بالحضن ، طلب مواضع يبيضها حتى يفسده . فلذلك ترتاد الأنثى عشها فى مخافى ، إذا أحست بوقف البيض . وإذا قاتل بعض ذكورة القبيج بعضا فالغلوب منها مسفود ، والغالب سافد . وهذا العرض يعرض للديكة ولذكور الدرايج ، فإذا دخل بين الديكة ديك غريب ، فما أكثر ماتجتمع عليه حتى تسفده^(١) .

ونستطيع أن نجد ما يناظر هذا النص فى الفصل التاسع من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان ، فى الحديث عما ترجم أولا بالحجل ، ثم ترجم ثانيا ، كما رأينا فى النص السابق ، بالدراج ، وما ترجم فى هذا النص بالقبيج ، وهو ما يسمى بالفرنسية ، كما يذكره سانتيلير ،

وبين النصين ، وإن كانا يتفقان فى المعنى العام ، شئ من التفاوت ، فى النص العربى لمسهاب فى التعبير عن العجز عن الطيران ، بما هو شبيه بأسلوب الجاحظ . وفيه أيضا وضعت أيضا كلمة الدراج فى مقابل ما ترجم قبل بالحجل perdrix

٣٩- قال الجاحظ : « قال : وإذا دنا الصياد من عش القبيجة ، ولها فراخ ، مرت بين يديه مرا غير مفيت ، وأطمعته فى نفسها ليتبعها ، فتمر الفراخ فى رجوعها إلى موضع عشها . والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها . وعلى أن القبيجة سيئة الدلالة والهداية ، وكذلك كل طائر يعجل له الكيس والكسوة ، ويعجل له الكسب فى صغره . وهذا إنما اعتراها لقراءة ما بينها وبين الديك

قال : فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها ، طارت وقد نحتت إلى حيث لا يهتدى الرجوع منه إلى موضع عشها . فإذا سقطت قريبا دعتها بأصوات لها ، حتى يجتمع إليها .

يتبع غالبه ، ولا يدع لغيره أن يسمه ،
وإذا هزم الذكر وسمه الثاني ، أو أى واحد
آخر فى خفية عن الغالب ... ومثل هذا
يحدث عند القبيج *les caillies* ،
كما يلاحظ هذا أحيانا عند الديكة .
وفى المعابد التى تربى فيها الديكة بدون
إنائها ، تتتابع جميعا على وسم القادم
الجديد^(١) .

وبين النصين - كما نرى - تفاوت
واضح ، وإن اتفقا فى الجملة . فبينما
نرى النص الجاحظى يتبسط أحيانا
بالشرح والتنظير نراه يتجاوز عن
بعض التفاصيل التى وردت فى النص
الآخر ولا يعيننا الآن التماس مرجع^١
هذا التجاوز . أما البسطة فى النص
الجاحظى فربما كانت ترجع - فيما يخيّل
الينا - إلى أنه قد داخل كلام أرسطو
بعض التعليقات التى أقحمها الجاحظ
عليه ، وفصل بها بين أجزاءه ، كقوله ،
فى سياق ذلك النص ، فيما نحسب :
« والفراخ ليس معها من الهداية مامع
أما ... » إلى قوله : « وهذا إنما اعتراها
لقاربة ما بينهما وبين الديك .

perdrix . وأكبر الظن أن هذا
النوع من الخلط يرجع إلى سوء صنيع
النساخ ، إذ يبعد عندنا أن يقع من
مترجم واحد قال :

« وإذا وقع الصسائد على العش
استدارت الحجلة *la perdrix* ، لتنجو
بنفسها ، كما لو كانت متدعه بمسكها ،
ثم تطمعه فى إمساكها ، فتجتذبه إليها ،
فتتيح لصغارها الوقت ليهربوا . وبعد
هذا التدبير تطير وتدعو الصغار إليها .
والحجلة لا تبيض أقل من عشر بيضات ،
وأحيانا تبيض إلى ستة عشر بيضة .
والحجلة ، كما قيل طير خبيث ماكر
وإذا كانت الذكورة شديدة الغلظة ،
فإنها ، لكى تمنع الأنثى من الحضن ،
تبثر البيض وتكسره حيث تجده ،
والأنثى تدافع قدر ما تستطيع عنه ،
تخلص بنفسها لتبيض فى مكان آخر .
وكثيرا ما يحدث ، حين يعجلها البيض ،
أن تضع بيضها حيثما اتفق ، بشرط أن
يكون الذكر غير مطيق . ومن أجل
أن تنقذه جملة واحدة ، فإنها لا تعود إليه ...
وإذا تقابلت الذكورة ، فالذكر المنهزم

كما نحسب أن شيئا من هذا التفاوت يرجع إلى غموض النص اليوناني في بعض مواضعه . فوسم الذكر الغالب للذكر المغلوب أو حزه شئ يعترف سانتيلير بأنه غير مفهوم . ولكنه يقول أن النص لا يعطى غير هذا المعنى ، والمخطوطات لا تقدم أى قراءة أخرى . أما المترجم العربى فقد فهمه على أن المراد به السفاد ، وجاء المعنى على هذا واضحا .

أما المعابد التى تربى فيها الديكة المقدسة ، فأكبر الظن أن المترجم العربى لم يكن ليستطيع إدراك المراد بها ، لذلك أغفل ذكرها ، وعبر عن المعنى بعبارة عامة .

٤٠- قال الجاحظ : « زعم صاحب المنطق أن البزاة عشرة أجناس ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائمة ، ومنها ما لا يضرب الحمام إلا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طيرانه ، ولا فى حال جنومه ، ولا يعرض له إلا أن يجده فى بعض الأغصان ، أو على بعض الأنشاز والأشجار . فعدد أجناس صيدها . ثم ذكر أن الحمام لا يخفى عليه فى أول ما يرى البازى فى الهواء :

أى البزاة هو . وأى نوع صيده ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمام بذلك من البازى أشكال : أول ذلك أن الحمام فى أول نهوضه يفصل بين النسروالعقاب ، وبين الرخمة والبازى ، وبين الغراب والصقر ، فهو يرى الكركى والطيروزين ولا يستوحش منهما ، ويرى الزرق فهتضاعل ، فان رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف النافع »^(١)

وهذا النص الذى يبدو أن الجاحظ أورد فيه كلام أرسطو بمعناه ، وعبر عنه بعبارته هو ، يقع فى الفصل الرابع والعشرين من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان حيث يقول :

« يقال أنه يوجد عشرة أجناس من البزاة على الأقل ، تمثل الفروق الكبرى بينها ، فبعضها ينقض على الحمام وهو على الأرض ، ويحتمله ، ولا يمسسه وهو يطير ، وبعضها يطارده الحمام وهو متشبث بشجرة أو أى شئ آخر ، ولكنه لا يمسكه وهو على الأرض ، ولا حين يكون متشبثا ، وبعضها لا يهاجمه وهو على الأرض ولا حين يكون متشبثا ، بل لا يحاول

الحيوان من دم ، أو من شئ يشاكل الدم^(٢) .

وقد كرر الجاحظ هذا النقل في موضع آخر ، فقال : « وأما صاحب المنطق فإنه قال باضطراب أنه لا يعيش حيوان إلا وفيه دم أو شئ يشاكل الدم^(٣) »

وقد جاء هذا القول في الفصل الثاني من الكتاب الثاني ، من أعضاء الحيوان إذ يقول :

«دعامة الحيوان منه ماله دم ، ومنه سائل يشبه الدم ، يحل محله^(٤)» .

٤٢- قال الجاحظ : «وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان أن لكل طائر يعيش شكلا يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع ، وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدهد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نقل منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبني منه بيتا كما تبني الأرضة ، ويضع جزءا على جزء ، فإذا طال مكثه في ذلك البيت ،

لمساكه إلا وهو يطير . ويؤكدون أن الحمام تستطيع معرفة هذه الأنواع المختلفة من البزاة ، حين يطير البازي نحوها ، فإذا كان من البزاة التي لا تصطاد إلا في الهواء ، فإنها لا تترك مكانها الذي هي فيه ، ولكن إذا كان البازي الذي ينقض فوقها من البزاة التي تضرب على الأرض ، فإنها لا تنتظره ، بل تسارع بالطيران^(١) .

وظاهر أن الجاحظ لخص في هذا النص شيئا وأشار إلى شئ . ولكن فيه زيادة لانجدها في النص الآخر ، وذلك قوله : «ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال» إلى آخر النص ، فهل هي زيادة سقطت من النص الآخر ، إذ لم توجد في المخطوطات التي ترجم عنها في أوربا ؟ أم هي زيادة غير أرسطائية ، وقد أوردها الجاحظ عن مصدر آخر من مصادره الكثيرة لكتاب الحيوان ؟ ذلك ما لا يمكن القطع به الآن فيما يبدو .

٤١- قال الجاحظ : «وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع

(٢) ١٢٩ : ٦

(٣) ٣٦٩ : ٣

(١) V.III, p. 212-213

(٤) Traité des parties des animaux . . . V. I, p 83

عشر من الكتاب التاسع من تاريخ
الحيوان :

«والهدهد يصنع عشه كله تقريبا
من زبل الإنسان^(٢)»

٤٣- قال الجاحظ : «وذكر صاحب
المنطق أن الطير الكبير ، الذى يسمى
باليونانية : أغتيولس ، يحكم عشه
ويتقنه ويجعله مستديرا مداخله كأنه
كرة معمولة . وروى أنهم يزعمون أن هذا
الطائر يجلب الدار صيني من موضعه ،
فيفرش به عشه ، ولايعشش إلا فى
أعلى الشجر المرتفعة المواضع . قال :
وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها
رصا صا ، ثم يرمون بها أعششها ، فيسقط
عليهم الدار صيني ، فيلتقطونه ويأخذونه^(٣)»

ويقع نظير هذا النص فى آخر الفصل
الرابع عشر من كتاب التاسع ، من
تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو :

«ويؤكد أهل البلاد أن الطائر المسمى
سيناموم le cinnamome يجلب أيضا
من حيث لايعرف أحد المادة المسماة

وفيه أيضا ولد ، أو فى مثله ، وترى
ريشه وبدنه بتلك الرائحة ، فأخلق به
أيضا أن يورث ابنه النتن الذى علقه ،
كما أورث جده أباه ، و كما أورثه
أبوه . قال : ولذلك يكون منتنا^(١)»

ولم نجد نظير هذا النص ، بهذه
الصورة فيما بين يدينا من حيوان أرسطو ،
ولم نجد هذه المعانى ، بهذا الوضع ، لديه .
ولأن يكن أرسطو تكلم عن الأعشاش
فى غير موضع ، وعن اختلافها باختلاف
أصحابها ، كما تكلم عن الهدهد وعشه
خاصة ، وذكر أصل القول هنا فيه ،
أما ماعدا ذلك من تفصيلات وصور فلم
يقع لنا منها شئ فيما أتيج لنا ، فإما أن
يكون ذلك قد كان فى حيوان أرسطو
الذى نقلت نسخته إلى العربية ، ثم
سقط وضاع ، وإما أن يكون شيئا أقحم
عليه ، أقحمه المترجم ، أو أقحمه الجاحظ
نفسه . وكل ذلك جائز محتمل فيما
نحن فيه .

وهذا هو نص كلام أرسطو عن عش
الهدهد ، كما جاء فى الفصل السادس

(٢) V. III, p. 186

(١) ٥١٣ : ٣ - ٥١٤

(٣) ٥١٥ : ٣

أم أن الاسم الذى جاء به النص الجاحظى أو مايشبهه ضاع أو انبهم فى الأصول اليونانية المخطوطة التى كانت مادة الترجمة الأوربية ، وبذلك أطلق على الطائر اسم النبات الذى يصنع منه عشه؟

أم أنه - قبل الاسترسال فى الفروض - لابد من الرجوع إلى الأصول اليونانية ، فلعلها تحتفظ بهذا الاسم أو مايشبهه ؟

ولعل من تمام القول فى هذا النص أن نذكر ماعلق به الحافظ عليه ، وذلك إذ يقول :

«ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب الدار صينى ، وإن كنت لأعرف الوجه فى أن طائرا ينهض من وكره فى الجبال ، أو بفارس ، أو باليمن ، فيؤم ويعمد نحو بلاد الدارصينى ، وهو لم يجاور موضعه ولا قرب منه . وليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابد أو من القواطع ، وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصحصححان الأملس ، وبطون الأودية ، وأهضام الجبال ،

بهذا الاسم ، ويصنع منها عشه ، وهو يجعله فوق الأشجار وفى أعلا الأغصان . والأهالى يسقطون هذا العش بضربه بالسهم المشدود إليها الرصاص ، فيجمعون ماجلبه هذا الطائر من الدار صينى»^(١) .

وبين النصين - كما نرى - بعض الفروق ، وإن كان أصل المعنى واحدا ، وجملة الصورة متفقة فيهما .

ولعل أول مايلفت النظر ويثير التساؤل من وجوه الخلاف هو الخلاف فى اسم ذلك الطائر ، إذ يجعله النص الجاحظى «أغتيولس» ، ويجعله النص الآخر «سيناموم» . فهل يرجع هذا الخلاف إلى أن الاسم ، كما جاء فى النص الأول ، تعرض للتحريف الذى حوله من «سيناموم» إلى «اغتيولس» ؟ ذلك فرض بعيد ، إذ لا تكاد الكلمتان تلتقيان بوجه من الوجوه فى الصورة الخطية ، إلا أن تكون الكلمة الأولى قد مرت فى مراحل مختلفة من التحريفات والتصحيفات انتهت بها إلى أن فقدت كل صلة بصورتها الأولى .

بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السميت ،
لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه .
وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه
ما يصير فراشا له ومهادا ، إلا بالاختلاف
الطويل . وبعد فإنه ليس بالوطيء الوثير ،
ولا هو له بطعام . فأننا وإن كننا لأعرف
العلة بعينها ، فلست أنكر الأمور من هذه
الجهة ، فأذكر هذا ^(١) .

وقبل أن ندع هذا النص نقول إن
الترجمة العربية التي وضعت كلمة
« الدارصيني » بإزاء كلمة « cinnamome »
قد فصلت في حيرة سانتيلير حين قال
في تعليقه على هذه الكلمة : إنه لا يدرى ،
على وجه الدقة ، ماذا كان القدماء يعنون
بها : أهو الم (myrhe) أم
هي القرفة (Cannelle)

٤٤ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن ذوات الأربع كلها تحيض ،
على اختلاف في القلة والكثرة ، والزمان ،
والحمرة والصفرة ، والرقرة والغلظ » ^(٢) .

٤٥ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت
في السن كان أقوى لها على المعاظلة » ^(٣) .
وقد سبق للجاحظ أن ذكر هذا المعنى ،
حاكيا له عن أرسطو ، في سياق فصل
طويل خاص بالكلاب ، نقله عنه ،
ونص عبارته هناك :

« ويعرض للكلاب السلوقية عرض
خاص ، وهي أنها كلما بقيت كانت
أقوى على السفاد » ^(٤) .

ونظيرها في كلام أرسطو قوله :
« وللكلاب اللقونية خاصية تمتاز بها ،
وهي أنها كلما تعبت كانت أقوى على
السفاد من التي لم تتعب » .

وقد لاحظنا أن في عبارة أرسطو -
كما أوردها الجاحظ - تحريفين :
أولهما في كلمة « السلوقية » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « اللقونية » ،
والآخر في كلمة « بقيت » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « تعبت » ^(٥) .

(٢) ٣ : ٥٢٩ - ٥٣٠

(٤) ٢ : ٢٢٢

(٥) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٧٧

(١) ٣ : ٥١٧ - ٥١٨

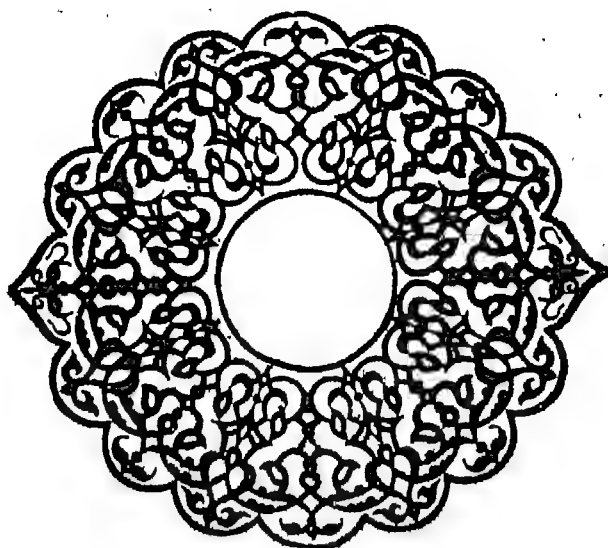
(٢) ٣ : ٥٣٣

بقيت « ومن ذلك كان تعليقه على كلام
أرسطو بقوله :

« وهذا غريب جدا . وقد علمنا أن
الغلام أحد ما يكون وأشيق وأنكح وأحرص
عند أول بلوغه ، ثم لا يزال كذلك حتى
يقطعه الكبير ، أو لإصفا ، أو تعرض له
آفة » .

محمد طه الحاجري

وهنا نستطيع أن نقول إن هذا
التحريف الأخير ليس تحريفا في نسخ
حيوان الجاحظ التي بلغتنا ، وإنما كان
تحريفا في نسخة حيوان أرسطو التي
كانت بين يدي الجاحظ ينقل عنها ،
بدليل أنه ، حين روى هنا بالمعنى
ما كان أورده قبل نصا ، قال : « كلما
دخلت في السن » بدلا من قوله : « كلما



سَجْعُ الْقُرْآنِ فَرِيدٌ

للدكتور أحمد الحوفي

أهلكتنا من القرون من بعد نوح ، وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ،^(٢)
وهنا سجع داخلي بين مترفيها وفيها .
ومثل قوله تعالى : « وما تفرقوا إلا من
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا
كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى
لقضى بينهم ، وإن الدين أورشوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك
فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ،
وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا ، وربكم ،
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا
وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير »^(٣)

فالسجع الداخلي واضح في الآيتين .

٥- ولقد ترد الفاصلة مسبقة بلفظ
يمهد لها ويكاد يعينها ، سواء أكان هذا
اللفظ الممهد في أول الآية مثل قوله تعالى :

في البحث السابق^(*) بعض
خصائص السجع القرآني ،
وهذا طرف آخر من تلك الخصائص .

٤- قد يتداخل في القرينتين سجع
آخر غير سجعهما ، فيتضاعف نغم
التعبير ، وتعلو موسيقاه ، ويعظم في
السمع وقعه ، ويعمق في النفس أثره ،
كقوله سبحانه وتعالى : « ربنا اطمس
على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد
أجيببت دعوتكما ، فاستقيما ، ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون »^(١) .

فها هنا سجع داخلي بين أموالهم وقلوبهم .
ومثل قوله سبحانه : « وإذا أردنا
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ،
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم

(*) نشر بالجزء السابق من المجلة (٢٨) .

(١) سورة يونس ٨٨ - ٨٩

(٢) سورة الشورى ١٤ - ١٥

(٢) سورة الإسراء ١٦ - ١٧

تكون الفاصلة كلمة (مظلومون) .
وكذلك قوله سبحانه : « لا تدركه
الْأَبْصَارُ ، وهو يدرك الْأَبْصَارَ ، وهو
اللطيف الخبير »^(٥) ، لأن كلمة اللطيف
هى التى تناسب الذات العلية التى لا يدركها
بصر ، وكلمة الخبير هى التى تلائم
الخالق القدير الذى يدرك أَبْصَارَ الخلق
وأحوالهم جميعها .

وقوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا ، فيضاعفه له وله أجر كريم .
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ، ذلك هو الفوز العظيم »^(٦)

لأن الأجر الكريم هو الذى يناسب
مضاعفة الأجر ، والفوز العظيم هو الذى
يناسب النور الهادى والنعم فى الجنات .

٧- وكثيرا ما ترافق الفواصل أغراض
بلاغية أصيلة تتجلى من نسق الآية أو من
إيثار لفظ على لفظ ، وهذا مجال رحب
لدراسة متأنية مفصلة .

« ولقد فتننا سليمان ، وألقينا على كرسيه
جسدا ، ثم أناب . قال رب اغفر لى ،^(١)
وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى
إنك أنت الوهاب »^(٢) ، أم كان فى
صدر الآية نحو قوله سبحانه : « قال
لهم موسى وبلکم لا تفتروا على الله كذبا ،
فيُشحتکم بعذاب ، وقد خاب من افترى ،
فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا النجوى »^(٣) ،
ونحو قوله سبحانه : « وما كان الناس
إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه
يختلفون »^(٤) .

آفان كلمتى الوهاب وهب ، وكلمتى
لا تفتروا وافترى ، وكلمتى اختلفوا
ويختلفون ، ثلاثم كل منهما الأخرى .

٦- وأحيانا تأتى الفاصلة موافقة لمعنى
ما قبلها وإن لم تتفق معه فى لفظه ، مثل
قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار فإذا هم مظلومون »^(٥) ، لأن
الفواصل السابقة للآية نون ، وانسلاخ
النهار من الليل ومجيئه بعده يرشح أن

(٢) سورة طه ٦١ - ٦٢
(٤) سورة يس ٣٧
(٥) سورة الحديد ١١ - ١٢

(١) سورة ص ٣٤ - ٣٥
(٣) سورة يونس ١٩
(٥) سورة الأنعام ١٠٣

التقديم أدق من التأخير ، والسبب لفظي
هو أن الفاصلة ألف مقصورة ساسبها
أن تجي* كلمة موسى في آخر الآية .
وفي قوله تعالى : « مَسْأَلِيهِ مَسْرَر .
وما أدراك ما مسرر ؟ لا تُبْقِي ولا تَذَر .
لِوَاخَةِ للبشر . عليها تسعة عشر »

حذف المفعول بعد الفعل (تذر)
للدلالة على التعميم وأن سقر لا تبقى شيئاً ،
ولتحقيق الفاصلة وهي الراء .

كذلك حذف المفعول في قوله تعالى :
« والضحى والليل إذا سجى ، ما ودَّعك
ربك وما قَلَى »^(٤) لإيناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنقى هجر الله تعالى
له نفياً قاطعاً يتضمن الرفق والرحمة
والمحبة ، ولهذا لم يذكر الضمير وهو
الكاف حتى لا يتصل بالهجر وإن كان
منفياً ، ومع هذا حقق حذف الضمير
موسيقى السجع .

أما الذين ذهبوا إلى أن حذف الضمير
في الآية رعاية للفاصلة كالحموى وغيره^(٥)
فإن نظرهم محتاجة إلى تصويب ، لأن

ففي قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم
فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر .
والرَّجْزَ فاهجر . ولا تَمْنُنْ تستكثر . ولربك
فاصبر »^(١) قدمت المفعولات (ربك
وثيابك والرجز) على الأفعال (كبر
وطهر واهجر) للقصر البلاغي من ناحية ،
ولتحقيق موسيقى الفواصل من ناحية ،
وقدم الجار والمجرور (ولربك) على
الفعل (اصبر) للغرض نفسه .

وفي قوله سبحانه وتعالى : « قالوا
يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول
من ألقى . قال : بل ألقوا ، فإذا حبالهم
وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إليه من سحرهم أنها
تَسْعَى . فأوجس في نفسه خيفة موسى ،
قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى . وألقى
ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا ، إنما صنعوا
كَيْدُ سَاحِرٍ ، ولا يفلح الساحر حيث
أتى »^(٢) .

قدم الضمير وهو الهاء في كلمة (نفسه)
على (موسى) لسبب معنوي هو الدلالة
على أن خوف موسى كان يجهش في نفسه
ولكنه خفي على السحرة ، مستور عنهم وهذا

(٢) سورة طه ٦٥ - ٦٩

(٤) سورة الضحى ١ - ٣

(١) سورة المدثر ١ - ٧

(٣) سورة المدثر ٢٦ - ٣٠

(٥) خزائن الأدب للحموى ٥١٧

الحذف لرعاية الفاصلة وحدها يؤدي إلى إيهام إيهام اللفظ على المعنى ، وإلى التكلف في التعبير ، وإلى الغفلة عما تقتضيه بلاغة البشر ، فما بالناس بالقرآن الكريم ؟ وأما قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا : يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، أفلا يخرجكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى »^(١) .

فإن الياء حذفت من (نذرى) ولا أثر لهذا في المعنى .

ومثل حذف الياء من الاسم المنقوص المعرف في قوله سبحانه : « ويقول الذين كفروا : لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »^(٢) .

فقد حذفت الياء من (المتعال) وليس لحذفها أى أثر في المعنى .

وشبيه هذا الحذف لإثبات هاء السكت في قوله تعالى : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرأوا كتابيه . إلى ظننت أنى ملاق حسابه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية »^(٣) .

إذ جاءت كلمة (كتابيه) بدلا من كتابي ، وكلمة (حسابه) بدلا من حسابي ، وليس في هذا جور على المعنى .

فقد جاء الفعل (تشقى) بدلا من تشقيان ، للدلالة على أن في شقاء آدم شقاء لحواء ، لأن الحياة الزوجية شركة بين الزوج والزوجة ، تسعد فيها الزوجة أو تشقى بسعادة زوجها وشقائه ، ولأن الرجل هو القوام على المرأة ، وفي هذا رعاية للفاصلة أيضا .

٨- على أن الفاصلة قد تجيء وليس لها رجحان في المعنى ولا طغيان عليه ، مثل : « فإيا المتكلم في قوله تعالى : « كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر »^(٤) .

(٢) سورة القمر ١٨ - ١٩

(٤) سورة الحاقة ١٨ - ٢٣

(١) سورة طه ١١٦ - ١١٩

(٣) سورة الرعد ٧ - ٩

(٣) القرآن والترسل

على أن في القرآن الكريم كثيرا من الأساليب المرسلة ، فلماذا لم ينزل مسجوعا كله ؟

أجاب ابن الأثير على هذا بقوله : « وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك مسلك الإيجاز والاختصار ، والسجع لا يوافق في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار ، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب »

وهذا تعليل متهافت ، لأنه إن صدق على الأديب غير المتمكن لا يصدق على الأديب اللبق المجيد ، وإذا جاز على البشر فليس بجائز على رب البشر . وكأنما أحسن ابن الأثير بضعف تعليله ، فعقب عليه بقوله : « وها هنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك

(١) الملل السائر ١ - ٢٧٧

(٢) سورة الإنسان ٢٨ - ٣٠

تضمن القرآن القسمين جميعاً^(١) .

على أنني أزيد على هذا أن الكتاب الكريم نزل هاديا ، ومشرعا ، ومبطلا لعقائد ، ومؤمسا لعقائد ، يجادل ، ويقص ، ويعد ، وينذر ، ويبشر ، ويرغب ، ويستميل ، فلا بد أن يراوح في عباداته بين مجمل ومفصل ، وبين مسجوع ومرسل ، مراعاة للموضوع وللمقام .

لهذا نزل منشورا ، وتصرف أسلوبه تصرفا بديعا ، فهو آنا مرسل ، وحينا مسجوع ، وطورا مزدوج أو متوازن لا تتحد فواصله ، بل تجيء من أحرف متقاربة المخارج كقوله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » . لأنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تدكرون . تنزيل من رب العالمين^(٢) .

وقوله سبحانه : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما^(٣) » .

(٢) سورة الحاقة ٣٨ - ٤٣

(٣) سورة الأعراف ١٠١ - ١٠٣

أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ،
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فزادهم رهقا^(٣) ،

(٤)

وبعد ، فقد كان للعرب نشر مرسل ،
وكان لهم نشر مسجوع ، وكان لهم نشر
مزدوج ، وكانوا في فنون مقالهم نشرا
وشعرا أصحاب براعة وافتنان ، فلما
نزل القرآن الكريم مرسلا ومسجوعا
ومزدوجا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله
فحجزوا ، ودانوا ببلاغته التي لا تلحق ،
وتطامنوا لروعته التي لا تجد ، فصدقوا
قول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا^(٤) » .

أحمد الحوفي

وقوله تعالى : « كلا ، بل لا تكلمون
اليقيم . ولا تحاضون على طعام المسكين^(١) »
على أن المزدوج قد يرد من أحرف متباعدة
المخارج ، ولكن وحدة الوزن كفيلة
بالترنيم والتنغيم ، مثل قوله تعالى :
« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق؟
النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها
حافظ . فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق
من ماء دافق . يخرج من بين الصلب
والترائب . إنه على رجعه لقادر يوم
تُبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر^(٢) » .
وقوله سبحانه : « قل أوحى إلى أنه
استمع نقر من الجن قالوا إنا سمعنا
فرآنا عجا . يهدي إلى الرشد فآمنا به
ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جَدُّ
ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه كان
بقول سفيهننا على الله شغطا . وأنا ظننا

(٢) سورة الطارق ١ - ١٠

(٤) سورة الإسراء ٨٨

(١) سورة الفجر ١٧ - ١٨

(٣) سورة الجن ١ - ٦

دراسة تفصيلية في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية

للدكتور محمد محمود السلاّموني

من نطقها في اللغتين اليونانية واللاتينية وتوَّج هذه المحاولة مجمع اللغة العربية في مصر، فأصدر قرارات تضمنت القواعد التي تساعد على تحقيق هذا الغرض^(١).

ولما كانت اللجنة الموقرة التي ألفها المجمع للدراسة هذا الموضوع قد ذكرت في تصديرها للقواعد التي وضعتها «أنها لاتقيدُ باحثاً مختصاً بالآداب اليونانية

كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف عربية موضوع جدير بالعناية، ولهذا حاول بعض الأعلام للحدثين وضع قواعد تيسر على المعربين نقل أسماء الأعلام بما يقرب جرسها في اللغة العربية

(١) لقد تناول هذا الموضوع الأستاذ الجليل الفريق أمين المعلوف في مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩١١ (وقد أعاد نشر هذا البحث في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٣) وكذلك الأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى في كتاب التهذيب في أصول التعريف، القاهرة ١٩٢٣.

وأما مجمع اللغة العربية بمصر (إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية) فقد عني بهذا الموضوع كذلك، فأصدر قرارات في «كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية»، (انظر الدورة الرابعة، الجلستين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين، ص ٤٠٤ - ٤٢٦، ١٩٣٧) وقد نشرت هذه القرارات في مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية)، الجزء الرابع، ص ٣١ - ٣٨، ١٩٣٩، خلوا من الأمثلة ثم ذكرت الأمثلة في مكان آخر من المجلة في ص ١٢٤ - ١٤٠. ونشرت هذه القرارات مرة ثالثة في مجموعة القرارات العلمية - ٣ - بعنوان «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، ١٩٣٢ - ١٩٦٢» خلوا من الأمثلة، ص ١٠١ - ١١١، القاهرة، ١٩٦٣.

وأضيف إلى هذا كتاب الأستاذ الجليل الأمير مصطفى الشهابي «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»، باب كتابة الحروف اليونانية واللاتينية بحروف عربية - ص ١٠٦ - ١١٣ - حيث نقل قرارات المجمع الموقر ثم أضاف إليها بعض ملاحظات قيمة جدية بالنظر، ص ١١٣ - ١١٤، القاهرة، ١٩٥٥.

ولما كانت اللجنة الموقرة المؤلفة لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية قد استعانت ببحثي الأستاذ الفريق أمين المعلوف والأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى واستمدت من هذين الباحثين قواعد كثيرة (انظر د. ٤ - ص ٣٣ - ٤٠٦)، فقد رأيت أن أقصر ملاحظاتي على ما ورد في قرارات المجمع في ص ٤٠٤ - ٤٢٦ من الدورة الرابعة (٣٣ - ٣٤)، فهي المصدر الرئيسي لهذه القرارات.

رأى من آرائى أو صححوا رأياً واتفقت
آخر الأمر وجهات النظر ، صدر ملحق
للقرارات السابقة ، وذلك بغية توحيد
طريقة النقل ليسترشدها السادة العربون ،
ومن أولى بالمجمع الموقر فى مواصلة تبنيه
لهذا الموضوع وأجدر منه فى إصدار مرشد
يُتوخى فيه النقل الدقيق لأصوات الحروف
فى هاتين اللغتين ، اليونانية واللاتينية ،
بقدر الإمكان . فالحاجة ملحة إلى هذا
المرشد ، فإن غالبية العربيين المحدثين
لا يتبعون قاعدة ثابتة فيما ينقلون من أسماء
الأعلام الإغريق والرومان إلى العربية ، بل
إن بعضهم ينقل أسماء هؤلاء الأعلام عن
طريق اللغة الفرنسية مع اختلاف أصوات
الحروف الجامدة ^(٢) فى هذه اللغة عن
نظائرها فى اللغتين اليونانية واللاتينية ،
والأمثلة على ذلك ليست بالقليلة .

منهج البحث

إلى العربية ، أرى من الضرورى أن
ألقى نظرة سريعة على أسلوب القدامى

واللاتينية ولا تمنعه من أن يتبع قواعد
أخرى إن أراد التقصى فى ضبط هذه الأعلام
ضبطاً أدق ^(٣) فقد تركت بهذا ، مشكورة
الباب مفتوحاً للمختص ليدل بدلوه فى هذا
الموضوع ، ولكنى أختلف معها فى فصل أعلام
الآداب اليونانية واللاتينية عن أعلام العلوم
المختلفة الذين ورد ذكرهم فى الترجمات
العربية القديمة ، ذلك أن القواعد التى
تنقل على أساسها أسماء هؤلاء الأعلام
ينبغى أن تكون موحدة ، وهذا ما سأحاول
القيام به فى هذه الدراسة المتواضعة حيث
استأنس فيها بما ورد فى قرارات المجمع
الموقر وأناقش بعض مضامينها كلما دعت
الحاجة إلى ذلك ، وأرجو أن يتفضل
المجمع الموقر ، ممثلاً فى أعضائه المختصين
بالصوتيات ، بمناقشتى فيما أثرته من
آراء تخالف ماورد فى بعض قراراته ،
حتى إذا وافق هؤلاء الأعضاء الأجلاء على

لما كان هدفى الإسهام فى وضع قواعد
تيسر نقل الأعلام الإغريقية والرومانية

(٢) د ٤٤ ، ٣٣ ، ص ٤١٥

(٣) أطلق على الحروف اليونانية واللاتينية المقابلة للحروف العربية (الباء والطاء والذال والجيم إلى آخره) اسم الحروف الجامدة كما أطلق على الحروف المقابلة للحروف الممتلئة فى العربية اسم اللينة ، وذلك بناء على توجيه السيد الأستاذ الدكتور طه حسين الذى كان قد تفضل بمراجعة كتاب « اللغة اللاتينية » وهو من تأليف وكاليف زميلين كريمين آخرين ، القاهرة ، ١٩٤٨

وأنتهج معها نفس المنهج الذى اتبعته مع حروف الأبجدية اليونانية تماماً ثم أختتم دراستى بإبداء بعض ملاحظات عن طريقة الأقدمين فى تعريف الأعلام عن طريق أمثلة أسوقها مما عرب قديماً منها

وأفصل هذا المنهج تحت رؤوس الموضوعات الآتية :

١- نظرة سريعة فى أسلوب القدامى فى النقل .

٢- الطريقة المقترحة لكتابة الأعلام بحروف عربية .

٣- كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية .

٤- كتابة الأعلام الرومانية بحروف عربية .

ملاحظة : إن ما دعانى إلى تناول الأعلام الإغريقية (٣) والرومانية (٤) كل على حدة ، هو اختلاف أصوات بعض الحروف اليونانية عنها فى اللاتينية ولأسباب أخرى سأذكرها فى مواضعها إن شاء الله .

٥- ملاحظات على طريقة القدامى فى النقل .

فى نقل الحروف اليونانية واللاتينية إلى العربية لتكون تمهيداً للطريقة التى سأتبناها فى نقل هذه الحروف أو بعضها إلى العربية ، وهذه الطريقة تعتمد أساساً على أصوات الحروف فى اللغتين المذكورتين . ولهذا ينبغى على أن أعرف أولاً بحروف الأبجدية اليونانية ، جامدها وليزها وبأصواتها الأصلية وأعطى ما يقابلها من أصوات حروف الأبجدية العربية أو ما يكون أشد قرباً من جرسها ، إذا لم يكن فى العربية أصوات مشابهة تماماً ، وسأخصص لكل حرف تعليلاً مستقلاً أناقش فيه قاعدة المجمع الموقر المتصلة بالحرف الذى سأتناوله وسأشير إلى قاعدة المجمع بجانب كل تعليق . وستكون هذه التعليقات مرقمة ومسلسلة لسهولة الرجوع إليها . فإذا انتهيت من ذلك سقت أمثلة من أسماء الأعلام المختارة بغية التطبيق على ما تضمنته بعض التعليقات ، وحتى يكون التطبيق واضحاً سأشير أسفل الأعلام المختارة إلى التعليقات التى أرى تذكير القارئ الكريم بها . ثم أنتقل بعد ذلك إلى التعريف بحروف الأبجدية اللاتينية

١ - نظرة سريرية في أسلوب القدامى في النقل

الذين لا ينكر فضلهم فيما أنجزوه من أعمال جديرة بالتقدير العظيم ، لم يلتزموا بالقواعد الصوتية للحروف الجامدة والليننة اليونانية واللاتينية - وحتى المتأخرة منها - في نقلهم الأعلام الإغريقية والرومانية ، ففما يتعلق بأصوات الحروف الجامدة ، فخموا أصوات بعض الحروف ، فأحالوا ، على سبيل المثال ، صوت الحرف الذى يقابل حرف التاء في العربية طاء . أمّا ما يقابل صوت حرف الباء فقد جعلوه فاء على مقتضى قواعد النطق والخط السرياني ومن العجيب أن المترجمين غير السريان قد جروا على عرفهم (إلى غير ذلك مما سأناقشه في موضعه) ، كذلك لم يعن هؤلاء النقلة بأصوات الحروف اللينة فلم يميزوا بين أصوات حروف المدواللين ولم يتنبهوا إلى وظيفة الحركات فلم يضبطوا الأعلام عند نقلها . وهذه ظاهرة

عندما بزغ فجر العصر العباسى وأخذ خلفاؤه يشجعون حركة ترجمة العلوم من لغات الأمم القديمة ومنها علوم الإغريق بمخاصة ، قام المترجمون ابتداء من القرن الثامن الميلادى بترجمة هذه العلوم إلى السريانية أولاً ثم إلى العربية ثانياً ، كانت اللغتان ، اليونانية واللاتينية قد أصابهما الاضمحلال^(٤) ، أما أصوات بعض حروف هاتين اللغتين ، وهى ماتعنينا في هذه الدراسة ، فقد فقدت جرسها الأول الأصيل وأصبح لها أصوات جديدة بعيدة كل البعد عن أصواتها الأولى وكان من نتيجة ذلك أن الصورة الصوتية للأسماء الإغريقية والرومانية لم تعد نفس الصورة الأصلية التى تُطق بها من قبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المترجمين القدامى

(٤) أعنى باللغة اليونانية طبعها النموذجية ، وهى الأتيكية ، لهجة أثينا في عصر زعامتها الأدبية والعلمية ابتداء من القرن الخامس ق . م ، وهى ما كتبت بها أعمال الشعراء والكتاب المجيدين في أكثر من فن ؛ وكانت تعد في نفس الوقت أكثر اللهجات جمالا وأبدعها صقلا . أما قواعدها اللغوية - وكذلك الصوتية إلى حد ما - فأتخذت أساساً في دراسة اللهجات الأخرى . ومثل هذا يقال عن اللغة اللاتينية في القرن الأول ق . م في عصرها الذهبى ، عصر الشعراء والكتاب الفحول . إلا أن هاتين اللغتين قد هانتا الكثير مع تعاقب الأجيال والقرون ، فأخذتا تفقدان مزاياهما اللغوية الأولى شيئاً فشيئاً حيث تحرر كتاب المصور المتعاقبة من قواعد اللغتين الأساسية فحرفوا بعضها وانصرفوا عن بعضها الآخر وذلك لانتشار هاتين اللغتين في بقاع بعيدة ولأسباب أخرى ، منها محاولة كتاب ليسوا لإغريق ولا رومان الكتابة باليونانية واللاتينية .

« قليبورة » - وهو للملكة مصر البطلمية المعروفة - وبالرغم من أن أصوات حروف الاسم الجامدة العربية لاتقابل أصوات حروفه في اليونانية أو اللاتينية تماما ، إلا أنه يعتبر أقرب مايكون إلى صورته الأصلية إذا ما قورن بالصورة التي نقلها أحد الكتاب المحدثين لهذا الاسم ، فقد نقلها « قلاو فطرة »^(٥) ويبدو لي أن ما لم يكن هذا الكاتب قد أخذ بأسلوب القدامى بطريقة غير ذكية لما تجرأ على على هذا النقل المعيب .

ومجمل القول : إن قدامى النقلة : في رأي مجتهدون ، قاموا مشكورين بكل ما استطاعوا ولكن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ولن يقلل من شأنهم إعادة النظر في أسلوبهم في النقل والإبقاء على ما نراه صحيحاً والانصراف عما نراه لا يمثل أصوات الحروف في اللغتين المنقول عنهما ومحاولة التصحيح

لايستطاع معها التعرف على الاسم في لغته الأصلية (إلى غير ذلك مما سأذكره في موضعه) ، وهم عندما فعلوا ذلك قد باعدوا بين صورة الاسم الإغريقي والروماني وصورته في العربية ، وما كان ينبغي لهم أن يتخطوا حدودهم فيطوعوا أصوات حروف لغة ليست بلغتهم ، ويفرضوا عليها أصواتا سريانية أو عربية لاتقابل أصوات الحروف التي ينقلونها إلى العربية . إن هذا الذي فعلوه غير مقبول علمياً طالما كان المقصود نقل الاسم إلى العربية وفق صورته الأصلية ولا يسعى الآن إلا أن أطلب بالحد من مبدأ « القديم على قدمه » فإن لهذا المبدأ نتائج خطيرة على مدى العصور خصوصاً وأن بعض الكتاب المحدثين المحاكين للقدامى قد بالغوا في محاكاةهم لهم وأساءوا إليهم ، ولأضرب مثلاً يقوم طيلاً على ما أقول : لقد ورد في كتب العرب الأقدمين الاسم

(٥) انظر الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، نفس الكتاب ، ص ١١٥

الطريقة المقترحة لكتابة الاعلام بحروف عربية

الحروف الجامدة والليننة اليونانية واللاتينية وبين نظائرها في العربية ؛ أضف إلى هذا أن باليونانية واللاتينية مايسمى بالحروف اللينة المزدوجة^(٦) ، وهى غير واضحة في العربية كما يجب بالرغم مما يقال من أن العرب تصوروا « المزدوج » الذى يوجد في لسانهم والذى لم يسموه قط^(٧) ، فإن كل هذه الخلافات ستكون موضع مناقشة ، وقد أصل في بعض الحالات إلى حل وسط ولكن ذلك لن يكون على حساب أصوات الحروف اليونانية واللاتينية لأن هذا يبعدنا كل البعد عن نطق الأسماء كما نطق بها أصحاب اللغتين .

أما الأصوات السريانية لبعض الحروف فسوف أتحدثها وكذلك سأصرف النظر عن تفخيم بعض الحروف الجامدة التي فتحها القدامى ون مبرر صوتي لا في اليونانية ولا في اللاتينية ولا في العربية .

والآن فإن ما ذكرته في هذه النظرة السريعة - وهو قل من كثير - في أسلوب القدامى في النقل جعلنى أحاول طريقة أخرى في نقل الاعلام إلى العربية أكثر دقة ، لأنها تعتمد أساساً على أصوات الحروف الجامدة والليننة في اللغتين اليونانية واللاتينية المنقول عنهما . وهذه الأصوات هى ما أقرأها معظم علماء فقه اللغة الذين قاموا بجهود جبارة في الوصول إلى خصائص هذه الحروف وأصواتها . ولما كانت اللغتان اليونانية واللاتينية تنتميان إلى أسرة اللغات « الهندية - الأوروبية » ، أو « الآرية » وتنتمى العربية إلى السامية ، فلا ينتظر أن تكون طبيعة اللغتين اليونانية واللاتينية من ناحية ، وطبيعة اللغة العربية من ناحية أخرى ، واحدة أو متسقة ، بل إن من المحقق أن هناك خلافاً بين بعض أصوات

(٦) انظر ح - الحروف اللينة المزدوجة اليونانية وخصائصها ، ص ١١٣ - ١١٦ ، ح - الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية وخصائصها ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(٧) انظر « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الأعراب لابن جني » للدكتور الأب هنري فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، مجلة اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٤ .

٣ - كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية

١ - أصوات حروف الأبجدية اليونانية الجامدة :

تنبية : للحرف الجامد اليوناني صوت واحد لا يتغير (فيما عدا حرف (جاما ، γ ، Γ) انظر التعليق (٢) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

التعليق	الحروف العربية المقابلة	أسماء الحروف بالعربية	أسماء الحروف باللاتينية	الحروف اليونانية	
				الكبيرة	الصغيرة
(١)	الباء	بيتا	Beta	B	β
(٢)	الجيم	جاما	Gamma	Γ	γ
(٣)	الدال	ديلتا	Delta	Δ	δ
(٤)	الزاي	زيتا	Zeta	Z	ζ
(٥)	الثاء	ثيتا	Theta	Θ	θ
(٦)	الكاف	كابا	Kappa	K	κ
(٧)	اللام	لامبدا	Lambda	Λ	λ
(٨)	الميم	مو	Mu	M	μ
(٩)	النون	نو	Nu	N	ν
(١٠)	ينطق كس بسكون الكاف	كسي	Xi	Ξ	ξ
(١١)	(الهاء)	بي	Pi	Π	π
(١٢)	الراء	رو	Rho	P	ρ
(١٣)	السين	سيجما	Sigma	Σ	σ,ς
(١٤)	التاء	تاو	Tau	T	τ
(١٥)	الفاء	في	Phi	Φ	φ
(١٦)	الخاء	نبي	Chi	Χ	χ
(١٧)	ينطق بس بسكون (الهاء)	إبسي	Psi	Ψ	ψ

ملاحظة : ليس في اليونانية حرف جامد يقابل حرف الهاء في العربية ، ولكن هناك علامة تمثل صوت

هذا الحرف . انظر التنبية الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧

التعليقات

التعليق (١) :

«يرسم هذا الحرف جيما شديدة

(غير معطشة)»

ملاحظة : يلاحظ أن هذا الحرف يحل محل الحرف (نو ، ٧ ، N) ، أى ينطق نوناً في العربية قبل الحروف الآتية (جاماً ٧ . كاً ٧ ، نى ، ٧ ، لكى ٧) وأقترح أن تكون هذه الملاحظة بديلاً للفقرة الثانية من القاعدة .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة ، في الحرف (ديلتا ، ٨ ، Δ) - د٤ .
ج ٣٤ ص ٤١٣ .

كان صوت هذا الحرف حتى القرن الرابع الميلادى يقابل في العربية صوت حرف الدال المهملة ثم أصبح صوته يقابل صوت حرف الدال الأعجمية كما ينطق الآن في اللغة الحديثة .

وأرى من الأفضل أن نبقى على صوته الأول في رسم دالاً مهملة .

التعليق (٤) :

قارن المجمع . القاعدة الثالثة والعشرون ، في الحرف (زيتا ، ٩ ، Z) - د٤ .
ج ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

في الحرف (بيتا ، β ، B) ، لم يأت ذكره في قواعد المجمع .

بالرغم من أن صوت هذا الحرف صار في العصور المتأخرة مثل صوت الحرف (V) في الإنجليزية ، إلا أن النقلة القداى انصرفوا عن هذا الصوت لأنه غير موجود في الأبجدية العربية ، وعلى ذلك يرسم باء خفيفة في العربية .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ، في الحرف (جاماً ، ٧ ، ٢) - د٤ . ج ٣٤ ، ص ٤١٦-٤١٧ .

لم أصل إلى أن الإغريق القداى قد نطقوا هذا الحرف بما يشبه صوت حرف الغين في العربية كما ينطق الآن في اللغة الحديثة ، ولعله كان نطقاً دارجاً جرى على ألسنة العامة في عصور الترجمة أو أن المترجمين قد خلطوا بين أصوات الحروف في اللغات المختلفة التي كانوا يترجمونها . وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتي :

القاعدة في الأرقام (١ - ٣) فإن صوت هذا الحرف في لغته الأصلية يقابل صوت باء شديدة لا فاء (فالصوت الأخير سرياني لا يوناني) وعلى ذلك أرى الاحتفاظ بصوته اليوناني دون تحفظ .

وهنا يتعين إدخال صوت الحرف باء الشديد في العربية أسوة بما قرره المجمع الموقر بقبول صوت الحرف (٧)

(الانجليزى) ونقله في العربية فاء بثلاث نقط^(٩) ، فيكتب باء أسفلها ثلاث نقط (پ) . إن الحاجة ماسة إلى هذا

الحرف لأنه سيرفع اللبس بين صوت الحرفين الباء والفاء . وأسوق المثل التالى الذى يقوم دليلاً على ضرورة التمييز بين الباء والفاء : انظر إلى الاسمين الآتين Παρος - وبالْحُرُوف اللاتينية Paros) ، (Φάρος - وبالْحُرُوف اللاتينية Pharos) فأولهما يبدأ بالحرف (Π) والثانى بالحرف (φ) فى «

وينطقان بطريقة السريان « فاروس » مع أنهما علمين مختلفين تمام الاختلاف ، فالاسم الأول علم على جزيرة فى بحر إيجه والثانى علم على جزيرة مصرية

التعليق (١٠) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ، فى الحرف (إكسى ، ع ، ق) - د ٤ . ص ٣٤ - ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من حرفى (كا پا وسيعما ، ط ، س ، σ) واتفق مع المجمع الموقر فى أن يؤدى صوت هذا الحرف فى العربية كما ينطق . كافاً ساكنة متبوعة بحرف السين . وأيسر نقلها إلى العربية كالآتى :

١ - يرسم فى أول الاسم (إكس) طبقاً لقاعدة الابتداء بالساككن (انظر التنبيه الخاص بالأعلام المبدوعة بالساككن ص ١١٧)

٢ - يرسم فى وسط الاسم (كس) بسكون الكاف ، (أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له) .

التعليق ١١ :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ، فى الحرف (پى ، π ، Π) - د ٤ . ص ٣٤ - ٤٢٠ - ٤٢١ خلافاً لما ورد بهذه

(٩) انظر د ٤ . ص ٣٢ ، ص ٣٩٨

تجاه مدينة الإسكندرية القديمة ، وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة (پ)

وذلك في جميع الأحوال »

التعليق (١٢) :

في الحرف (رو ، P ، p) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع .

هذا الحرف منقّس في اليونانية ، أى هائي الجرس ولكن نقله بصوته اليوناني متعذر في العربية ، ولهذا يرسم راء كما نصت قاعدة المجمع بذلك .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة عشرة ، في الحرف (سيجما ، σ ، Σ) ،

د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٢٢

ملاحظة : للحرف سيجما الصدير شكلان : أولهما (σ) يكتب في أول الكلمة اليونانية وفي أى وضع آخر منها إلا نهايتها . أما الثاني (Σ) فيكتب فقط في نهاية الكلمة ، مثال ذلك : σῦστασσις .

أرى أن يكتب يرسم هذا الحرف سينا وصرف النظر عن حرفي الصاد والشين المعجمة ، لأن صوتي الصاد والشين لا تقابلان صوت الحرف

اليوناني بحال من الأحوال . ولهذا أقترح تعديل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف سينا فقط »

التعليق (١٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة عشرة ، في الحرف (تاو ، τ ، T) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤٢٣

أرى أن نقل هذا الحرف طاء في العربية بسبب غلبة استعماله كذلك عند العرب لاسندله لغوياً وصوتياً. أضف إلى هذا أن أصحاب اللغة أنفسهم لم يعرفوا هذا الصوت في جميع عصور اللغة ، ولهذا يجب التخلي عن هذا الصوت وأقترح تعديل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف في العربية تاء »

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في الحرف (في ، φ ، Φ) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤١٦

هذا الحرف منقّس في اليونانية ، أى له جرس حرف (بي ، π) الهائي . وهو في حقيقة الأمر لا يقابل صوت الحرف

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من
(بي ، σ, s, π) ، أى إيس بسكون
الباء الشديدة ، وهو يرسم كالحرف المركب
(إكسى ، ξ ، η) أى كما ينطق ،
باء ساكنة متبوعة بالحرف سين . وأيسر
نقلها إلى العربية كآلى :

١- يرسم فى أول الاسم (إيس)
طبقاً لقاعدة الابتداء بالساكن (انظر
التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بحرف
ساكن ، ص ١١٧ - ١١٨) .

٢- يرسم فى وسط الاسم (پس)
بسكون الباء (أما حرف السين فيحرك
وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له) .

(ب) أصوات حروف الأبجدية اليونانية
اللينية :

ملاحظة : للحرف اللين اليونانى صوت واحد لا يتغير
واسكنه يكون ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف السبعة هى :

(ألفا ، α ، A) ، (إيسيلون ،
E ، ϵ) ، (إيوتا ، η ، H) ، (إيوتا ،
I ، ι) ، (وأميكرون ، \omicron ، O) ، (أوبسيلون ،
Y ، υ) ، (أوميغا ، ω ، Ω) ، وهى

إما ممدودة أو مخففة على النحو الآتى :

١- (η ، H) ، (ω ، Ω) حرفاً مد بطبيعتهما .

المركب (Ph) فى اللغات الأوروبية
ولا الفاء فى العربية ، ولكن تيسيراً
لنطقه اصطلاح على أن يكون صوته مثل
صوت (Ph) فى اللغات الأوروبية ،
ولهذا يرسم فاء فى العربية .

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة ، فى
الحرف (نجي ، χ ، ψ) - د ، ϵ ، ψ
٣٤ ، ص ٤١٢ .

أوافق على نقل هذا الحرف اليونانى
خاء فى العربية ، ولكن لما كانت القاعدة
قد قرنته بالحرف اللاتينى المركب (kh ، ch) ،
الذى لا يقابل صوته صوت الخاء
فى العربية لأن الأبجدية اللاتينية ليس
بها مثل هذا الصوت (انظر - أ - أصوات
الحروف الجامدة اللاتينية ، التعليق (٢٠)
الخاص بالحرف المركب (Ch) ،
فإنى أقترح تعديل القاعدة كآلى :

«يرسم هذا الحرف اليونانى خاء فى

التعريب» :

القاعدة (١٧) :

فى الحرف المركب (إيسى ، ψ ، Ψ)
لم يأت ذكره فى قرارات المجمع الموقر .

٢- (E, s) ، (O, o) حرفان مخففان (قد يكونان ممدودين في بعض المواضع) .
٣- (A, α) ، (I, ι) ، (Y, υ) إما ممدودة أو مخففة .
اليونانية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية ، أما الأصوات العربية المقابلة فستذكر في التعليقات ؛ انظر ، (١) إلى (٧) .
وفيما يلي بيان بهذه الحروف وأصواتها

التعليق	أصوات الحروف مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	أسماء الحروف بالعربية	أسماء الحروف باللاتينية	الحروف اليونانية	
				الكبيرة	الصغيرة
(١)	الحرف المدد : مثل صوت (a) في كلمة (father) الإنجليزية .	ألفا	Alpha	A	α
(٢)	الحرف المخفف : مثل صوت (e) في كلمة (met) الإنجليزية .	إي-إيلون	Epsilon	E	ε
(٣)	الحرف المدد : مثل صوت الحرف (a) في كلمة (mate) الإنجليزية .	إيتا	Eta	H	η
(٤)	الحرف المدد : مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة (feed) الإنجليزية . الحرف المخفف مثل صوت (i) في كلمة (fit) الإنجليزية .	إيوتا	Iota	I	ι
(٥)	الحرف المخفف : مثل صوت (o) في كلمة (not) الإنجليزية .	أوميكرون	Omicron	O	ο
(٦)	الحرف المدد : مثل صوت (u) في كلمة (tue) الفرنسية . الحرف المخفف : مثل صوت (u) في كلمة (du pan) الفرنسية .	أوبسيلون	Upsilon	Y	υ
(٧)	الحرف المدد : مثل صوت الحرفين (oa) في كلمة (broad) الإنجليزية .	أوميغا	Omega	Ω	ω

تثنيه : أصوات الحروف اللينة كما أقرحها :

إن حروف الرقمين (٢) ، (٣) وهى مخففة بطبيعتها بعامية ، قد تكون مدودة أيضاً إذا تلا أى حرف منها حرفان جامدان أو حرف جاءه مركب وفى حالات أخرى معقدة وحافلة بالاستثناءات التى لا يستطيع الوقوف على أسرارها إلا مختص ، وبالرغم من أن صوت الحرف المدود اليونانى يقابله الألف والواو والياء فى العربية بحسب صوت الحرف اللين اليونانى وبالرغم من أن صوت الحرف اليونانى المخفف يودى بالفتحة والضمة والكسرة ، فإن المربين القدامى - وكذلك المحدثين - لم يعنوا بنقل أصوات هذه الحروف إلى العربية كما يجب ، فإيهم أحياناً يجمعون المدود مخففاً والمخفف مدوداً ، ولهم عذرهم فى ذلك لأن التمييز بين المدود والمخفف يتطلب دراسة صوتية متخصصة وحميقة . ثم إن هؤلاء المربين ، قدامى ومحدثين ، فى نقلهم الأعلام إلى العربية لا يعنون بالتشكيل ، كالفتحة والضمة والكسرة التى تمثل ما يقابلها من الحروف اليونانية المخففة ، الأمر الذى لا يمكن القارئ من

قراءة الاسم وفقاً لأصوات الحروف اللينة اليونانية . ولا من الاهتداء كذلك إلى صورة الاسم الحقيقية فى لفته . كل هذا حداً إلى أن أعتبر جميع الحروف اللينة حروف مد . وهذا الاتجاه ، وإن كان غير دقيق صوتياً من حيث طبقة الصوت للحرف ، هذا وقصراً ، إلا أنه فى اعتقادى أفضل بكثير من الطريقة العشوائية التى اتبعها المربين القدامى ويتبعها الآن المربون المحدثون بعمل المدود مخففاً والمخفف مدوداً ، وهو كذلك أفضل من عزوهم عن التشكيل . وأضرب مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل عند تعريب العلم (Αἰγος - وبالحوارف اللاتينية Argos) أن توضع ضمة على الحرف السابق على الحرف اللين المخفف (σ) ، فاذا أهمل وضع الضمة على هذا الحرف ونقل الاسم إلى العربية (أرجس) ، فإن القارئ لهذا الاسم لا يستطيع معرفة العلم ولا صورته الأصلية فى لفته ، وبالعكس إذا استعاض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (أرجوس) لاستطاع أن يتهدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه فى لفته الأصلية بسهولة .

التعليقات

٢- يُرسم فى وسط الاسم ألفاً .

٣- يُرسم فى آخر الاسم ألفاً لينية .

٤- يُرسم تجوزاً فى آخر الاسم تاء مربوطة إذا سبقه الحرف (ا) أو المزدوجان (ڤ) أو الحرف الجامد (رو ، ڤ ، ڤ) الذى يعتبر وسطاً بين الجامد واللين لميوعته .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، فى الحرف (إيپسيليون ، ڤ ، ڤ) ، الرقمان

التعليق (١) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية ، فى الحرف (ألفا ، α ، Δ) - د ٤ ج ٣٣ ص ٤٠٨ - ٤٠٩

أحاول فى هذا التعليق أن أكون قريباً من أصوات الحروف اليونانية وأن أبسط عرض الحرف فى الوقت نفسه . وأرى أن ينقل إلى العربية كالاتى :

١- يُرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة مفتوحة .

كلمة ضحى وأقترح أن ينقل إلى العربية
كالآتي :

١- في أول الاسم يرسم ألفاً مكسورة
بعدها ياء (ذلك لأن الإمالة أن تميل
بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو
الياء) .

٢- في وسط الاسم يرسم ياء ممدودة .

٣- في آخر الاسم يرسم ياء ممدودة
أو ألفاً لينية * .

ملاحظة : الألف اللينة هنا تقابل (الحرف α)
وهو نهاية الكلمة المؤنثة المفردة في اللهجة الدورية
(ذلك أن الأسماء المؤنثة المفردة في اللهجة الأتيكية ، إذا
ما انتهت في حالة الرفع بالحرف (η) انتهت في اللهجة
الدورية بالحرف (α) ويصح في هذه الحالة عند التعريب
أن يحل صوت الحرف (α) محل الحرف (η) وذلك لحفة
الحرف الأول عن الثاني . وهذا ما حدا بالأستاذ الجليل
الدكتور طه حسين إلى تعريب مأساة ($\Delta\nu\tau\iota\gamma\acute{o}\nu\eta$)
بالاسم (أنيتجوننا) بدلا من (أنيتجونف) .

وأما ذكره المجمع الموقر في رقم (٣)
برسم هذا الحرف - η - بياء وتاء مربوطة
(ية) أسوة بالقلعة القدامى فهو لا يمثل
صوت الحرف في لغته ولا يعتمد على
قاعدة صوتية عربية . . وأرى أن (أفريكا)
أصبح من (أفريقية) و (روما) أصبح من
(رومية) .

(١) ، (٢) - د ٤ - ٣٤ ، ص ٤١٣ -
٤١٤ :

صوت هذا الحرف يشبه في العربية
الألف المماله في سكارى ، وأقترح أن
ينقل إلى العربية كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
(وليس همزة مفتوحة كما ورد في قاعدة
المجمع) .

٢- يرسم في وسط الاسم ياء (أو كسرة
إذا عني بالتشكيل) .

ملاحظة : إن مادعاني إلى مخالفة المجمع الموقر في
الرقمين (١) ، (٢) هو حرصى الشديد على تجنب اللبس
بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف (ألفا ، α ، A)
- انظر التعليق رقم (١) - وأضرب مثلا يوضح حرصى
هذا : إذ نقل الاسم Ephesos - بحروف لاتينية
إلى العربية (أفاسوس) كما ورد في قاعدة
المجمع (١) ، أصبح صوت الحرف (E) في أول الاسم
وفي وسطه هو صوت الحرف (α) ، وفي هذا لبس
شديد . إن كتابة هذا الاسم في العربية (إفيسوس أو
إفسوس) لأقرب إلى صورة الاسم الأصلية . ولهذا
أرجو أن يأخذ المجمع الموقر برأى هذا أو يتفصل
بمناقشة فيما ذهبت إليه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، رقم
(٣) في الحرف (إيتا ، H, η) - د ٤
- ٣٤ ص ٤١٤ - ٤١٥ :

صوت هذا الحرف الممدود بطبيعته
يقابل صوت الألف المماله الممدودة في

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ،
في الحرف (ايوتا I،١٠) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

للحركات التي تنص القاعدة عليها .

وأقترح أن يكون صوته كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مضمومة
فقط أو بعدها واو .

أقترح أن يرسم هذا الحرف كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة ،
وهذا ما قال به المجمع الموقر .

٢- يرسم في أى جزء من بنية الاسم
واوا .

وأود أن يأخذ المجمع الموقر برأى
ويتنازل عما ذكره في رقم (١) ، (٢)
من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية
يونانية .

٢- يرسم في أى جزء من بنية الاسم
ياء (مخافة إغفال وضع الكسرة تحت
الحرف الذى قبله ، إذ بالرغم من أن
المجمع الموقر قد قرر أن يمثل هذا الحرف
بكسرة تحت الحرف الذى قبله ، فإني
لم أر أثرا لهذه الكسرة في الأمثلة التي
صاحبت القاعدة ، وهذا ما يجعلنى أتمسك
مضطرا باتجاهى في هذا الصدد) .

وأقترح حذف ما ذكر في رقم (٣)
لأن الكلام هنا عن حرف (أوميكرون)
لا الحرف (أوميجا) وسوف أناقش هذا
عند الكلام عن صوت الحرف (أوميجا)
الذى لم يعالج هنا بطريقة علمية انظر
التعليق (٧) ، ملاحظة .

التعليق (٥) :

قارن المجمع - القاعدة الثالثة عشرة في
الحرف (أوميكرون O،٥٠) - د ٤
ح ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ،
في الحرف (أوبسيلون Y،٧) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

خشية إهمال وضع حركات التشكيل ،
أخالف المجمع الموقر في رقم (١) ، (٢)
الذى صاحبه أسماء لم يظهر فيها أى أثر

ليس لصوت هذا الحرف شبيه في اللغة
العربية إذ أن صوته واو مائلة إلى الياء؛

- ١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة ممدودة (مائلة إلى الألف) أو همزة مضمومة بعدها واو وذلك للتيسير .
- ٢ - يرسم في أى جزء من بنية الاسم واوا (مائلة إلى الألف) .

ملاحظة : لاحظت أن صياغة ماورد في رقم (٣) - وهو عن هذا الحرف - غير واضحة ومضطربة في نفس الوقت . وأغلب الظن أنه وقع فيها بعض الأخطاء المطبعية ، ذلك لأنه من المستحيل أن يرسم هذا الحرف واوا ونوناً إلا إذا كان حرف (٧) أحد حروف الاسم ، وأذكر على سبيل المثال الاسم (Σαπρω) فهو ينطق (سافو) لا سفون (كما ورد في الأمثلة المصاحبة لهذه القاعدة ، فن أين أتت هذه النون التي لا وجود لها في بنية الاسم ، انظر ، ١ - أصوات الحروف اللاتينية اللينة ، التعليق - ٤ - ، فا ذكرته هناك يعتبر تصحيحاً لما ورد في هذه القاعدة .

ج - أصوات الحروف اللينة المزدوجة اليونانية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين لينين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها على أن يكون ذلك مختلفاً ، وقد ظل صوت المزدوج ممدوداً في عصور اللغة المختلفة .

والحروف اللينة المزدوجة هي : αι ، αυ ، ει ، ου ، οι ، ου ، أما جرسها اليوناني فمما حاول تقريبه بأصوات إنجليزية أو فرنسية ، وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات ، انظر ، (١) - (٦) .

وهذا ما حدا بالمعربين القدامى إلى نقله إلى العربية واوا حيناً وياء حيناً آخر . وعلى هذا يمكن رسم هذا الحرف تجوزاً واوا أو ياء . ويكون صوته كالألف :

- ١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم « هو » وذلك لأنه بطبيعته هائي الجرس في أول الكلمة (انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧)
- ٢ - يرسم في أى جزء من بنية الاسم واوا أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستساغاً في العربية أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو . مثال ذلك الاسم (Λιξισιδης) فكتابة هذا الاسم بالعربية (ليكوميديس) أخف في النطق من (لوكوميديس) .

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، في الحرف (أوميجا ، Ω ، ω) ، رقم (٣) - د ٤ . ح ٣٤ ، ص ٤٢٠

ليس لهذا الحرف الممدود بطبيعته صوت مقابل في اللغة العربية ، إلا أنه يمكن القول بأن صوته قريب من صوت الواو المائلة إلى الألف في كلمة (عون ، النطق الدارج للفظ العربي عون) . ويرسم هذا الحرف في العربية كالألف :

اليونانية المزدوج (αι) والمزدوج المكون من الألف المفتوحة بعدها واو ساكنة مثل (أو) وهي تقابل في اليونانية المزدوج (αυ) وقد توافق صوتا هذين المزدوجين في العربية وفي اليونانية كما سنرى على أساس أن محيى الياء أو الواو بعد الفتحة أمر ممكن (١٢) .

وبالنسبة لأصوات المزدوج الأصلية والمتأخرة ، فأراني أجنح إلى التمسك بالأصوات القديمة الأصلية لأنها وحدها التي تساعد على النطق الصحيح للأعلام كما قطعها أصحاب الأعلام أنفسهم ، ومع ذلك سأعرض تعليقا في الأصوات الأصلية والمتأخرة ، وأناقتش ما أراه جديراً بالمناقشة وأترك للعرب تخير ما يحلو له من هذه الأصوات ، أصلية كانت أو متأخرة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اليونانية وأنقلها إلى العربية ، بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اليونانية ، جامدة ولينة

وفيما يلي بيان بهذه الحروف .

تلمبه : لقد اعتري بعض أصوات هذه الحروف التغيير والتحريف عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت المزدوج كأحسن ما يكون التمثيل فأصبح صوت المزدوج (αι ، εα) يقابل صوت الحرف (ε الممدود) وصار صوت المزدوجين (οα ، ου) يقابل صوت الحرف (υ الممدود) وما لاريب فيه أن عدم التمييز بين أصوات المزدوجين (αι ، εα) ثم بين المزدوجين (οα ، ου) كما رأينا يسبب لبساً شديداً للمعرب ولا يساعده على الوصول إلى الاسم المعرب في لفته . لقد اكتفى المجمع الموقر في قراراته بوضع قواعد عن المزدوجين (εα) (١٠) ، (αι) (١١) ولم يتعرض لأصوات الحروف المزدوجة الأخرى التي ذكرتها ، ولو أنه فعل لوقف على هذه الظاهرة المؤسفة . وأغلب الظن أنه لم يتناولها بالبحث لأن أصوات هذه الحروف المزدوجة اليونانية ليس لها نظائر في العربية فيما عدا صوت المزدوج المكون من المدزة أو الألف المفتوحة بعدها ياء ساكنة مثل (أي) وهي تقابل في

المزدوج	صوته الأصلي مقرباً بأصوات إنجليزية	صوته المتأخر	التعليق
αι	مثل صوت الحرف (i) في كلمة (idle) الإنجليزية .	تغير صوته في القرن الثاني الميلادي إلى صوت الحرف (e) الممدود	(١)
αυ	مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (house) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٢)
εα	مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة « meet » الإنجليزية أو صوت الحرفين (ey) في كلمة (grey) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (e) الممدود (أو صوت الحرف l الممدود) في القرن الأول ق م .	(٣)
ευ	مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (new) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٤)
οα	مثل صوت الحرفين (oi) في كلمة (boil) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود في القرن الثالث الميلادي	(٥)
ου	مثل صوت الحرفين (oo) في كلمة (moon) الإنجليزية أو صوت الحرفين (ou) في كلمة (youth) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود (، دام ١٥٠ ق م .	(٦)

(١٠) انظر القاعدة الثانية ، د ٤ ، ٣٣ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠

(١١) انظر القاعدة السابعة د ٤ ، ٣٤ ، ص ٤١٥ - ٤١٦

(١٢) انظر ص ٧٦ من بحث « التفكير العسوقي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » انظر كذلك الحاشية رقم (٧) .

التعليقات

التعليق (١) : صوت هذا المزدوج الذي احتفظ بصوته

الأصلي كالآتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة وهذا ممكن في العربية . مثال ذلك :

أوليس $\text{A}\tilde{\upsilon}\lambda\iota\varsigma$

٢ - يرسم في وسط الاسم ألفاً بعدها واو ، مثال ذلك :

تاؤروس $\text{T}\alpha\tilde{\upsilon}\rho\omicron\varsigma$

التعليق (٣) :

في المزدوج (αυ) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة (الصوت المتأخر) مثال ذلك :

إيراس $\text{E}\tilde{\iota}\rho\acute{\alpha}\varsigma$

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء مكسورة (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :

بوسيدون $\text{Π}\omicron\sigma\epsilon\iota\delta\tilde{\omega}\nu$

قارن قرار المجمع . القاعدة الثانية في المزدوج (αυ) رقم (١) - د ٤ ، ح ٣٣ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

يرسم هذا المزدوج كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ، وهذا ممكن في العربية (وليس همزة مكسورة كما ورد في قاعدة المجمع) ؛ مثال ذلك :

آيسوبوس $\text{A}\tilde{\iota}\sigma\omega\pi\omicron\varsigma$

٢ - يرسم في أى جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء (الصوت الأصلي) أو ياء مكسورة (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك

أريستايوس (الصوت الأصلي) ، أريستيوس (الصوت المتأخر) $\text{A}\rho\iota\sigma\tau\alpha\tilde{\iota}\omicron\varsigma$

التعليق (٢) :

في المزدوج (αυ) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر .

التعليق (٤) :

قارن المجمع القاعدة السابعة
في المزدوج (ev) - د ، ٤ ، ٣٤ ،
ص ٤١٥ - ٤١٦ . وصوت هذا المزدوج
كالاتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم
همزة مكسورة بعدها ياء مضمومة أو
يرسم ياء مضمومة بعدها واو (أمّا ما أقره
المجمع برسمها همزة مضمومة بعدها
واو ففيه لبس يأتي من عدم التمييز بين
صوت هذا المزدوج وبين صوت الحرف
(أوميجا ω) ، مثال ذلك :

إيوكلديس أو يوكليديس (إقليدس)
Εὐκλείδης

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك :

تيوكروس Τεῦκρος

التعليق (٥) :

في المزدوج (oi) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته

١ - يرسم هذا المزدوج في أول الاسم
همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلي) ، أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :
أينوني (أينونا) (الصوت الأصلي) ،

أونوني (أونونا) (الصوت المتأخر) ،
Οινώνη

٢ - يرسم في وسط الاسم واو بعدها ياء
ساكنة (الصوت الأصلي) أو واو
(الصوت المتأخر) مثال ذلك :

فونينيكس (الصوت الأصلي) ،
Φοινίκης (الصوت المتأخر)

ملاحظة : يلاحظ أن صوت هذا المزدوج أصبح
مثل صوت الحرف اللين (ι) في عصور متأخرة ولكن
لا أستطيع الأخذ بهذا الصوت لأن أحداً من المعربين
سوف لا يلتفت إليه عند التعريب ، ثم إنه صوت مفتعل .

التعليق (٦) :

في المزدوج (ov) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر .

إن صوت هذا المزدوج يتفق في
صوته الأصلي والمتأخر مع صرت الواو
في العربية ، صوته كالاتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة
بمدها واو ، مثال ذلك :

أورانوس Οὐρανός

٢ - يرسم في وسط الاسم واو ممدودة .
بوسيريس Βούσιρις .

تلبينه : علامة التنفيس أو الجرس الهائي :
ليس في الأبجدية اليونانية حرف يقابل حرف الهاء
في العربية ، وامكن هناك علامة تشبه القوس الصغير
المفتوح من الجهة اليمنى توضع عن يسار الحرف اللين

اليونانية ، وعلى ذلك إن طبقت قاعدة
الابتداء بالسكان على الأعلام الإغريقية
فسوف تكون صورة هذه الأعلام في
العربية مختلفة عن صورتها في اليونانية
ومادام بعض العرب لم يأخذوا
بهذه القاعدة ، فأرى أن يرسم طبقاً
للقاعدة العربية في حالة واحدة فقط ،
وهي رقم (١) وفيما عدا هذا يُتبع أسلوب
صوتي آخر في رقمي (٢) ، (٣) كالآتي :

١ - تزداد همزة مكسورة في أول الاسم
إذا كان أول حرف لين فيه هو (s) أو
(١) أو (η) ، مثال ذلك :

إفريكسوس φριξος
إكسيريكيس ξέρηξος

٢ - تزداد همزة مفتوحة في أول الاسم ،
إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف
(α) ، مثال ذلك :

أبلاطون (أفلاطون) Πλάτων

٣ - يضم الحرف الأول من الاسم إن
كان الحرف اللين الأول منه هو حرف
(o) أو v أو u أو o أو w ، مثال ذلك :

بروميثيوس Προμηθεύς
أسيخا Ψύχη

الأول من الاسم مثل (A) وعلى الحرف الثاني من
المزدوج ، مثل (Al) لتكسب الحرف اللين
أو المزدوج صوتاً هائياً . وبهذا ينطق الحرف (A)
على سبيل المثال (ها) ، وينطق المزدوج (Aa)
(هاي) . وهذه العلامة إذا إن صاحبت الحروف اللينة
والمزدوجة التي يبدأ بها الاسم وكذلك الحرف الجامد
(رو ، ρ ، P) أكسبته جرساً هائياً ، مثال ذلك :

هالوس ἅλος

هيكاتور ἑκτωρ

هيراكليس (هرقل) Ἡρακλῆς

هوميروس Ὅμηρος

هوروس (حورس) Ὠρος

رودوبي (رودوبيا) Ροδόπη

(يلاحظ أن حرف (P) لم يظهر معه الجرس
الهائى في التعريب ، وذلك لصعوبة النطق به في العربية .)

هايمون (الصوت الأصلي) ، هيمون
(الصوت المتأخر) . Ἀἰμων

ملاحظة : الحرفان (أوبسيلون v ، رو P) هما
الوحيدان اللذان تصاحبهما علامة التنفيس دائماً ، وأما
الحروف الأخرى فقد تكون هائية الصوت كما رأينا
أو لا تكون ، مثال ذلك :

أكاديمية Ἀκαδημία

تنبه : الابتداء بالسكان :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى -

د ٤ ، ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

إذا استحال النطق بالمبدوء بالسكان
في العربية ، فالأمر غير كذلك في

نوع واحد مثل (، λλ ، μμ) في العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :	Πλούταρχος	بلوتارخوس
Καλλιμάχος	Πρωταγόρας	بروتاجوراس
Λισσός	Καλλιμάχος	تنبيه : نطق الحروف المشددة (المضعفة) في الاسم :
ليسسوس	ليسسوس	ينطق الحرفان الجامدان اللذان من ،

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات^(١٣)

Γοργώ	جورجو	Ἀρχιμήδης (أرشيهدس)	أرخيميديس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، تعليق - γ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة : التعليق - ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ -)	
Διόνυσος	ديونيسوس	Ἀφροδίτη	أفروديتي ، أفروديتا .
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ، رقم - ٢ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ - ، رقم - ٣ -)	
Ἐνδυμίων	إيندوميون	Ἀνδρομέδα	أندروميدا .
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ١ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٣ -)	
Ἡλος	هيلوس	Ἀγχίσις	أنخيسي
انظر (التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ، ص ١١٦)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ - ملاحظة)	
Ζήνων	زينون	Βρασίδας	أبراسيداس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٤ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٧ -)		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١١٧)	
Ἡλέκτρα	إيليكترا ، إيليكتره	Γοργίας	جورجياس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ - ، رقم - ١ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ -)	

(١٣) عن المزدوج ، انظر : - أصوات الحروف اللينة المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها .

- Θοσίρις (أوسيريس) *Oσίρις
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٥ -)
- Πυθαγόρας (فيثاغورس)
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١١ -)
- Ρόδος (رودس) *Ρόδος
انظر (التنبية الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس
الحاق ولا حظ تملز نطق الراء المنفسه في العربية)
- Σιτισιχόρος إستيسسخوروس
انظر (التنبية الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)
- Τιμοκράτης تيموكراتيس
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٤ -)
- Φρυγία إفريجيا ، فريجيا ، فريجية
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق ،
- ١٥ -)
- Φιλίππος (فليب) Φιλίππος
انظر (التنبية الخاص بالحروف المشددة في الاسم ص ١١٨)
- Χίμαιρα (الصوت الأصلي والأخير)
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة
المزدوجة - التعليق ، - ١ -)
- Ωρίων أوريون
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٧ - ، رقم - ١ - ، - ٢ -)
- Θεσσαλία ، ثيسالية Θεσσαλία
انظر (التنبية الخاص بالحروف المشددة في الاسم ،
ص ١١٨) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)
- Ἰωνία ، إيونية Ἰωνία
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ -)
- Κάδμος كادموس
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة التعليق
- ٦ - ، - ٤ -)
- Κλειوباتρα ، كليوباترا ، كليوباترة .
Κλεοπάτρα
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ١٤ -)
- Λιβύη ليبيا
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - ، رقم - ٢ -)
- Μαραών ماراثون
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ٨ -)
- Μήδεια ، ميديّة Μήδεια
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ - ، - ٤ -)
- Νάξος : ناكسوس
انظر (أ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق
- ٩ - ، - ١٠ -)
- Ξενοφών إكسينوفون
انظر (التنبية الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)

٤ - كتابة الاعلام الرومانية بحروف عربية

(١) أصوات حروف الأبجدية اللاتينية الجامدة :

ملاحظة : أسماء الحروف اللاتينية ، جامدها ولينها هي تقريباً الأسماء التي تطلق على حروف اللغة الإنجليزية .

تدبيه : للحرف الجامد اللاتيني صوت واحد لا يتغير مطلقاً .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

التعليق	الحروف العربية المقابلة والأصوات المقترحة	الحروف الجامدة	
		الكبير	الصغير
(١)	الباء	B	b
(٢)	الكاف	C	c
(٣)	الدال	D	d
(٤)	الفاء	F	f
(٥)	الجيم (غير المعطشة)	G	g
(٦)	الهاء	H	h
(٧)	(الياء)	I,J	i,j
(٨)	(الكاف)	(K	k)
(٩)	اللام	L	l
(١٠)	الميم	M	m
(١١)	النون	N	n
(١٢)	(الهاء)	P	p
(١٣)	الكاف	Q	q
(١٤)	الراء	R	r
(١٥)	السين	S	s
(١٦)	التاء	T	t
(١٧)	واو أو فاء بثلاث نقط	V	u(v)
(١٨)	تنطق كس بسكون الكاف	X	x
(١٩)	الزاي	Z	z
الحروف المركبة			
(٢٠)	الكاف	Ch	ch
(٢١)	الفاء	Ph	ph
(٢٢)	التاء	Th	th

التعليقات

التعليق (١) : ليس هناك داع لقلب الكاف قافاً ، (١٤)
فإذا كان قلب الكاف قافاً معترضاً عليه
في العربية ، فهل يفرض على لغة أخرى ،
لهذا أقترح تعديل القاعدة كالاتي :
« يرسم هذا الحرف كافاً في العربية »

التعليق (٢) :
« قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، في
الحرف (O, o) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١١ - ٤١٢ .

ملاحظة : كان هذا الحرف ينطق في العصور
الأولى للغة كحرف (G) جيم غير معطشة ، يشهد
بذلك أن اختصار بعض الأعلام التي تبدأ بالحرف (G)
كان يمثل الحرف (C) مثل (Gaius) . وأصبح هذا
الحرف ينطق كحرف (K) ، أي كالفا وعند هذا
اختفى الحرف الأخير من الاستعمال فيما عدا بضع أعلام
احتفظت في بنيتها بهذا الحرف مثل (Kaeso) .

صوت هذا الحرف يقابل في العربية
حرف الكاف ولا أجده مبرراً صوتياً يسمح
بقلب الكاف قافاً ، لأن أصحاب اللغة
لم ينطقوه كذلك ، هذا من ناحية ومن
ناحية أخرى فلإن ابن جني يقول إن
القاف أصلاً لا بدلاً ويقول كذلك بشأنه

« يرسم هذا الحرف دالا مهملة »
التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في
الحرف (F, f) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٦ .

(١٤) انظر « سر صناعة الاعراب » ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧٨ . انظر كذلك الحاشية (٨) .

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية
عشرة في الحرف (J, j) - د ٤ ،
، ح ٣٤ ، ص ٤١٩ .

ملاحظة : الحرف (I, i) ، أحد الحروف اللينة ،
هو أيضاً حرف جامد (أو نصف جامد كما يسميه النحاة
المحدثون) . وهذا الحرف يكون جامداً إذا سبقه حرف
لين أو تلاه آخر . وينطق ياء مثل (iam) وينطق
(يام) ، (eius) وتنطق (إيوس) . وللتمييز بين
الحرف (i) اللين والجامد روي في عصور متأخرة أن
يمثل الحرف (j) - وهو ليس أحد حروف الأبجدية
اللاتينية - الحرف (I, i) الجامد (على أن ينطق ياء
مثل (jam) فهي تنطق (يام) كما لو كانت قد
كتبت (iam) .

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن
يكون صوت الحرف (j) مقابلاً لصوت
الحرف جيم (المعطشة) وذلك لسهولة
الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف في
المعاجم الكبرى التي خصصت له باباً
خاصاً به . ولكن لا مانع من نطقه ياء
أيضاً . ولهذا أود أن يقرن المجمع الموقر
على التعديل الآتي :

« يرسم الحرف (j) الممثل للحرف
(I, i) الجامد جياً معطشة إذا بدأ به
علم من الأعلام الرومانية فقط ولا مانع
من رسمه ياء أيضاً » .

صوت هذا الحرف يقابله في العربية
حرف الفاء ، وهو وقف على اللاتينية دون
اليونانية ، ويرسم هذا الحرف كآآتي :
« يرسم هذا الحرف فاء في العربية » .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ،
في الحرف (G, g) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٦ - ٤١٧ .

صوت هذا الحرف حتى القرن السادس
الميلادي يقابل صوت الجيم العربية غير
المعطشة ، وليس هناك دليل على أنه نطق
غنيا بالمرّة ، وعلى هذا أقترح تعديل
هذه القاعدة كآآتي :

« يرسم هذا الحرف جياً غير معطشة »

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة العاشرة ، في
الحرف (H, h) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٧ - ٤١٨ .

صوت هذا الحرف كآآتي :

« يرسم هذا الحرف في العربية هاء »

التعليق (٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة في الحرف (K, k) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١١

لقد أهمل استعمال هذا الحرف وحل محلّه الحرف (C, c) ؛ انظر التعليق - ٢ - ، ملاحظة .

التعليق (٩) :

في الحرف (I, i) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالأتي : « يرسم هذا الحرف في العربية لأمأ »

التعليق (١٠) :

في الحرف (M, m) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالأتي : « يرسم هذا الحرف في العربية ميأ ».

التعليق (١١) :

في الحرف (N, n) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر ، وصوته كالأتي : « يرسم هذا الحرف في العربية نونأ »

التعليق (١٢) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ، في الحرف (P, p) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الباء لا الفاء في العربية وذلك في جميع الأحوال والمواضع ؛ انظر ما ذكرته عن حرف (Pi) اليوناني) - (١ - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق - ١١ -) ، وأود أن يوافق المجمع على تعديل القاعدة كالأتي :

« يرسم هذا الحرف بباء شديدة (أى

باء تحتها ثلاث نقط) » .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة عشرة ، في الحرف (Q, q) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

ملاحظة : يتبع هذا الحرف دائماً بالحرف اللين (U) ويعتبران حرفاً واحداً .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الحرف (O) تماماً ، أى يرسم كافاً لا قافاً (انظر ، ١ - أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ،

التعليق ٢ -) ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

عشرة ، في الحرف (T, t) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٣

« يرسم هذا الحرف في العربية كافاً شأنه في ذلك شأن الحرف (C) .

هذا الحرف يقابل التاء لا الطاء في العربية (انظر أ - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، القاعدة - ١٤ -) ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

التعليق (١٤) :

في الحرف (R, r) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر فصوته كالتالي :

« يرسم الحرف في العربية تاء فقط »
القاعدة (١٧) :

« يرسم هذا الحرف في العربية راء » .
التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة العشرون ،
في صوت الحرف (V, v) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ .

قارن المجمع ، القاعدة السادسة عشرة ، في الحرف (S, s) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٢ .

ملاحظة : الشكل (V) في اللغة اللاتينية يمثل الحرف الكبير للحرف الصغير (v) ، أي أنه لا يمثل الحرف (V, v) ، أحد حروف الأبجدية الإنجليزية مثلاً .

يقابل هذا الحرف السين العربية ولا علاقة له البتة بصوت الصاد أو الشين المعجمة كما كتبه بعض النقلة القدامى ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

وهذا الحرف ، وإن كان أحد الحروف اللينة ، إلا أنه حرف جامد كذلك (أو نصف جامد كما يسميه النعاة المحدثون) . ويكون هذا الحرف جامداً إذا تلاه حرف لين وينطق واوا ، مثل (Venio, uenio) وتنطق في العربية (وينيو) . وللتمييز بين صوتي الحرف (V, v) اللين والجامد روي في عصور متأخرة أن يمثل الحرف (V, v) - وهو ليس أحد حروف الأبجدية اللاتينية - الحرف (V, v) الجامد على أن ينطق واوا أو فاء بثلاث فقط وذلك للتيسير ، وعلى هذا تكتب الكلمة المذكورة (Venio, venio) وتنطق (وينيو أو فينيو) . ويسرى أن المجمع الموقر قد قبل صوت الحرف (V - في) وأوصى برسمه فاء بثلاث نقط (١٥) .

« يرسم هذا الحرف سيناً فقط »

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة

(١٥) انظر : د ٤ ، ح ٣٢ ، ص ٣٩٨

٢ - يرسم في وسط الاسم (كس) بسكون الكاف ، أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له .

التعليق (١٩) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة والعشرون ، في الحرف (Z, z) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

هذا الحرف من الحروف الأبجدية اليونانية التى دخلت الأبجدية اللاتينية (انظر ، ١ - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق - ٤) وهو يقابل في العربية زاي .

التعليق (٢٠) :

قارن المجمع القاعدة الرابعة في الحرف المركب (Oh, oh) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢

هذا حرف مركب ، يتركب من حرفي (h, o) وصوته في اللاتينية كاف منقّسة ذات جرس هائى . وأقرب صوت له في العربية هو صوت الكاف لا الخاء ،

١٢٥

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن يكون صوت الحرف (V, v = ٧, ١١) مقابلاً لصوت الحرف (٧ - ف) ، وذلك لسهولة الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف في المعاجم الكبرى . ولكن لا مانع من نطقه واواً أيضاً ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر على التعديل الآتى :

١ - يرسم الحرف (٧) الجامد الكبير

في أول الاسم فاء بثلاث نقط أو واوا .

٢ - يرسم الحرف (٧) الجامد الصغير

وسط الاسم فاء بثلاث نقط .

التعليق (١٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ، في الحرف (X, x) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من (S, o) وينطق «كس» بسكون الكاف وصوته كالأتى :

١ - يرسم في أول الاسم (كس)

طبقاً للتنبيه الخاص بالابتداء بالساكن ، انظر ص ١٣٣ - ١٣٤) .

في الحرف المركب (Th, th) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, t) وصوته في لغته هو صوت التاء
المنفّسة أو التاء ذات الجرس الهائى .
وأقرب صوت له في العربية هو صوت
التاء ، وعلى ذلك أقترح أن يكون صوته
كالآتى :

« يرسم هذا الحرف المركب ثاء في
العربية »

(ب) أصوات حروف الأبجدية
اللاتينية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اللاتينى صوت واحد لايتغير
ولكنه يكون مدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف الستة هى :
y, u, o, i, e, a

وفى يلى بيان بهذه الحروف وأصواتها
اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو
فرنسية . أما الأصوات العربية المقابلة
فستذكر فى التعليقات ، انظر (١) - (٦)

لأن صوت الخاء ليس صوتاً لاتينياً ،
وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتى :

١ - يرسم فى الأعلام الرومانية كافاً .

٢ - قد يرسم فى الأعلام الإغريقية
المكتوبة بحروف لاتينية خاء ، وذلك
للاحتفاظ بالصورة الصوتية للعلم الإغريقى .

التعليق (٢١) :

فى الحرف المركب (Ph, ph) ؛ لم
يأت ذكره فى قرارات المجمع .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, p) وصوته فى لغة صوت الباء المنفّسة
أو الباء ذات الجرس الهائى . وأقرب
صوت له فى العربية هو صوت الفاء ،
وعلى هذا أقترح أن يكون صوته كالآتى :

« يرسم هذا الحرف المركب فاء
فى العربية »

التعليق (٢٢) :

قارن المجمع القاعدة ، الثامنة عشرة ،

التعليق	أصواتها اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	الحروف اللينة	
		الكبيرة	الصغيرة
(١)	<ul style="list-style-type: none"> المدود : مثل صوت الحرف (a) الثاني في كلمة (Papa) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (a) الأول في كلمة (Papa) الإنجليزية . 	A	a
(٢)	<ul style="list-style-type: none"> المدود : مثل صوت الحرفين (e e) في كلمة (feet) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (e) في كلمة (net) الإنجليزية . 	E	e
(٣)	<ul style="list-style-type: none"> المدود مثل صوت الحرف (i) في كلمة (caprice) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (i) في كلمة (Pin) الإنجليزية . 	I	i
(٤)	<ul style="list-style-type: none"> المدود : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (note) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (not) الإنجليزية . 	O	o
(٥)	<ul style="list-style-type: none"> المدود : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (shoot) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (Took) الإنجليزية . 	V	u
(٦)	<ul style="list-style-type: none"> المدود : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pure) الفرنسية . المخفف : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pu) الفرنسية . 	Y	y

دقيق نسبياً إلا أنه أفضل من التخطيط في نقل صوت الحرف وهو كذلك أفضل من اغفال وضع الحركات وكثيراً ما يحدث هذا ، بل إن ذلك يحدث في معظم الأحيان . وأسوق مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل في نقل الاسم (Balbus) الذي ينتهي بحرف (u المخفف) أن أوضع ضمة على الحرف السابق على هذا الحرف اللين ، فإذا أغفل وضع هذه الضمة ونقل الاسم إلى العربية (بالبس) ، فإن القارئ لهذا الاسم لا يستطيع معرفة صورة العلم في لفته ، ولكن إذا استعاض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (باليوس) استطاع أن يبتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه بسهولة في مراجعته .

تنبيه : أصوات الحروف اللينة كما اقترحها :
الأصل في نقل حروف المد أن ترسم ألفاً أو واواً أو ياء بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني . أما المخففة فتقابلها الحركات : الفتحة والضمة والكسرة بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني ، ولكن لما كان التمييز بين الحرف الممدود والمخفف يتطلب دراسة متخصصة لا تخلو من الصعوبة التي أشرت إلى بعضها سابقاً (انظر التنبيه الخاص بأصوات الحروف اللينة اليونانية ، ص ١٠٨) فأرى أن تعتبر الحروف كلها حروف مد بعامه ، مادام ذلك لا يغير طبيعة صوت الحرف وإن كان يغير طبيعته ، مداً وقصراً ، وإذا كان هذا الاتجاه غير

التعليقات

التعليق (١) : ٢ - يرسم في وسط الاسم ياء (أو يودى)
قارن المجمع ، القاعدة الثانية :

٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مماله أو
ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .
ألفاً لينة للتخفيف .

صوت هذا الحرف كالاتى :

ملاحظة : إن مداعى إلى مخالفة المجمع
الموثر فيما ورد في رقم (١) ، (٢) هو حرصى على
تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف
(A, a) ، انظر التعليق - ١ - (وأضرب مثلاً
يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه : إذا نقل الاسم
(Ephesus) إلى العربية (أفاسوس) ، كما ورد في
قاعدة المجمع رقم (١) ، أصبح صوت الحرف (e) في
أول الاسم وفي وسطه هو نفس صوت الحرف (a)
وسيجب هذا ابساً للقارىء ، أضف إلى هذا أنه لا يوجد
حرف لين يتفق صوته مع صوت حرف لين آخر ،
وهكذا فكتابة هذا الاسم في العربية (إفيسوس
أو إفاسوس) صحيحة صوتياً وأقرب إلى صورة الاسم
الأصلى العربى .

ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر بهذا الرأى
أو يناقشني فيه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ،
في الحرف (I, i) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٨ - ٤١٩ .

ملاحظة : (انظر ، ١ - أصوات الحروف
اللاتينية الجامدة ، التعليق - ٧ - ، ملاحظة ، حيث
تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً) .

١ - يرسم في أول الاسم همزة مفتوحة .
٢ - يرسم في وسط الاسم ألفاً .
٣ - يرسم في نهاية الاسم ألفاً لينة .
٤ - يرسم في آخر الاسم تجوزاً تاء
مربوطة إذا سبقه الحرف اللين (e) أو
(i) أو الحرف الجامد (r) (لأنه
حرف مائع ، وسط بين الجامد واللين) .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة :
في الحرف (E, e) ، - د ٤٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٣ - ٤١٤ .

صوت هذا الحرف يشبه في العربية
الألف المماله في كلمة سكارى ، وأرى
أن ينقل إلى العربية كالاتى :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
(لا مفتوحة كما ورد في قاعدة المجمع) .

أسماء إغريقية ؛ لهذا أقترح تعديل القاعدة أو تصحيحها كالآتي :

« قد يمثل الحرف (o) في آخر الاسم المقطع (ων) في اللغة اليونانية ؛ ومع ذلك فينبغي الالتزام عند التعريب بالصوت اللاتيني مادام الاسم مكتوباً بحروف لاتينية ، مثال ذلك :

أبولو لا (أبولون) $\text{Apollo} = \text{Apóllōn}$

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة عشرة ،

في الحرف (V, u) - د ٤ ، ح ٣٤ ،

ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

ملاحظة : (انظر ١ - أصوات الحروف اللاتينية الجمادة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً) ؛ وهذا الحرف لين كذلك ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (nuno) .

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو همزة بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم وفي المقطع الأخير منه واوا .

ملاحظة : لما كانت قاعدة المجمع المقرر لم تحدد صوت هذا الحرف في أول الاسم وفي وسطه ، أود أن تعدل القاعدة كما وردت في هذا التعليق .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ،

في حرف (Y, y) - د ٤ ، ح ٣٤ ص ،

٤٢٥ - ٤٢٦ .

هذا الحرف حرف لين ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (in)

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة

أو همزة بعدها ياء ، (كما ورد في

قاعدة المجمع) .

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء .

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ،

في الحرف (O, o) - د ٤ ، ح ٣٤ ،

ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

صوت هذا الحرف كما أقترحه كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم أو في آخره واوا .

ملاحظة : أود أن يأخذ المجمع المقرر برأى ويتنازل عما ورد ذكره في الرقمين (١) ، (٢) من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية لاتينية .

ملاحظة : ورد في رقم (٣) من هذه القاعدة النص الآتي « في وسط الاسم يرسم الحرف (o) واوا في الغالب ، إلا في الأسماء اللاتينية ؛ فيرسم واوا ونوناً » ويوسفى أن أقول إن هذه ليست قاعدة صوتية ولا تنطبق في نفس الوقت على الأمثلة المصاحبة للقاعدة ، وأغلب الظن أنه وقع خطأ في كتابة العبارة بدليل أن المقصود هو الأسماء بحروف يونانية لا لاتينية وبعبارة أوضح

(ج) أصوات الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين اثنين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها ، على أن يكون ذلك مجتملاً .

والحروف اللينة المزدوجة هي :

ae ، au ، ei ، eu ، oe . أما جرسها اللاتيني فسأحاول تقريبه بأصوات إنجليزية ، أو فرنسية وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات ، انظر : (١) - (٥) .

تنبيه : لقد تناول بعض أصوات هذه الحروف التغيير عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف بسرعة عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت الوحدة الصوتية كأحسن ما يكون التمثيل ، ومع ميل إلى الأخذ بالأصوات الأولى في بعض الأحيان لأصالتها ووضوحها ودقتها ، إلا أنني سأحاول في تعليقاتي عرض الأصوات الأصلية والمتطورة ومناقشة ما أراه جديراً بالمناقشة مراعيًا في هذا تغير الأصوات المحققة لنقل العلم بدقة ، وأترك للمعرب حرية تحرير مايجلوه من الأصوات ، أصلية كانت أو متطورة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اللاتينية وأنقلها إلى العربية بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اللاتينية ، جامدة لينة .

هذا الحرف ليس من حروف الأبجدية اللاتينية أصلاً وقد صار بعد عصور اللغة الأولى أحد حروفها . وصوت هذا الحرف هو تماماً صوت الحرف اليوناني (أو پسيلون v ، Y) - (انظر ب - أصوات الحروف اللينة اليونانية ، التعليق - ٦ -) ، وهو لا يأتي في أول الأعلام الرومانية ويرد فقط في أول الأعلام الإغريقية ، وصوته كالاتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم الإغريقي المكتوب بحروف لاتينية (هو Hy =) ، (انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧)

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم واواً أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستمراً في العربية ، أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو ، مثال ذلك : اسم العلم (Myconus) فكتابة هذا العلم بالعربية (ميكونوس) أخف في النطق من (موكونوس) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف المزدوجة :

المزدوج	صوته الأصلي مقرباً بأصوات إنجليزية	صوته المتطور	التعليق
ae	صوته مثل صوت الحرف (i) في كلمة (island) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (e) في القرن الثاني ، ق.م	(١)
au	صوته مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (our) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (o) في القرن الأول ق.م وفي المصرد المتأخرة صار صوته مثل الحرف (a) ومن الصعب الأخذ بالصوت الأخير	(٢)
ei	صوته مثل صوت الحرفين (ay) في كلمة (pray) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (i) أو (e) في القرن الثاني ق.م	(٣)
eu	صوته مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (few) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) ابتداء من القرن الثالث ق.م	(٤)
oe	صوته مثل صوت الحرفين (oy) في كلمة (toy) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) في القرن الثاني ق.م ثم أصبح صوته مثل صوت الحرف (e) فيما بعد وأرى أن الصوت الأخير يسبب لها كبراً	(٥)

التعليقات

التعليق (١) : الأصيلي (أو همزة مكسورة بعدها ياء مقارن المجمع ، القاعدة الثانية المزدوج (ae) ، رقم (١) - ٤٥ - ٣٤ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠

صوت هذا المزدوج كالاتي :
 ١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة (الصوت
 ٢- يرسم في أي جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصيلي)

أو ياء مكسورة (الصوت المتطور) ،
مثال ذلك :

كايكوبوم (لصوت الأصلي) ،
Caecubum (الصوت المتطور)

٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مماله
(الصوت المتطور) أو ألفاً لينه للتخفيف ،
مثال ذلك :

أثينا (الصوت المتطور) ، أثينا
(الصوت المقترح) Athenae

التعليق (٢) :

في الحرف (au) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

وصوت هذا المزدوج كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة
مفتوحة بعدها واو ساكنة (الصوت
الأصلي) أو همزة مضمومة بعدها واو ،
مثال ذلك :

أوجوستوس (الصوت الأصلي) ،
Augustus (الصوت المتطور)

ملاحظة : إن كتابة أوغسطس أو
أغسطس لا تتفق والقواعد الصوتية .

٢- يرسم في وسط الاسم ألفاً بعدها
واو ساكنة (الصوت الأصلي) أو يرسم
واو ممدودة ، مثال ذلك :

كاوكاسوس (الصوت الأصلي) ،
Caucasus (الصوت المتطور)
وقد عرب الاسم قديماً بالقوقاز .

التعليق (٣) :

في المزدوج (ei) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

صوت هذا المزدوج كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصلي)
أو همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة
(الصوت المتطور) ، مثال ذلك :

إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت الأصلي) ،
إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت المتطور)
Eidothea

٢- يرسم في وسط الاسم ياء ساكنة
(الصوت الأصلي) أو ياء مكسورة (الصوت
المتطور) مثال ذلك :

إيليثويا ، إيليثوية (الصوت الأصلي) ،
إيليثويا ، إيليثوية (الصوت المتطور)
Eilithyia

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة ، في
المزدوج (eu) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٥ - ٤١٦

صوت هذا المزدوج كآلآتى :

١- يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء مضمومة أو يرسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك .

إيوتروپيوس (الصوت الأصلي) ،
Eutropius (الصوت المتطور)

٢- يرسم فى وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو (وليس كما ورد فى قاعدة
المجمع برسم هذا الحرف واوا) ، ذلك
أن الصوت المتطور لا يمثل المزدوج بالمرءة ؛
مثال ذلك

ديوكاليون (الصوت الأصلي) ،
Deucalion (الصوت المتطور)

التعليق (٥) :

فى المزدوج (oo) ، لم يأت ذكره فى
قرارات المجمع المقرر

صوت هذا المزدوج كآلآتى

١- يرسم هذا المزدوج فى أول الاسم

همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلى) أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتطور) ، مثال ذلك :
أئيالوس (اله ت الأصلى) ،
Oebalus (الصوت المتطور)

٢- يرسم فى وسط الاسم واوا بعدها
ياء ساكنة (الصوت الأصلى) أو يرسم
واوا فقط (الصوت المتطور) مثال ذلك :
فويبوس (الصوت الأصلى) ، فوبوس
(الصوت المتطور) Phoebus

يلاحظ أن المزدوج (oe) فى هذا الاسم
يقابل أيضاً الحرف (o) فينقل على هذا
الأساس فيبوس .

ملاحظة : يؤسفنى أن الصوت المتطور للمزدوج
(eu) ، المزدوج (oo) يقابل صوت (u) ، أى
يقابل واوا فى العربية ، أما صوت المزدوج (oe)
الذى يقابل صوت الحرف (e) فهو يدعو إلى أسف
أعظم . إن هذا يجعل مهمة الباحث عسيرة إذا أراد
الرجوع إلى اسم علم من الأعلام فى لفته (اللاتينية) ،
وهذا ما يجعلنى أجنح إلى النقل على أساس الأصوات
الأصلية .

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى - د ٤ ،
ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

تيسيرا لهذه القاعدة التى لم يعمل بها
بدقة قديماً ، أقترح تعديل صياغتها بما

٣- يضم الحرف الأول من الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (o) أو (u) أو ou (١٦) ؛ مثال ذلك :

بلوتينوس Plotinus

بلوتو Pluto

تنبيه : الحروف المشددة في الاسم :

ينطق الحرفان الجامدان اللذان من نوع واحد مثل (nn) ، (ss) ، (ll) في العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :

راقيناً Ravenna

مولوسوس Molossus

لوكيلوس Lucillus

يتفق وأصوات الحروف اللاتينية (انظر أيضاً التنبيه الخاص بالابتداء بالساكين في الأسماء الإغريقية ص ١١٧ ، فالقاعدة بالنسبة للأعلام الإغريقية والرومانية واحدة) :

١- تزداد همزة وصل مكسرة في أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو (e) أو (i) ، مثال ذلك :

إيلينوس Plinius

٢- تزداد همزة مفتوحة في أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه هو (a) ، مثال ذلك :

أفلافيوس Flavius

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات

Aquinus أكوينوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٣ -)

Assyria آشوريا (آشور)
انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة) ،
(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ، رقم - ٢ -)

Augustinus أوغوستينوس ، أوغوستينوس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
تعليق - ١ -)

Agrippa أجريپا
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٥ -) ، (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)

الإسكندرية (أليكساندرية)
Alexandrea, Alexandria
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)

Aphrodite أفروديتي ، أفروديتا
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة - التعليق - ٢ - ، رقم - ٣ -)

(١٦) من المزدوج ، انظر (ب - أصوات الحروف المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها) .

Demeter

ديميتير

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)

Drusus

درووس

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف
ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣٤)

Elacus

إيلايوس ، إيلايوس

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، رقم - ١ -) ، (- أصوات الحروف
اللينة المزدوجة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٢ -)

Elephantis

إيليفانتيس

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

Febius

فابيوس

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ -)

Flaccus

أفلاكوس

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف
ساكن ، رقم - ٢ -) ، (الحروف المشددة ، ص ١٣٤)

Fluvius

فلوفيووس

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف
ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣١ - ١٣٤) ، (ب -
أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة)

Gonius

جونوس

انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)

Bactria

باكتريا ، باكترية

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ -)

Bithynia

بيثينيا ، بيثينية

انظر (ب - أصوات الحروف المركبة اللينة ،
التعليق - ٢٢ -)

Brundisium (برنديزي)

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١٥ -)

Byzantium

بيزانتيوم (بيزنطة)

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١٦ -)

Cicero

كيكيرو (شيشرون)

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)

Cnidus

كنيدوس ، كنيديوس

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف
ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣١ - ١٣٤)

Corcyra

كوركييرا ، كوركيرا

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٤ -)

Cyprus

كوبروس (قبرص)

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ -)

أوروسوس ، أروسيوس (هروثيوس؟)
Orosios
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، رقم - ١ - ، ٢ -)

أورتيجيا ، أورتجية
Ortygia
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - ، رقم - ٢ -)

بيرجاموم
Pergamum
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

بولّا
Polla
(انظر التنبه الخاص بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)

كوينتوس
Quintus
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٣ -)

روما (رومية)
Roma
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ -)

سيميراميس
Semiramis
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

سيلوكوس ، سيلوكوس (سلوقس)
Seleucus
انظر (٢ - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
التعليق - ٤ -) وقارن صوت (eu) بصوت الحرف
(u) ، انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ٥ - ، رقم - ٢ - حيث أشرت إلى اللبس)

هيلينا (هيلانة)
Helena
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)

ياپيتوس (=Iapetus)
Ionia (=Iωνία)
هذان الاسمان يونانيان كتباً بحروف لاتينية ،
ولذا فان الحرف (I) حرف لين فلا يعامل معاملة
الحرف (I) الجامد في اللاتينية ، انظر (ب - أصوات
الحروف اللينة اليونانية ، التعليق - ٣ -)

إيليا ، إيليا
Ilipa
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة اللاتينية ،
التعليق - ٣ - ، رقم - ١ - ، ٢ -)

جانوس ، يانوس
Janus (= Ianus)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

جوبيتير ، يوبيتير
Jupiter (= Iupiter)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

ليجوريا ، ليجورية
Liguria
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٥ -)

ماجو
Mago
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)

ميلامپوس
Melampus
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

Zama	زاما	Servius	سيرفيوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق	
- ١٩ -)		- ١٧ -) ، (أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
		- ٥ - ، رقم - ٢ -)	
Zenobia	زينوبيا ، زينوبية	Tarentum	تارينتموم
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق	
- ٢ - ، رقم - ٢ -)		- ١٦ -)	
Zmyrna	لزميرنا (أزمير)	Torquatus	توركواتوس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ -)		- ١٣ -)	
Zopyrus	زوپيروس	Utica	أوتيكا ، أوتيكا
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)		- ٥ - ، رقم - ١ -)	
Chlorus	كلوروس	Sulla	سولا
انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة المركبة ،		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ١ - ، ورسم هذا الحرف		- ٥ - ، رقم - ٢ -) ، (انظر التنبية الخاص	
كافا لأنه ورد في اسم روماني ، وكما قلت فإن اللاتينية		بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)	
لا تعرف صوت الخاء)			
Chrysippus	خريسسيبوس	Valeria	فاليريا ، فاليرية
* انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة المركبة ،		انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ٢ - ، وصوت هذا الحرف		- ١٧ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،	
(Ch) هنا يقابل صوت الخاء لأن الاسم يوناني)		التعليق - ٢ - : ملاحظة) .	
Phosphorus	فوسفوروس	Varro	فارو
انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق		انظر (التنبية الخاص بالحروف المشددة) ،	
- ٢١ -)		(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ -	
		ملاحظة - ٢ -)	
Thessalia	ثيساليا ، ثيسالية	Xanthus	إكسانثوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجلمدة ، التعليق		انظر (التنبية الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
- ٢٢ -) ، (التنبية الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)		ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١٣٣)	
		Xenophanes	إكسينوفانييس
		انظر (التنبية الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
		ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣٣)	

٥ - ملاحظات على طريقة القدامى في النقل

ولا يسعنى الآن بعد هذه الدراسة إلا
المناداة بإعادة النظر فى أسلوب القدامى
أو غالبيتهم فى تعريب الأعلام الإغريقية
والرومانية ، فإنها فى حاجة ماسة إلى إعادة
النظر والفحص . وإنى لعلى يقين أن هذه
الصيحة لن تجد آذاناً صاغية من البعض ،
فقد طالب ، على سبيل المثال ، الأستاذ
نلينو ، وهو المستشرق الفذ ، بأن يبقى
القديم على قدمه ، وها هو ذا يقول
بالحرف الواحد « يجب أن يبقى القديم
مما عرف عن العرب على قدمه ، ونحن
لا نتصرف إلا فيما يجد وفيما لم ينطق به
العرب ولم يكتبوه »^(١٧) ومثل هذا القول
يعنى أن النقلة القدامى الأجلاء أو بعضهم
كانوا على دراية تامة بأصوات الحروف
اليونانية واللاتينية ، جامدة ولينة وكانوا
كذلك على علم تام بقواعد اللغتين ،
اليونانية واللاتينية النحوية ، وهذا للأسف
غير صحيح فإن الكثير من الأعلام المعربة
ثبت أن أخطاء وقعت فى التعريب

وأسوق مثلاً استقيته من تصدير اللجنة
الموقرة التى ألفها المجمع لوضع قواعد
« لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف
عربية » ، فقد أشارت هذه اللجنة إلى
أن بعض الأعلام عربت على غير قاعدة
أو غلطا وذكرت أن معرباً قد أخطأ
فى تعريب الاسم Hypsielos ونقله إلى
العربية (أبسقلاوس) لأنه عربى فى
صيغة الجر (المضاف إليه) بدلاً من أن
يعربه فى صيغة الرفع (وهى الصيغة
الوحيدة التى ينبغى نقل الاسم على أساسها)
وقد عجبت لأن اللجنة رأت أن تحافظ
على مثل هذا النقل الشاذ^(١٨) لأن هذا
التعريب ليس شاذاً بل خطأ ، والعلم
لا يقر الخطأ وينبغى تصحيحه لا الإبقاء
عليه ، وهذه مسئولية المختصين ولا مهرب
منها بئى حال من الأحوال حتى يقدموا
يد العون إلى الباحث الذى يرغب فى
الوصول إلى الاسم العربى صحيحاً ليرجع
إلى أصله فى لغته فى يسر .

(١٧) انظر ، ٤٤ ، ٣٤٨ ، ص ١٢٢

(١٨) انظر ، ٤٤ ، ٣٣٨ ، ص ١٠٦

ولما كنت أدرك أن ما أنادى به من إعادة النظر والفحص في طريقة القداى في النقل لن يلقى ترحيباً بالدرجة الأولى ما لم أقنع المختصين بوجهة نظرى بأسلوب علمى والتدليل على ما أقول بالأمثلة ، فقد حرصت على عرض طائفة من الماذج من الأعلام التى عربت قديماً ، وهذه سوف أناقشها مناقشة موضوعية بغية الوصول إلى الهدف الذى أنشده . وسببى فى المناقشة سيكون على أساس ما اتبعته فى ثنايا دراستى . وهو مراعاة الأمانة فى نقل أصوات الحروف الجامدة واللينى فى اللغتين المذكورتين إلى العربية وعدم الأخذ بالأصوات الدخيلة التى فرضت على حروف اللغتين المذكورتين وتحاشى تفخيم الحروف ، لأنى أعتقد أن هذا وحده هو الذى يحفظ للاسم العرب صورته الأصلية . وقد يقول البعض إن الوقت قد تأخر للأخذ بطريقة جديدة - وسيقولون أكثر من ذلك بما لا أود الخوض فيه الآن أو بعد الآن - إلا أنى أرى أن تأخر الوقت يجب ألا يدخل فى حساب الدارسين التفاهمين ما دام الغرض هو التصحيح وهو هدف له وزنه وكيف يقال إن الوقت قد تأخر وقد عنى ويعنى القرن الذى

نعيشه بإحياء التراث القديم وتحقيقه ، ولا يخفى أن بعض هذا التراث قد ترجم عن اليونانية واللاتينية أو يتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بعلوم الإغريق والرومان . وما لا ريب فيه أن أعلاماً إغريقية ورومانية قد وردت فى ثنايا نصوص هذا التراث والكثير منها لا يسير على القواعد الصوتية للغتين المذكورتين . أفليس من الواجب إذاً أن ننقذ ما يمكن إنقاذه ونعيد النظر فيما نراه فى حاجة إلى التصحيح؟ وإذا تساءل البعض عن الطريقة التى تتبع لتصحيح ما عرب قديماً ، فإنى أقترح الآتى :

(١) بالنسبة للأعلام الواردة فى نصوص التراث القديم المحقق المراد تصحيحها ، أرى الإبقاء على العرب القديم فى مكان من النص بين حاصرتين وكتابة الاسم المصحح فى الحاشية وحبذا لو كتب بجانبه الاسم الإغريقى والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين العرب وأصله فى لغته .

الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف يونانية ولاتينية ، ولن أتقيد بالنسبة للأعلام الأخيرة ، بأصوات الحروف في لغاتها الأصلية .

وفيا يلي هذه الطائفة من الأعلام التي سأناقشها وأقترح تصحيحها^(١٩)

*Αρης (= Lat. Arés)

نقل هذا العلم قديماً (أرس) ؛ ونلاحظ أن العرب قد أهمل صوت الحرف (η) الذي يقابل في العربية ياء ممدودة ، ثم أغفل وضع الحركات على الحروف . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أريس) .

*Αγάθων (= Lat. Agathon)

نقل هذا العلم قديماً (أغاثن) ؛ ونلاحظ أن العرب قد نقل حرف (γ) غيناً وأغفل صوت الحرف (ω) وهو يقابل الواو الممدودة . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أجاثون) .

*Assyria (= Lat. Assyria)

نقل هذا العلم قديماً (آشور) ؛ ويلاحظ أن العرب قد نقل الحرفين (σσ) شينا

(ب) وبالنسبة للأعلام الواردة في الكتب المؤلفة حديثاً التي يرجع فيها المؤلف إلى المخطوطات القديمة أو إلى مراجع حديثة تحوى هذه الأعلام (المراد تصحيحها) أرى أن يكتب العلم في النص صحيحاً ويكتب بجانبه الاسم الإغريقي والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين العرب وأصله في لفته على أن يكتب العرب القديم بين حاصرتين في الحاشية .

وأود قبل مناقشة بعض النماذج أن أؤكد بأنى لا أرى بالنقلة القدامى الأجلاء ولا أنتقص من جهودهم الجديرة بكل تقدير، بيد أنى أنظر إليهم بوصفهم روادا مجتهدين قاموا بكل ما استطاعوه وليس علينا ، نحن المحدثين ، إلا أن نكمل ما نقص بما يحقق ما قصدوا إليه ولم يحالفهم الصواب .

وها أنذا أسوق طائفة من النماذج من الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك

(١٩) المرجو الرجوع إلى أصوات الحروف ، جامدة ولينة ولينة مزدوجة (يونانية ولاتينية) في التعليقات الواردة في هذه الدراسة .

Ἐμπεδοκλῆς (= Lat. Empedocles)

نقل هذا العلم قديماً (أمفاد قليس) ،
 أى أن الحرف (ε) الأول والثاني نقلًا
 ألفاً ، وصوت هذا الحرف يقابل كسرة
 مماله أو كسرة مشربة بالفتحة وليست على
 كل حال ألفاً صريحة ، أما الحرف (π)
 فقد نقل فاء على طريقة السريان ونقل
 الحرف (ς) قافاً وهذا غير صحيح ،
 وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو
 (إمبيدوكليس) .

Θεοδέκτης (= Lat. Theodectes)

نقل هذا العلم قديماً (ثاو داقطس) ،
 أى أن الحرفين (εο) يقابلان (أو)
 وهذا خطأ ثم إن صوت الحرف (ε)
 نقل ألفاً ، وأما الحرف (ς) فنقل
 قافاً ، ونقل الحرف (τ) طاء وأهمل
 صوت الحرف (η) مع أنه حرف لين
 ممدود . وعلى ذلك فالنقل أبعد ما يكون
 عن الأصل ، وما اقترحه نقلًا لهذا العلم
 هو (ثيوديككتيس) .

Ἰσις (= Lat. Isis)

نقل هذا العلم قديماً (إيزيس) أى
 نقل الحرف (σ) الأول زايا وهذا
 خطأ ، أما الثاني فنقل صحيحاً .

ثم أهمل صوت الحرفين اللينين (ι α) ،
 وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (أسوريا ،
 أسورية) .

Βυζάντιον (= Lat. Byzantium)

نقل هذا العلم قديماً (بيزنطة) ويلاحظ
 أن العرب قد نقل الحرف (τ) طاء
 ونقل الحروف (ium) تاءً مربوطة
 ولا أدري على أية قاعدة فعل هذا ،
 وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (بيزانتيون)
 ويلاحظ أن النهاية (ov) في اليونانية
 يقابلها في اللاتينية النهاية (um) .

Δάρεϊος (= Lat. Darius)

نقل هذا العلم قديماً (دارا) وهذا
 يخالف صورة الاسم في اليونانية وخاصة
 في النهاية (εϊος) ، وما اقترحه نقلًا
 لهذا العلم هو (داريوس) .

Ἑλένη (= Lat. Helene, Helena)

نقل هذا العلم (هيلانة) ، أى أن
 الحرف (ε) الأول نقل ياء وأما الثاني
 فنقل ألفاً مع أن صوت هذا الحرف
 لا يتغير ثم إن الحرف (η) في نهاية
 الكلمة نقل تاءً مربوطة وكان يجب أن
 ينقل ألفاً مماله أو ألفاً لينه ، وما اقترحه
 نقلًا لهذا العلم هو (هيليني أو هيلينا) .

العجب ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيروس) .

"Ὅμηρος (= Lat. Homerus)

نقل هذا العلم قديماً (أوميروش)
فانصرف العرب عن جرس الهاء في
الاسم ونقل الحرف (s) شيئاً وهذا
لا يتفق مع أصوات اللغة المنقول عنها .
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (هوميروس)
وقد سبقنى إلى ذلك بعض الدارسين
والمعربين المحدثين .

Περικλῆς (= Lat. Pericles)

نُقل هذا العلم قديماً (بركليز) ،
فأغفل العرب صوتي الحرفين اللينين
(١،٤) ونقل الحرف (s) في آخر
الاسم زايلا ولا يتفق هذا مع أصوات اللغة
المنقول عنها ، وما أقترحه نقلاً لهذا
العلم هو (بيريكليس) .

Πορφύρων (= Lat. Porphorion)

نقل هذا العلم قديماً (فورفوريون) .
فنقل العرب صوت الحرف (π) فاء
وجعل بذلك صوت الحرفين (π الهاء
Φ الفاء) واحداً وهو الفاء ، وأعتبر
أن هذا أسوأ مثل للنقل على طريقة
السريان ، فكيف يهتدى الباحث إلى

والسؤال الآن : كيف يتغير صوت
الحرف الواحد في الكلمة الواحدة ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (إيسيس) .

Καμβύσης (= Lat. Cambyses)

نقل هذا العلم قديماً (قمبيز) ، أى
نقل صوت الحرف (K) قافاً ونقل
صوت الحرف (σ) الأول زايلاً وسقط
المقطع (η s) في نهاية الاسم مع أن
الحرف (η) حرف لين ممدود ، ولهذا
فإن النقل لا يطابق صورة الاسم في
اللغة اليونانية ، وما أقترحه نقلاً
لهذا العلم هو (كامبيسيس أو
كامبوسيس) .

Κλεοφών (= Lat. Cleophon)

نقل هذا العلم قديماً (قلافون) ، أى
نقل الحرف (K) قافاً ونقل صوت
الحرفين (ε o) (أُر) في العربية وهذا
يخالف القاعدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا
العلم هو (إكليوفون) مع ملاحظة أن
الاسم مبدوء بساكن .

Kūros (= Lat. Cyrus)

نقل هذا العلم قديماً (قورش) ،
وذلك بنقل الحرف (K) قافاً ونقل
الحرف (s) شيئاً وهذا أمر يدعو إلى

عند النقل ثم نقل الحرف (x) فافاً ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(سيليوكوس) .

Σθένελος (= Lat. Sthenelos)

نقل هذا العلم قديماً (اسثنلس)
فنقل المعرب الحرف (z) الأول ألفاً
وأغفل صوت الحرف (e) الثاني ،
وباعد بذلك بين الأصل والمعرب ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(اسثينيلوس) .

Σίσυφος (= Lat. Sisypheos)

نقل هذا العلم قديماً (سيوسيفوس)
وقد دهشت لهذا النقل الغريب ووددت
أن يكون خطأً مطبعياً ، إذ ليس في
بنية العلم ما يقابل الصوت (يو) ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(سيسيفوس) .

Σοφοκλῆς (= Lat. Sophocles)

نقل هذا العلم قديماً (سوفقلس)
فنقل المعرب الحرف (o) الأول واواً
وأما الحرف (o) الثاني فقد أهمل
صوته . ونقل الحرف (x) فافاً وأهمل
صوت الحرف اللين (η) الممدود .

١٤٣ .

الاسم الأصلي على هذه الصورة . وما أقترحه
نقلاً لهذا العلم هو (بورفوريون) .

Πρωτάγορας (= Lat. Protagoras)

نقل هذا العلم قديماً (فروطاغورس) .
إن هذا التعريب حافل بالأخطاء ، فقد
نقل الحرف (π) فاءاً ونقل الحرف (τ)
طاءً ونقل الحرف (γ) غيناً وأغفل
صوت (α) في آخر الاسم وكان لابد من
نقله ألفاً ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(بروتاجوراس) .

Σαλαμίς (= Lat. Salamis)

نقل هذا العلم قديماً (سالامينا)
وسالامينا هذه ليست إلا صيغة المفعول
به للعلم والتعريب لا يكون إلا في صيغة
الرفع للعلم ، ويدل هذا على أن المعرب لم
يميز بين صيغتي الرفع والنصب ؛ والنقل
الصحيح لهذا العلم هو إذا (سالاميس) .

Σέλευκος (= Lat. Seleucus)

نقل هذا العلم قديماً (سلوقوس) ،
سلوقس) ، فأغفل المعرب صوت
الحرف (s) عند التعريب ونقل .
المزدوج (sv) واواً وهو ، وإن كان
جائزاً ، إلا أنه يسبب اللبس مع
أصوات الحروف (o) ، (v) ،

الثاني ألفاً وأرى أن نقل المزدوج هـزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة أقرب إلى الصوت الأصلي له ، أما نقله ألفاً ففيه من اللبس ما فيه ، إذ يكون صوته مثل صوت الحرف (a) تماماً ومع أن صوت المزدوج صار في الأزمنة الأخيرة مثل صوت الحرف (a) فلإن هذا يدعو إلى بليلة العرب المعاصر على الأقل . ثم إن نقل صوت الحرف (g) غيناً وهذا لا يتفق مع صوت الحرف في لغته ، وأهمل كذلك صوت الحرفين (u) في وسط العلم وفي آخره ولم يضع على الأقل ضمة على كلا الحرفين الجامدين السابقين عليهما . ونقل التاء طاء كالعادة . ويعتبر هذا كله خروجاً على القواعد الصوتية اللاتينية ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (آوجستوس) ، أوجستوس .

Brundisium

نقل هذا العلم قديماً (برنديزي) ، فأهمل المعرب صوت الحرف (u) ونقل صوت الحرف (a) زايأ ثم نقل الحروف (ium) ياء . وهذا لا يسير على أية قاعدة صوتية لا في العربية

بطبيعته ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (سوفوكليس) .

Τηλέμαχος (= Lat. Telemachus)

نقل هذا العلم قديماً (طيلاماخوس) فنقل المغرب الحرف (T) طاء ونقل الحرف (s) ألفاً مع أن الحرف اليوناني (s) هو حرف لين مخفف للحرف (η) ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (تيلياخوس) .

Africa

نقل هذا العلم قديماً (افريقية) فنقل العرب الحرف (c) قافاً ونقل الحرف (a) في آخر العلم ياء وتاء مربوطة ؛ ولا تسمح القواعد الصوتية بذلك ، فالحرف المقابل للحرف (a) في العربية هو الألف اللينة ؛ وعلى ذلك فلإن ما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أفريكا) كما نقول الآن (أمريكا) .

Augustus

نقل هذا العلم قديماً (أوغسطس) ، فنقل المغرب صوت المزدوج (au) في المعرب الأول ألفاً مضمومة بعدها واو ونقله في المعرب

Orosius

نقل هذا العلم قديماً (هوروشوريوس)
ولا أعرف من أين أتى العرب بالجرس
الهائى فى أول العلم ، ونقل الحرف
(■) الأول شهناً ونقل الحرف (■)
الثانى سيناً ، إن ما أقترحه على أية حال
أن ينقل هذا العلم (أوريوسوس) .

Roma

نقل هذا العلم قديماً (رومية) ،
فنقل العرب الحرف (a) فى آخر
العلم ياء وئاء مربوطة وهذا مالا تسمح
به القواعد الصوتية ، فالحرف المقابل
للحرف (a) فى العربية هو الألف
الينة ، وعلى ذلك فإن ما أقترحه نقلاً
لهذا العلم هو (روما) .
والآن أليس تعريب النقلة القدامى
للأعلام الإغريقية والرومانية فى حاجة
إلى إعادة النظر ؟

ولا فى اللاتينية ، وما أقترحه نقلاً لهذا
العلم هو (برونديسيوم) .

Cicero

نقل هذا العلم قديماً (شيشرون) ،
فنقل العرب صوت الحرف (o) شيناً
ونقل الحرف (o) فى نهاية العلم واواً
ونوناً وهذا عجيب حقاً لأن النون ليست
من حروف العلم فى صيغة الرفع ،
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيكيرو) .

Latium

نقل هذا العلم قديماً (لاطيوم) ،
فنقل العرب صوت الحرف (t)
طاء ، وصوت الطاء ، كما قلت مراراً
وتكراراً ليس صوتاً لاتينياً . وبالمناسبة
فإن (اللاتينية) بوصفها صفة مشتقة
من Latium ، ينبغى أن تنطق طبقاً
لصوت الحرف (t) فى هذا العلم الذى
أقترح نقله (لاتيوم) وعلى هذا الأساس
يقال (اللاتينية) (لا اللاتينية) .

المراجع

(أ) المراجع العربية :

- ١ - « قواعد كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية » للأساتذة : فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، حسن حسنى عبد الوهاب (باشا) والدكتور منصور فهمى (بك) ، محمد كردعلى (بك) نلينو وجب ، وهم أعضاء اللجنة التى ألفها المجمع الموقر لوضع هذه القواعد (انظر مجمع اللغة العربية - مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ، الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، ص ٤٠٤ - ٤٢٦ ، القاهرة ، ١٩٣٧) .
- ٢ - « سر صناعة الإعراب » ، صنمه الشيخ أبى الفتح عثمان بن جنى ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذ إبراهيم مصطفى وأسائدة آخرين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٣ - « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى التقديم والحديث » الأستاذ الأمير مصطفى انشباي ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- ٤ - « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنى » للدكتور الأب هنرى فليس ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ٥٣ - ٨٩ ، مقال نشر فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٥ - أرسطو طاليس (ومحمته أريستوتاليس) « فن الشعر » مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ٦ - « علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب » تأليف أولبرى ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، راجمه الأستاذ زكى على ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(ب) المعاجم الأجنبية :

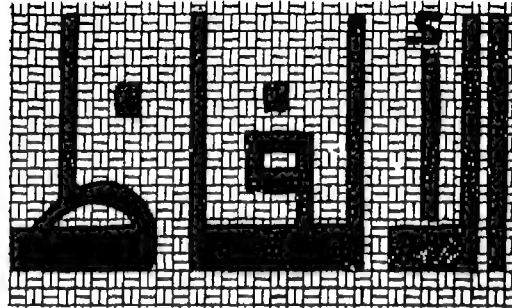
- 1.—Greek - English Lexicon, Liddell & Scott, Oxford, 1953.
- 2.—A Latin Dictionary, Lewis & Short, Oxford, 19٤7.
- 3.—The Oxford Classical Dictionary, Edited by Cary (M) & Others, Oxford, 1949.

(ج) المراجع الأجنبية :

- 1.—Atkinson (B.F.C.), The Greek Language, London, 1933
- 2.—Buck (Carl Darling), The Greek Dialects, Chicago, 1928.
- 3.— “ (“ “) , Comparative Grammar of Greek & Latin, Chicago. 1948.
- 4.—Crowford (D.S.), Greek & Latin : An Introduction to the Historical Study of Classical Languages, Cairo, 1939.
- 5.—Gildersleeve (B.L.), Latin Grammar, London, 1948.
- 6.—Giles (P.) A Short Manual of Comparative Philology, London, 1895.
- 7.—Goodwin (William W), A Greek Grammar, London, 1916.
- 8.—Niedermann (M.), Phonétique historique du latin, Paris, 1953.
- 9.—Roby (H.J.), School Latin Grammar, London, 1904.

محمد محمود السلاّمونى

ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية



للأستاذ نيقولا دوبريشان

نسبياً من الألفاظ التركية . ومما يلفت النظر فيما يتعلق بهذه الألفاظ أن أغليبيتها أصلها عربي . ومن المعروف - وهو جدير بالذكر هنا - أن اللغة التركية بدورها تأثرت تأثراً هاماً باللغة العربية ، إذ كانت هذه الأخيرة حاملة ثقافة وحضارة متطورة غنية ، بينما كانت لغة العثمانيين لغة فقيرة غير قادرة على التعبير عن منجزات الحياة المتحضرة لذلك العصر .

وبالإضافة إلى هذه الألفاظ دخلت في اللغة الرومانية ألفاظ عربية أخرى - وعددها

البلدان الرومانية^(١)



ما يقارب خمسة قرون تحت نير الإمبراطورية العثمانية ، إذ يتشابه تاريخها في هذه المدة الطويلة مع تاريخ أغلبية مناطق العالم العربي ، لكنها لم تصبح أبداً أقاليم تابعة لهذه الإمبراطورية رغم أنها كانت تدفع الأتاوات ورغم أن الباب العالي كان يعيّن قادة هذه البلاد . وطوال عصور الاحتلال العثماني للبلدان الرومانية تأثرت اللغة الرومانية باللغة التركية تأثراً ملحوظاً ، فقد وصل إليها عدد كبير

(١) أراضي رومانيا الحالية كانت مقسمة إلى ثلاث دويلات : «مولدوفا» و «فالاها» (أو البلاد الرومانية) و «ترانسيلفانيا» .

وانتقلت «مولدوفا» مع «فالاها» في دولة واحدة سنة ١٨٥٩ وحصلت الدولة الرومانية القومية على استقلالها الوطني إذ تحررت من السيطرة العثمانية سنة ١٨٧٧ . ووقعت الدولة المسماة بـ «ترانسيلفانيا» لمدة قرون تحت سيطرة الإمبراطورية النمساوية الهنغارية وحصلت هذه المنطقة الرومانية على استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى ، أي بعد انهيار هذه الإمبراطورية ، وانضمت إلى الدولة الرومانية الموحدة .

أصغر - عن طريق اللغة الأسبانية ولغات
غربية أخرى ، ولا نرغب في أن نحلل
هذه الألفاظ في مقالنا هذا لأن وضعها في
اللغة الرومانية يختلف اختلافا كبيرا عن
وضع الكلمات الدخيلة بواسطة اللغة التركية.
إن أغلبية الكلمات الدخيلة بواسطة
الأسبانية واللغات الغربية الأخرى أصبحت
مصطلحات علمية ولها مواضع ثابتة في
اللغة في الوقت الحاضر كذلك .

وأصبحت الألفاظ ذات الأصل العربي
موضع البحث من جانب الباحثين الرومانيين
في نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرننا
العشرين ولكنهم كانوا يعتبرون جميع
الكلمات التي لها أصل شرقي (ومنها ألفاظ
أصلها فارسي أو تركي أو تترى)
« كلمات تركية » أو بمصطلح أوسع
وغير واضح « كلمات شرقية » أو
« عناصر لفظية شرقية »^(١) .

(١) ونذكر بين أهم الدراسات في هذا المجال :

(أ) بحث « التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية » للعالم الانوى « لازار شينيانو » الذي صدر في بوخارست
سنة ١٩٠٠ (العنوان باللغة الرومانية: si Influenta orientala asupra limbei Lazar Seineanu; culturei române Bucuresti, 1900) وهو إكمال لبحث آخر عنوانه : « ألفاظ تركية في اللغة الرومانية »
صدر في سنة ١٨٥٥ (العنوان باللغة الرومانية: Elemente turcesti in limba româna, Bucuresti, 1885) ويعتبر بحثا « لازار شينيانو » من أكل البحوث التي وضعت حتى الآن في هذا الموضوع رغم أن مؤلفها لم يوضح
ما هي مكانة الألفاظ العربية والتركية والفارسية بين هذه الكلمات . أما الجزء الثاني من هذا البحث ، فهو قائمة
بالكلمات الشرقية وفي هذا الجزء يشير الباحث إلى الأصل العربي لعدد من الكلمات الشرقية . أما أغلبتها فهو يشير
إلى الكلمة التركية فقط بدون أى إشارة إلى أصلها العربي أو الفارسي . ونذكر كذلك أن « لازار شينيانو » لم
يسجل في القائمة التي حددناها عددا كبيرا من الألفاظ العربية . وهو يقع في كثير من الأخطاء لأنه لم يعرف اللغة
العربية ومن المحتمل أنه لم يعرف الفارسية ولا التركية . ولهذا السبب يعتبر عددا من الكلمات العربية فارسية أو العكس
كما أنه لا يشير بصورة صحيحة إلى اللفظ العربي الذي كان أصلا للكلمة الرومانية .

(ب) بحثا « تيوفيل ليوبيل » : « ألفاظ تركية وعربية وفارسية في اللغة الرومانية » الصادر في ليزيغ سنة
١٨٩٤ (العنوان باللغة الرومانية: Elemente turcesti arabesti si persane in limba româna, 1894) و « اسهام في تحديد الأصل الشرقي لعدد من الألفاظ الرومانية » الصادر في بوخارست سنة ١٩٠٨
(العنوان باللغة الرومانية: Contributuni la stabilirea originii orientale a unor cuvinte românești, Bucuresti, 1908.) ويكمل هذان البحثان عمل « لازار شينيانو » وتكون أغلبية تصحيحاته
سليمة على الرغم من أنه يقع في بعض الأخطاء كذلك . وكان « تيوفيل ليوبيل » يجيد اللغة التركية كما عرف شيئا ما
العربية . وما يشير الاهتمام أنه اعتبر الكلمات ذات الأصل العربي عربية وما كان منها تركي الأصل ألفاظا تركية
وما كان منها فارسي الأصل ألفاظا فارسية (البحث الأول ص ١٧٠ - ١٨ ، البحث الثاني ص ٣٠) =

واعتبرت « قضية الألفاظ العربية الأصل » محلولة من خلال هذه الأبحاث ولم يتناولها بالبحث اللغويون خلال نصف قرن تقريباً وأشار مؤخراً « ألكساندرو روسيتي » عضو أكاديمية العلوم الرومانية والأستاذ « بوريس كازكو » في كتابهما (تاريخ اللغة الرومانية) ، أشارا إلى ضرورة إعادة بحث هذه الكلمات في ضوء الإنجازات الجديدة في ميدان علم الاستشراق^(١) .

ويبدو أن عددا من الباحثين لا يزالون يعدون جميع الألفاظ الشرقية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية عناصر لفظية تركية بصرف النظر عن أصلها العربي أو الفارسي .

إن الأصل المباشر لهذه الكلمات من اللغة الرومانية يوجد في اللغة التركية ،

= (ج) بحث « بعض الألفاظ الرومانية ذات الأصل العربي والتركي والفارسي والعبري » لـ « غيورغي بوبيسكو تشوكايل » ، باريس ، ١٩٠٧ (العنوان باللغة الفرنسية : Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hébraïque)

وهذا البحث يجافي المنهج العلمي الصحيح إذ يعتبر مؤلفه عددا من الكلمات التي لا يوجد أي شك بصدد أصلها ، يعتبرها شرقية انطلاقاً من التشابه اللفظي أو الدلالي فقط بدون أن يأخذ في الاعتبار تاريخها والبحوث الأخرى التي وضعت إلى ذلك التاريخ والتي تشير بوضوح إلى أصلها .

(١) ألكساندرو روسيتي وبوريس كازكو ، تاريخ اللغة الرومانية ص ٣٤١٠ ، Al. Rosetti, B. Cazacu, Istoria limbii române literare, Bucuresti, 1961, p. 341

(٢) ر. أ. بوداغوف : مقدمة في علم اللغة (الطبعة الرومانية) ، بوخارست ١٩٦١ ، ص ١٣٧٠ .

الإيطالية أو البروفانسية^(٢) . ، وأشار في موضع آخر من نفس مؤلفه إلى أن بعض الكلمات الأجنبية قد دخلت الفرنسية عن طريق مباشر أو غير مباشر . « ومن الممكن أن نقول إن الفرنسية أخذت كلمات من جميع لغات العالم تقريبا إذا لم نأخذ في الاعتبار أن عددا منها وصل إليها بواسطة لغة أخرى^(٣) » .

وفي رأينا أنه يجب أن نعتبر الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية ألفاظا عربية لا تركية ولا شرقية تحريا للدقة في التعبير .

وليس في نيتنا أن نتناول التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات العربية إلى اللغة التركية إذ أشار إليها اللغوي الفرنسي (جان ديوني) في كتابه « مبادئ النحو التركي^(٤) » . كما أشار (لازار شايينيانو) في كتابه (التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية) المذكور إلى التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية^(٥) .

أما الكلمات العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية فقد وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة ثالثة أي اللغة التركية ولكن هناك كلمات عربية وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة رابعة (العربية - فالتركية - فالبلغارية) أو (الصربية أو اليونانية) - فالرومانية) أو (العربية - فاللاتينية - فالفرنسية - فالرومانية) أو (العربية - فالأسبانية - فالفرنسية - فالرومانية) .

واعتبرت المستشرق السوفيتية (ج. ف. زافا وفسكايا) الكلمات العربية الدخيلة في اللغة الفرنسية مثلا اعتبرتها عربية - حتى لو لم تدخل إلى اللغة الفرنسية مباشرة من اللغة العربية^(١) .

وأشار (لويس ديروا) حيث تحدث عن كلمة magasin الموجودة في اللغة الفرنسية إلى أنها عربية الأصل وأصلها كلمة (مخازن) جمع (مخزن) بالرغم من أنها وصلت إلى اللغة الفرنسية بواسطة

(١) اللغات السامية (Semitskie iaziki) « الطبعة الروسية » ، موسكو ، ١٩٦٣ ص ٩٩ .

(٢) Louis Deroy, L'emprunt linguistique, Paris, 1956, p. 20

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٠

(٤) Jean Deny, Principes de grammaire turque, Paris, 1955, P. 26

(٥) لازار شايينيانو ، العمل المذكور ، ص ٤١٠ - ٤٥ .

< ت. [hamma] < ر. hamal ع. محلة
< ت. mahalle < ر. mahala ؛
ع. مقلد < ت. mukallit < ر. mucalit
إلى آخرها .

وهناك عدد من الأدلة تشير إلى أن
أغلبية الكلمات التي أخذتها اللغة التركية
من اللغة العربية أخذتها من اللهجات
الدارجة ولم تأخذها من اللغة الفصحى .
والدليل الأول على ذلك أنها كلمات
تحمل أسماء أدوات ملموسة لها انتشار
واسع، وقليل منها فقط يسمى عناصر
للحياة الروحية .

والدليل الثاني هو فقد التنوين الذي
الذي يمثل سمة للأغلبية الساحقة من
الأسماء والصفات في اللغة الفصحى ،
ولا يصدر إلا في حالات نادرة في اللهجات
الدارجة . وقد تركت التنوين جميع
الكلمات العربية الأصل التي أخذتها
الرومانية بواسطة التركية ، فمثلا :

ع. بلاء < اللهجة بلاء < ت.
bela < ر. belea ؛ ع. كيف <
اللهجة كيف < ت. keiyf < ر.
chef ؛ ع. ترتيب < اللهجة
ترتيب < ت. tertip < ر. tertip .

ويلفت النظر أن اللغة التركية قد
أثرت بخصائصها الصوتية في الكلمات
العربية الدخيلة وعملت الرومانية بدورها
نفس الشيء عند انتقال هذه الكلمات
إليها . وفي حالة الكلمات الطويلة الحجم
أو بعض التركيبات تم تقصيرها عند
دخولها في الرومانية . وفما يلي بعض
الأمثلة : ع. استفتاح < ت. siftal
< ر. saftea ؛ ع. مصادرة < ت.
(mu) sadere < ر. satara ؛ ع.
دار الصناعة < ت. tersane < ر.
tersana ؛ ع. ما شاء الله < ت.
masallah < ر. masala ؛ ع. سلام
عليكم < ت. selamlic < ر. selamlic .

وجرى تغيير آخر في مجال الصوتيات
كذلك ، ألا وهو فقد الحروف العربية
المشددة تشديدها عند انتقالها من اللغة
التركية إلى اللغة الرومانية وذلك أن
التشديد ليس من خواص اللغة الروانية ،
فمثلا : ع. بطال < ت. battal
< ر. batal ؛ ع. جلاد < ت.
gollad < ر. gealat ؛ ع. حمال

الممكن أن نقوله بصدد التركيب النحوى والتركيب الصوتى . إن الكلمات ذات الأصل العربى الدخيلة فى اللغة الرومانية والتى بلغ عددها بعض المئات ترتبط بالحياة السياسية والعسكرية والإدارية للبلدان الرومانية وبالأثناوات التى كانت هذه البلاد مضطرة إلى دفعها ، وبالثياب الشرقية الأصل من ذلك العصر .

ودخل عدد من هذه الكلمات اللغة الرومانية بالعوادات والعلاقات التى كانت تسميها بينما كان عدد منها يسمى العلاقات القائمة فى الامبراطورية العثمانية ولما زالت العلاقات التى كانت تسميها هذه الألفاظ وتبدلت الأدوات التى دخلت معها اللغة الرومانية ، فإن هذه الألفاظ أصبحت غير معروفة وغير مستعملة وتعتبر فى عصرنا هذا كلمات قديمة لا تستخدم إلا فى كتب التاريخ أو كتب الأدب ذات الطابع التاريخى .

والدليل الثالث أنه لا يوجد هناك لفظ واحد وصل إلى اللغة الرومانية مسبوقا بأداة التعريف (ال) ، إن كل الألفاظ من اللغة الدارجة ولها استخدام واسع وهذا مما يفسر نقص أداة التعريف ^(١) .

والدليل الرابع أن أغلبية الألفاظ التى تنتهى فى اللغة العربية بتاء مربوطة قد فقدت هذه التاء عند انتقالها إلى اللغة التركية : ع . عقيدة < t . akýdo < ر . acadæa ؛ ع . لقمة < t . lokma < ر . locma ؛ ع . نفقة < t . nafaka < ر . nafaca (وجرى عند الانتقال إلى اللغة الرومانية كما يبدو تغيير لترتيب الحروف الأصلية) .

وفى عصر التأثير التركى الطويل على البلدان الرومانية – وبالتالي على اللغة الرومانية – لم يُعَمَّس ما يسمى بالتركيب الأساسى للغة الرومانية . ونفس الشئ من

(١) والجدير بالذكر أنه دخل فى اللغة الرومانية بواسطة اللغات الغربية كثير من الألفاظ العربية التى كانت مصطلحات علمية فى اللغة العربية . وقد وصلت إلى اللغة الرومانية مسبقة بأداة التعريف ومن هذه الألفاظ مثلا : alambic, alcali, alcool, algebra, alidada وغيرها ، ويبدو أن استخدام أداة التعريف كان يشير إلى أن هذه الكلمات مصطلحات علمية إذا أخذنا فى الاعتبار أن هناك كلمات من اللغة الدارجة وصلت بغير أداة التعريف إلى اللغة الفرنسية ومنها إلى الرومانية ، مثل ع . فقير < ف . faguir < ر . fachir ؛ ع . مسكين < ف . mesquin < ر . meschin ؛ ع . فلاح < ف . fellah < ر . felah .

ولا يزال يستخدم في عصرنا عدد من الكلمات التي كانت تسمى أنواعا من المنسوجات أو الثياب ، مثل :
aba, antieriu, burnuz, catifea, cutnie, fes, giubea, halat, imamea, iminei, marama, melez
قد تغير في خلال القرون .

وقد وصل إلى اللغة الرومانية عدد من الألفاظ التي لها وزن « فَعَال » الذي يشير إلى المهنة أو الحرفة :
bacal, casap, cavaf, goalat, gerah, hamal, tolal, zaraf
وصلت إلى اللغة الرومانية بحرف عين غير مشدد . وبالإضافة إلى هذه ، وصلت كذلك كلمات أخرى تشير إلى الحرف أولها صلة بالحرف :

alvitar, calfa, hadîmb, halvagi, isnaf, māmular, nalbar, rufet, tergiman, seiz, surugiu
يستخدم بعض هذه الألفاظ : casap التي اشتق منها في اللغة الرومانية الفعل cășăpi الذي له انتشار واسع و goalat, و surugiu و zaraf .

ومن الجدير بالذكر أن أغلبية الألفاظ التي لها صلة بالحياة المالية والتجارية

وفيما يلي قائمة بالألفاظ العربية الأصل التي كانت تسمى علاقات سياسية وإدارية وعسكرية من عصر السيطرة التركية وأدوات ملموسة لها ارتباط بهذه العلاقات.
ascher, cadiascher^(١), caid, caimacam^o, calem, carar, cișt, dandana, gerid, hanger, barsa, hatiserifo, havalea, hochim, huzmet, leafa, mazdrac, menzil, merchez, mertepea, meterez, mucaesea, mucarer, muchealemea, muhafiz, muhaserea, muhemat, muhur, mumbașir, murahaș, mușir, muteveliu, naip, nazir, nefer, nizam, nobet, raia, redif, regoal, reiz, rusumat, rușfet, sacat sadrazan^o, saltanat, seleaf, seraschier^o, serhat^o, sultan, tabie, taorir, talhîs, tarapana^o, teşcherea, teşrifat, umur, uşur, validea, valiu, vechil, vilaet, vizir, zabot, zaherea, zaim.

ولا يستخدم من هذه القائمة الطويلة إلا بعض الألفاظ في أيامنا ، بعضها نتيجة للتطور الدلالي وبعضها في الأدب ذي الطابع التاريخي

dandana, hanger, leafa, meterez, raia, sultan, tarapana, vechil, vizir.
ومن الممكن أن يجرى هذا التغير لأن العلاقات التي كانت تسميها تغيرت تغيرا مستمرا كبيرا .

(١) الكلمات التي تتبعها هذه الإشارة (٥) تكونت في اللغة التركية من كلمتين عربيتين أو من كلمة عربية وكلمة فارسية

hardal, haşîş, liliac, mucava, sabur,
sidef, tahîn, zambac, zof, zambila
وكثير من هذه الكلمات يوجد في اللغة
الرومانية الحديثة ويستخدم بعضها
كمصطلحات علمية .

ويستخدم كذلك جزء من الألفاظ
التي كانت تدل على أسماء الأعيان :

alem, acaret, bagdadie, bina, cafas,
calup, canat, cherpedin, chiub, cîlf,
cubea, cula, halca, hap, havuz,
hazna, hurtum, mahnudea, macaz,
maden, magazie, mahala, maidan,
masala, matara, aba, anteriu, burnuz
catifea, cutni, fes, giubea, halat
mehlem, merea, minaret, nastrapa,
sel, saca, satîr, zâraf, inamea,
iminei, marama, melez

ولبعض هذه الألفاظ انتشار واسع في
أيامنا أيضا .

والجدير بالذكر أن ١٥ كلمة من
مجموع الـ ٢١^(٢) كلمة التي دخلت إلى اللغة

تستخدم كذلك في عصرنا :

aiar, amanet, calp, chesat,
chila, mezat, magazie, mofluz,
musteriu, oca, raft, saftea, tarapana°,
telal, zaraf,

كما تحتفظ اللغة الرومانية الحالية
بأغلبية الألفاظ العربية الأصل التي كانت
تسمى أطعمة ومشروبات

acadea, cafea, cataif, chebap,
ciorba halva, locma, magiun,
musaca, rachiu, rahat, serbet,
talin , كما وصلت إلى الرومانية بعض
الألفاظ التي لها صلة بالأطعمة ومنها :
mutpah, nastrapa, sahan, satîr,
sofra, sufertas°, tain
satîr, sufertas°, tain. منها

ووصلت إلى اللغة الرومانية كذلك
بعض الكلمات العربية الأصل التي تسمى
نباتات ومواد مثل :

afion, cafea, cafea, cana, catran,^(١)
chibrit, chimen, cîrmîz, cubeba,

(١) دخلت كذلك بواسطة الفرنسية بشكل gudron

(٢) وسجل هذه الكلمات الـ ٢١ « الكساندرو روسيتي » و « بوريس كازاكو » في كتابهما المذكور ،

الرومانية عن اللغة التركية وكانت تحمل دلالات مجردة أصلها عربي

bolea, berechet chef, cusur, dandana, habar, hal haltir, huzur, mahmur, marafet, nuri, sart, tabiet, tertip

وبالرغم من أن مجال الديانة لم يُمسّ بالتأثير الإسلامي خلال القرون الماضية فقد دخل إلى اللغة الرومانية عدد من الكلمات التي كانت تسمى الأمور التي لها علاقة بالدين الإسلامي . ومن الطبيعي أن يكون أصل هذه الكلمات عربيا إذا أخذنا في الاعتبار أن العرب^(١) هم الذين أسسوا هذه الديانة . ولا تزال تستخدم أغلبية الألفاظ التي تسمى وقائع لها صلة بالدين الإسلامي :

cadu, Coran, geamie, gheaur, hagialic, hagi, hurie, imam, mecet, muezin, musulman, rama - zan, salavat, segedea. seic, seitan, ulema, vacuf

ومن المتوقع أنه جرت تغيرات كبيرة في (دلالة) الألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية باعتبار أنها وصلت إلى الرومانية بواسطة لغة أخرى قبل قرون كثيرة . وعلى الرغم من هذه الظروف فإن هذه الألفاظ لم تتغير معانيها

إلا في حالات نادرة وبصورة ضئيلة . ودخل إلى الرومانية الألفاظ التي كانت تسمى علاقات سياسية أو شرعية أو إدارية أو عسكرية في عصر معين أي في عصر الاحتلال العثماني في نفس الوقت مع العلاقات التي كانت تسميها . أما اللغة التركية فأخذتها في أغلب الحالات من العربية بدون أن تحدث فيها أي تغيير أو محدثة في بعضها تغييرات ضئيلة صغيرة . وأغلبية هذه الكلمات لها نفس المعاني في العربية والتركية والرومانية ونذكر من بينها : *hochim* < حكم ، *mumbaşir* < محافظ ، *muhafiz* ، مباشر ، *muhaseera* < متولى ، محاصرة ، *muselim* < مسلم ، *muteveliu* ، نائب ، *naip* ، سلطان ، *sultan* ، تقرير ، *tacir* ، تذكرة ، *tesherea* ، وإلى ، *valiu* ، ولاية ، *vilaet* ، وزير ، *vizir* ، ضابط ، *zabet* ، زعيم ، *zaim* كما لم تحدث تغيرات في معاني الكلمات التي تسمى أسماء الأعيان مثل :

acaret, alem, cafas, calup, havuz, hurtum, muşama, nastrapa

(١) لم نمن هنا بالسكان الأتراك والذين يعيشون في رومانيا حاليا والذين يتجاوز عددهم ٤٠ ألفا والذين يمتثلون للإسلام .

hain بنفس المدلول الموجود في اللغة العربية < ر. hain ، وكان للفظ الروماني المعنى العام الموجود في العربية والتركية ولكنه اكتسب كذلك معنى آخر « قاس » ؛ ع . مقلد < ت. mukallit < ر. mucalit وبالإضافة إلى الدلالة الأصلية تطورت هذه الكلمة في اللغة الرومانية إلى معنى « مضحك وهو جاد ، متندر » . وفي ع. « تلبيس » نجد أنها أصبحت في الرومانية telpiz وأنها صفة في هذه اللغة ولها معنى « ماكر ، متكلف ، متصنع » . "ألفبیت" في

وجرت التغيرات التي تتصل بمعاني هذه الكلمات في اللغة الرومانية بعد أن انقطعت علاقاتها المباشرة مع اللغة التركية . إن حالة من حالات تطور الدلالة يمثلها فقط عدد من المدلولات الأصلية حيث يقتصر اللفظ على معنى واحد وحسب ، دون المدلولات الأخرى التي كانت له في التركية أو العربية . وهذه الظاهرة تحدث في أغلبية الألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية . كما يحدث في بعض الحالات أن التركية بدورها قد اقتصرت على أحد مدلولات اللفظ دون غيرها . وفيما يلي بعض الأمثلة :

وغيرها . وكذلك في معاني أسماء النباتات والمواد مثل :

afion, cafea, cana, cafea, catran, chimen, cirmiz, cubeba, hardal, haşis, liliac, sabur, sidof, sofran, tahin, zambac

وفي المصطلحات الدينية مثل :

Cadiu, Coran, geamie, hagi, imam, mecet, muezin, ramazan, seic, seged, vacuf

أما الألفاظ التي تسمى أصحاب الحرف وأشياء أخرى تتصل بهم ، فلم تجر فيها إلا تغييرات طفيفة

bacal (bacan), casap, cavaş, goral, balvagi, hamal, isnaş, rufoş, seiz, telal, tergişman, zaraf

وقد جرت أهم التغيرات في معاني الألفاظ التي تسمى صفات أو عيوباً ولكن مدلولات هذه الألفاظ أيضاً كانت أقرب إلى المدلولات الموجودة في اللغة التركية أو في اللغة العربية في عصر قديم من تاريخ اللغة الرومانية . فمثلاً كلمة عجمي < ت. acemi بالمعاني الآتية : « فارس ؛ بربري ؛ جاهل ، خشن ، غليظ ؛ مبتدئ ، شخص ليست له خبرة < ageamii بالمعنى « مبتدئ ، شخص ليست له خبرة بالحياة أولاً يحسن التصرف » ؛ ع . خائن < ت

جديدة تحدّد تطوّر اللغة في مجموعها. وهناك في اللغة الرومانية كلمات عربية الأصل ابتعدت معانيها عن المعاني الموجودة لها في اللغة العربية وحتى في اللغة التركية . وهذا ما حدث مثلاً في اللفظ « أبرش » الذي كان يشير في اللغة العربية إلى صفة من صفات الحصان والذي أصبح في الرومانية (وشكلها abraş) يشير إلى صفة أخرى بالنسبة للحصان ألا وهي « جامع » وبالإضافة إلى هذه يشير إلى صفة من صفات الإنسان ألا وهي « عنيف وشرير » وإلى صفة لأعمال الإنسان ألا وهي « فاشل وخائب » . ومن الملاحظ أنه بينما كان يدل في العربية والتركية على صفة من صفات الإنسان فقط ، توسع في الرومانية نطاق الدلالة وأصبح يشمل بالإضافة إلى صفة الحصان صفات أخرى خاصة بالإنسان . إن تطورا مشابها جرى بالنسبة لكلمة « خفيف » والتي أصبحت تدل في الرومانية (وشكلها ofif) على صفة « المفلس » .

وفي حالات أخرى لا يقتصر تطور اللفظ الدخيل على التعبير عن معان جديدة بل في

ع . عوائد (جمع العائدة)^(١) < ت . await ؛ « مداخيل ، ضرائب » < ر . avast « ضريبة كانت تدفع للمداخيل معينة » . ونلاحظ أن الكلمة « عوائد » التي لها معان كثيرة في اللغة العربية دخلت في اللغة التركية ببعضها بينما لم تحتفظ الرومانية إلا بمعنى واحد . ونفس الظاهرة جرت بكلمات أخرى : ع . قيد < ت . kayd < ر . caid « ملف ، أرشيف » ؛ ع . خاطر < ت . hatir < ر . hatir « رغبة » ؛ ع . مسافر < ت . musafir < ر . musafir « ضيف » وغيرها .

وهناك طبعاً ألفاظ وصلت إلى الرومانية واحتفظت بمعانيها المختلفة من اللغة المانحة ، مثل اللفظ « حريم » الذي له في الرومانية المدلولان الموجودان في اللغة الأصلية : « زوجات رجل مسلم متعدد الزوجات » و « جزء من البيت الخاص بالنساء » .

ومن الطبيعي أن تتغير مدلولات كثير من الكلمات الدخيلة إذ أنها أصبحت ذات سمات جديدة تنسجم بها ألفاظ اللغة التي وصلت إليها وتطورت في ظروف تاريخية

(١) لا تسجل هنا معاني الكلمات في العربية اعتباراً أن الباحث يهدف في القواميس العربية .

الكفاح ضد ملاك الأراضى الكبار ومن أجل
الإصلاح الزراعى والتحول الاشتراكى
للزراعة . واكتسبت هذه الكلمة فى تلك
السنوات معنى الكلمة الروسية « كولاك »
تحت تأثير اللغة الروسية طبعا وكانت
لا تدل على الإقطاعيين بالضبط ، بل على
فئة ريفية أخرى - فئة برجوازية الأرياف
وصغار الملاك الذين لم تقم الدولة الاشتراكية
بتأميم ممتلكاتهم أو بتوزيعها على الفلاحين
الفقراء ولكنها ضغطت عليهم لكى يتجهوا
إلى الاشتراكية . ونتيجة لاكتساب هذا
المعنى أصبح لهذه الكلمة انتشار واسع
إذ كان يستخدمها جميع متحدثى اللغة
الرومانية واشتق منها أحد عشر مشتقا
جديدا بوسائل اشتقاقية خاصة للغة الرومانية
وهى : صفة *chiaburese* واسم
chiaburan واسم *se chiaburime*
وفعل *se chiaburi* واسم *chiaburoi*
ومصدر *deschiaburire* وفعل
deschiaburi ومصدر *deschiaburire*
وصفة *inchiaburit* .

إمكانها أن تكسب قيا بلاغية معينة وطابعا
اجتماعيا معينة . وقد أشار « لازار شاينيانو »
فى عمله المذكور إلى بعض هذه الكلمات^(١)
ونحن نضيف إليها أمثلة أخرى :
afif (ع . خفيف) بمعنى « مفلس »
و *ageamîn* (ع . عجمي) بمعنى
« مبتدئ » و *berechet* (ع . بركة)
بمعنى « مكار » و *ciorba* (ع .
شربة) فى المثل *a te băga în ciorba*
cuiva بمعنى « تدخل فى شئون شخص آخر
و *fes* (ع . فاس) فى المثل *a turti*
fesul cuiva بمعنى « خيب آماله »
و *fitil* (ع . فتيل) فى المثل *a băga*
fitiluri بمعنى « دس الدسائس » و
hap (ع . حب) فى المثل *a înghiți*
hapul بمعنى « فتل » إلى آخرها .

وفى ما يتعلق بالقيمة الاجتماعية التى تكسبها
كلمة فى مرحلة من مراحل تطورها ، أبلغ
مثل هو مثل اللفظ *chiabur* (ع .
كبير) . وقد أصبح لهذا اللفظ استخدام
واسع جدًا فى مرحلة انتقال رومانيا من
الرأسمالية إلى الاشتراكية أى فى سنوات

(١) لازار شاينيانو ، الكتاب المذكور ، ص . ٤٧

(بركة) اكتسبت بالإضافة إلى معنى «زيادة الخير» الأصلي معنى «مكّار» ، شاطر» وكذلك الكلمة «fudul (فضول) التي لها بالإضافة إلى معنى يكون ممكننا تفسير ارتباطه بالمعنى الأصلي اكتسبت معنى آخر في المثل fudul de-o ureche أي «أصم» ، وكذلك الكلمة hap (حب) لها معنى جديد فكاهي في المثل a inghiti hapul بمعنى «تحمل شيئا غير محبوب» . هذا ، وقد اكتسبت ألفاظ أخرى ظلالا ليا مزوجا بالفكاهة ، ومنها geala (جلاد) بمعنى «فتوة ، جدع» mahala (محلة) بمعنى «ساحة ، خاصّة في ضواحي المدن ، تجمع فيها الزبالة أو يستخدمها الأطفال للعب» . ويعرف كذلك متحدثو الرومانية هذه الكلمة في عصرنا هذا بمعانيها الجديدة هذه .

وأشار اللغوي الفرنسي «لويس ديروا» في إحصاء عامّ للكلمات الدخيلة إلى أن أغليبيتها (ما بين ٧١ في المئة و ٧٥ في المئة) أسماء وما بين ١٨ - ٢٣ في المئة أفعال ، وما بين ٣ - ٤ في المئة صفات ، و ١ في المئة حروف .^(١) ونلاحظ أن

وما يلفت النظر أن الانتشار الواسع لهذه الكلمة ومشتقاتها كان محدودا زمنيا ، ولا يستخدمها متحدثو الرومانية اليوم إلا عندما يتحدثون عن وقائع تلك الفترة التي تجاوزها المجتمع الروماني .

وحصلت الكلمة vechil (وكيل) كذلك في مرحلة معينة من تاريخها على ظل دلالي اجتماعي . وكان من بين معاني الكلمة العربية معنى «منتدب» و «مفوض» و «نائب» واحتفظت الكلمة بنفس الدلالات في اللغة التركية بينما بدلتها في اللغة الرومانية إذ أصبحت تعني فيها بالإضافة إلى «نائب قائد الدولة» و «المحامي» معنى آخر ألا وهو «الشخص المفوض بالإشراف على العمل في إقطاع» أي «نائب الإقطاعي» و «مشرف» . ويعرفها متحدثو الرومانية بهذه المعاني الأخيرة نتيجة لاستخدامها في فترة طويلة من الزمن بهذه المعاني .

إن كثيرا من الكلمات العربية الأصل الموجودة في اللغة الرومانية اكتسبت ظلالا ليا فكاهيا . فمثلا كلمة berechet

(١) Louis Deroy ، الكتاب المذكور ص ٦٧ .

عيوب . ومن الجدير بالذكر أنها كانت في [اللغة العربية أسماء ومنها hain (خائن) بمعنى «شريد» و «قاس» و mofluz (مفلس) بمعنى «غير مرض» و siret (شرّة) بمعنى «ماكر» ، مخدع وغيرها .

وهناك بعض الحالات التي لا تعتبر فيها اللغة التركية الجمع جمعا بل تعتبره مفردا وتشتق منه جمعا جديدا حسب نظام اشتقاقها للجمع كما تحدث هذه الظاهرة عند انتقال عدد من هذه الجموع إلى الرومانية . فمثلا acarot (عقارات جمع عقار) يشتق منها جمع روماني acaroturi ، وكذلك cataif (قطائف جمع قطيفة) يشتق منها جمع cataifuri . وكذلك من havadiş (حوادث جمع حادثة) يشتق جمع havadişuri وغيرها . وهذا هو دليل آخر على أن هذه الكلمات وصلت إلى الرومانية عن طريق الحديث لا عن طريق الكتابة .

وأصبحت بعض أسماء المدن والمناطق العربية تسمى في الرومانية بأشياء ملموسة أصلها في هذه المناطق ، ومنها fes (مدينة فاس) بمعنى «طربوش» و misir

هذه الإحصائيات تؤكد كذا كذلك حالة الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الرومانية: حوالى ٨٥ في المئة منها أسماء وحوالى ١٠ في المئة منها صفات وحوالى ١٠ في المئة تكون حروفا وأدوات تعجب . ومما يلفت النظر كذلك أنه لم يصل إلى الرومانية فعل واحد وربما ذلك بسبب الشكل المقيد للفعل العربي .

وكثيرا ما يحدث عند انتقال لفظ من لغة إلى لغة أخرى تغير له من أجل إدخاله في نوع صرفي معين كما يحدث تنقله من الاسم إلى الصفة أو العكس . وهناك بعض الأمثلة من هذه الناحية : اللفظ «فضول» كان اسما في العربية والتركية وأصبحت fudul في الرومانية صفة واشتقت الرومانية من هذه الصفة اسما جديدا حسب نظامها في الاشتقاق fudulie . واللفظ «تلبيس» telpiz الذى هو مصدر في العربية أصبح في التركية اسما وصفة وفي الرومانية صفة فقط . والحالة العكسية : اللفظ chiabur الذى تحدثنا عن معانيها أعلاه .

وبين الألفاظ العربية الأصل هناك بعض الصفات التي تدل على خواص أو

عليك « و tiptil (تبديل) بمعنى « خفية » . ونذكر كذلك أن عددا من الألفاظ العربية الأصل احتفظت بها الرومانية في عبارات مركبة فقط على الرغم من أن لها معان خاصة في العربية وفي التركية ، ومنها : cherem (كرام) في المثل la cheremul cuiva بمعنى « تحت أمر شخص » و chelemet (كلمة) في المثل a face chelemet cu cineva بمعنى « أتصل بشخص اتصالا وديا » و naht (نقد) في العبارة in naht بمعنى « نقدا » و naiba (نائبة) في العبارة la naiba بمعنى : في الداهية وغيرها .

وتعتبر أغلبية هذه الأمثال قديمة ومن الممكن أنه في فترة معينة من تاريخ اللغة الرومانية كانت لهذه الكلمات معان خاصة . ويبدو أن هذا سيكون مصير ألفاظ لها معان خاصة وهي منفردة ولكن أغلبية المتحدثين يعرفونها في أمثال . ومن هذه الألفاظ : aman, abraş, habar, har, hal, balal, haram, hatîr, hap, iaca, mertepca, nazan, ramazan, saftea, şart

وكان عدد الألفاظ العربية الأصل التي دخلت في اللغة الرومانية بواسطة التركية يتجاوز ٤٠٠ لفظا . ويحتوى هذا الرقم

(مصر) بمعنى « حصان عربى » و sama (شام) بمعنى « منسوج معين » . واحتفظت هذه الكلمات لفترة بعد دخولها الرومانية بالمعنى الأصلى وفي مرحلة أخرى فقدت هذا المعنى وأصبحت تعرف بمعانى هذه الأشياء الملموسة التي اعتبر أصلها في هذه المناطق العربية المذكورة .

كما وصل إلى اللغة الرومانية عدد من النسب المشتقة من أسماء مناطق أو مدن عربية كذلك . ومنها iminei (يمينى) ويدل اللفظ على نوع خاص من الأحذية يعتبر أصلها في اليمن و bagdadie (بغدادى) الذى يدل على أسلوب معين في طلاء المباني يتشابه مع الطلاء الذى كان يستخدم في بناء البيوت ببغداد وغيرها . وفي أغلب الحالات أصبحت هذه النسب أسماء في الرومانية .

وليست الألفاظ التي تسمى ظروفًا أو أدوات تعجب ليست في أغلب الحالات كذلك في العربية ، بل هي إما أسماء وإما مصادر وإما تركيبات لفظية ، فمثلا اللفظ hareci (حراج) بمعنى « صوت يستخدمه قائد بيع المزاد » و masala (ماشاء الله) بمعنى « أحسنت ، برفو

șaca, saftea, satîr, sidef, sofa, sufertas, șerbet, șiret, tabiot, tacîm, taman, talpiz, tertip, tiptil, vechil, zaiafet, zambila, zarzavat, zurliu.

وهناك ألفاظ أخرى تستخدم في اللغة الدارجة بصورة خاصة .

والجدير بالذكر أن عددا منها لا يزال يستخدم نتيجة للسعالي الجديدة التي حصل عليها في اللغة الرومانية ، مثل :

abraș, ageamiu, avan, berechet, bira, dandana, fudul, gealat, halat, hatîr, leafa, magazie

وهناك ألفاظ أخرى بقيت في اللغة نتيجة لدخولها في أمثلة لها استعمال واسع ، ومنها : hac, habar, halal, hatîr, naiba وغيرها .

ومن أهم الملاحظات أن هناك عددا من الكلمات العربية الأصل التي وصلت إلى رصيد اللغة الأساسي أي أنها تُعدّ بين الآلاف القليلة من ألفاظ اللغة الرومانية التي تعتبر أساس متن اللغة وهذه الألفاظ هي cafea, chef, chirie, hal كلمة خامسة - cîntar - التي نشك في أن أصلها عرى ولكنها دخلت بالمعنى

على الألفاظ الأصلية فقط ولا يشمل المشتقات المختلفة التي تكونت من هذه الألفاظ على التربة الرومانية ولا الأشكال اللهجية التي كانت متعددة في بعض الحالات . وتستخدم في الوقت الحاضر أغلبية هذه الألفاظ في لغة الكتابة ولكنها غير شائعة في الاستعمال العادي للغة .

إن عددا من هذه الألفاظ استخدم في قرون السيطرة العثمانية فقط وفي أغلب الحالات زالت في نفس الوقت بزوال الأدوات والمؤسسات والعلاقات التي كانت ترتبط بها .

إن كثيرا من الألفاظ التي حُللتها لا تزال تستخدم في عصرنا الحديث استخداما واسعا ، وهذه قائمة لها :

abraș, acaret, ageamiu, bina, celp, catifea, catran, chef, chibrit, chirie, ciorba, cusur, dandana, fes, fitil, fudul, furtun, gealat, get-beget, habar, hac, hal, halal, halat, halva, hamal, haram, hatîr, haz, hazna, huzur, leafa, liliac, macaz, magazie, magiun, mahala, mahmur, marafot, marama, meremet, mezat, mofluz, mosor, mucalit, mucava, musaca, mușama, mușteriu, naiba, năframa, oca, rachiu, rahat, ramazan, raft,

أما اللفظة *chirie* (كراء) فلها
تسعة مشتقات ويُعدُّ بعضها مهجورا :
الاسم *chiriaș* والاسم *chirigiu*
> ت. *kiragy* والفعل *închiria*
والمصدر *închiriere* والمفعول *închiriat*
والفعل *reînchiria* والمصدر *reînchiriere*
والفعل *subînchiria* والمصدر
subînchiriere

أما اللفظة *hal* (حال) فبالرغم من
أنه ليست لها مشتقات فلها استعمال جدُّ
واسع نتيجة لدخولها في عدد من الأمثال
الراسخة الاستخدام .

وفيما يخص اللفظة *cîntar* فلها ستة
مشتقات وكلها تستخدم بصورة خاصة
في لغة التجارة ، وهى اسم الحرفة
> ت. *cantaragiu*
والفعل *cîntări* والمصدر *cîntărire*
والمفعول *cîntărit* والصفة *recîntărit*
والصفة *recîntărit* .

إن كثيرا من الألفاظ التي ذكرناها
أعلاه دخلت في لغة الأدب نتيجة لظلالها

الموجود في اللغة الرومانية من اللغة العربية
بواسطة التركية وتسجل قواميس اللغة
الرومانية عددا من المشتقات التي اشتقت
من هذه الألفاظ إما باللغة التركية وإما
بالرومانية .

إن اللفظة *cafea* (قهوة) مثلا لها
ثمانية مشتقات في اللغة الرومانية :
الاسم *cafégi-başa* > ت .
kahvegi-başa والاسم *cafégiu* > ت.
kahveci والاسم *cafégioaica* والفعل
caféli والاسم *cafeluța* واسم المكان
> ت. *cafénea* واسم *kahvehane* واسم
المكان المصغر *caféneluța* والصفة *caféniu*

أما اللفظة *chef* (كَيْفَ) فلها
خمس مشتقات ولكنها تستخدم في اللغة
الحديثة استخداما واسعا إذ أن اللفظة
تدل في الرومانية على الاجتماع المصحوب
بالشراب والرقص ، والرومانيون مشهورون
بهذه الأفراح التي يَأْكُلُون فيها ويشربون
الخمر ويرقصون . وهذه المشتقات هي :
الفعل *chefălui* والصفة *cheffliu*
> ت. *keyfli* والفعل *cheffui* واسم
التصغير *cheffuleț* واسم التصغير *cheffușor* .

أن نشير إلى معانيها . إن الراغبين في بحث هذه الكلمات في إمكانهم أن يجدوا دلالاتها مسجلة في قواميس اللغة الرومانية . ولا نسجل في هذه القائمة كذلك إلا الشكل الأساسي لكل كلمة أى الشكل الذى يستخدم في اللغة الفصيحة أو الذى كان له أكبر انتشار في حالة الكلمات التى لا تستخدم في الوقت الحالى . ولانسجل الأشكال اللهجية الأخرى التى لها استخدام محلى أو محدود زمنياً رغم أنه في عدد من الحالات تكون هذه الأشكال أقرب من الأصل وتساعدنا في فهم التطور الدلالي . ولانتناول المشتقات الأخرى المكونة في اللغة الرومانية . ورتبنا الألفاظ في هذه القائمة حسب الحروف الأبجدية الرومانية .

البلاغية أو نتيجة لقوتها التعبيرية الكبيرة ، كما دخل عدد آخر منها في رصيد الألفاظ المهجورة للغة الرومانية والتي تخرج من مخفاهما وتستخدم لوصف وضع خاص من ماضى التاريخ .

ومن المفترض أن جزءاً من الكلمات العربية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية سوف يستمر استخدامها لمدة طويلة بعد إما نتيجة لأنه لا يوجد هناك مترادفات تنافسها وإما نتيجة للظلال الدلالية الجديدة التى اكتسبتها .

هذا ، ونقدم فيما يلى قائمة كاملة بالألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية ولأسباب من السهل فهمها نقتصر على الإشارة إلى الأصل العربى والوسيط التركى من غير

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية
عباء	عار
أبرش	علم
عقيدة	أما
عقارات	أمان
عادة	أمانة
خفيف	عرب
عجمى	عرض
عجم	عرض حال

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية
ascher(iu) asker عسكر	caid kayd قيد	
atlaz atlaz, atlas أطلس	caimacam ^o kaymakam قائم مقام	
avaet avait, avaid عوائد	caimea kayme قائمة	
avan havan خوان	calem kalem قلم	
bacal bakkal بقال	calfa kalfa خليفة	
bagdadie bagdadi بغدادى	calp kalp, kalb قلب	
batal battal بطال	canat kanat كنة	
băcan bakkal بقال	carar karar قرار	
bacan bakkam بقم	casap kasab, kassab قصاب	
becher bekâr بكر	cataif kataif قطائف	
belea helâ بلاء	catifea katifa قطيفة	
berechet bereket بركة ؛ بركات	catran katran قطران	
bidiviu bedevi بدوى	cavaf kavaf خفاف	
bina bina بناء	cavas kavas قواس	
budala budala بدلاء	căneala, cana kana حناء	
burnuz burnuz, burnus برنس	chebap kebap كباب	
cabul kabul قبول	chief kef, keiyf كيف	
cadiascher kadyasker قاضى عسكر	chelemet kelimet كلمة	
cadiu kady قاضى	cherem kerem كرام	
cafes kafas قفص	cherpedin kerpedin كلبتان	
cafea kahve قهوة	chesat kesat, kesad كساد	
caiafet kiyafet كيفية	chiabur kebir كبير	
	chiafir kyafir كافر	

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
دولة	devlet	devlet	كاتب	kyatib	chiatip
دخان	duhan	duhan	كبريت	kibrit	chibrit
دعاء	duva	duva	كيلة	kile	chila
أتباع	etba	ecpaia	غلاف	kîlîf, gylaf	chilîf
فرفرة	farfara	farfara	كراء	kira	chirie
فاس	fes	fes	كوب	kup, kub	ohiup
وسوسة	fesfese, vesvese	fesfesea	شربة	ciorba	ciorba
فيل	fil	fil	قنطار	kantar	cîntar
فضول	fudul	fudul	قمرز	kîrmîz	cîrimîz
خرطوم	hortum	furtum	قسط	kyst	cîştîu
جلاد	gellât, gellâd	gealat	القرآن	Koran	Coran
جمال	gomal	geamala	قبّة	kubbe	cubea
جامع	gami	geamie	كباب	kebâbe	cubeba
جلاب	gelep	gelep	قلعة	kula	cula
جراح	gerrah	gerah	قماش	kumaş	cumaş
جريمة	gereme	geremea	قصور	kusur	cusur
جدّ بجدّ	ged-bi-ged	get-beget	كسكس + كباب	kuş-kebap	cuşkebab
كافر	gâvur	ghiaur	قطنيّة	kutnie	cutnie
كرديّة	kurdiye	ghiordie	دهيّ	dahi	dahiu
جلّ	gul	giol	دائرة	daire	dairea
جبة	ğubbe	giubea	طنطنة	tantana	dandana
خبر	habar, haber	habar	دعوى	dava	dava
حقّ	hak	hao	دور	devir	dever

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
حوادث	havadis	havadis	خادم	hadım	hadım
هووى	havayi	havaiu	حاج	hagi	hagi
حوالة	havale	havalea	خائن	hain	hain
حوض	havuz	havuz	حال	hal	hal
هزل	haz, hazl	haz	حلال	halâl	halal
خزينة	hazine	hazna	خلعة	halat	halat
البيت	olbet, elbette	elbet	آلات	alat	halat
حكم	hüküm	hochim	حلفة	halka	halca
حورية	hurie	hurie	حلى	halva	halva
خرطوم	hortum	hurtum	حمال	hamal	hammal
خدمة	byzmet	buzmet	خنجر	hanger	hanger
حضور	buzur	huzur	حب	hap	bap
خفيف	affli, hafli	iffliu	خراج	haraci	haraci
إمام	imam	imam	حرام	haram	haram
يمنى	yemeni	iminei	حراج	hareci	harec
عناد	inat, inad	inat	خردل	hardal	hardal
عطر شاهی	ytri-sahi	indrus aim	حريم	hareh	hareh
أصناف	esnaf	isnaf	غاشية	hasa	hasa
علوفة	olefe, ülefe	leafa	غشاء	hasa	hasa
ليلك	leylak	liliac	خط	hatt	hat
لقمة	lokma	locma	حد	hat	hat
مقعد	makat	macat	خطأ	bata	hata
مقص	makas	macaz	مخاطر	hatir	hatir

اللغة العربية <	التركية <	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	الرومانية
مكتوب	mektup	مادة	madde	madea	madea
ملس	melez	معدن	meden	madem	madem
منزل	menzil	مخزن	magaza	magazie	magazie
مركز	merkez	معجون	magun	magiun	magiun
مرعى	mera	مغمور	magmuz	magmuza	magmuza
مرمة	meremet, meramet	محلة	mahalle	mahela	mahela
مرتبة	mertebe	محمود	mahmudiye	mahmudea	mahmudea
متاع	metah, meta	مخنور	mahmur	mahmur	mahmur
متراس	meteriz	ميدان	meydan	maidan	maidan
مزاد	mezat	منصب	mansup, mansip	mansub	mansub
منارة	minare	معرفة	marifet	marafet	marafet
ميراث	miraz	محرمة	mahrana	marana	marana
مصر	Misir	مرض	maraz	maraz	maraz
مفلس	muflus	مشعلة	masal	masala	masala
مسلم	moslim	مسد	masat	masat	masat
مزور	muzevvir	مسخرة	maskara	mascara	mascara
مبايعة	mubaya	ما شاء الله	masaallah	masala	masala
مكدم	mukadim	مطرة	matara	matara	matara
مقايضة	mukayese	معتوه	matuf, matuh	matuf	matuf
مقلد	mukallit	مزراق	mizrak	mazdrac	mazdrac
مكرمة	mukarreme	معزول	mazul	mazil	mazil
مقوى	mukavva	معاملة	mamele	mamular	mamular
مكالمة	mukaleme	مسجد	mecid	mecet	mecet

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
نقش	nakaşlık	nacaşlık	مكلف	mukellef	muhalef
نقد	nakt, nakd	nahı	مدير	mudır	mudır
نائبه	nayba	naiba	موذن	muezzin	muezin
نائب	naip, naib	naip	مفتي	mufti	moftiu
مشربة	meşrebe	nastıra	محافظ	muhafız	muhafız
نظر	nazar	nazar	محاصرة	muhaseere	muhaseera
ناظر	nazir	nazir	مهمات	muhimmat	muhemat
نعل + بند	nalbant	nalbar	مهر ، مهرور	muhur	muhur
نفر	nefer	nofer	مباشر	mubaşır	mumbaşır
نتيجة	netige	netegea	مرخص	muraşhas	murabaş
نصف	nisfiyet	nisfia	مساعدة	musaade	musaadea
نظام	nizam	nizam	مسقم	musakka	musaca
نوبة	nobet, nevbet	nobet	مسافر	musafir	musafir
نور	nur	nur	مصاحب	musahip	musaip
أفة	okka	oca	مسلم	musellim	muselim
ألماس	elmas	olmaz	مشتمع	muşama	muşama
رفت	raf	raft	مشاورة	muşavere	muşaverea
رجاء	reğa	ragea	مشير	muşır	muşır
رجال	rigal	rageal	مشتري	muşteri	muşteriu
راحة	rahat	rahat	متفركة	muteferrika	muteferica
راحة الحلقوم	rahatlokum	rahatlocum	مطبخ	mutbah	mutpah
رعايا	raya	raia	متولي	mutevelli	muteveliu
رمضان	ramazan	ramazan	نفقة	nafaka	nafaca

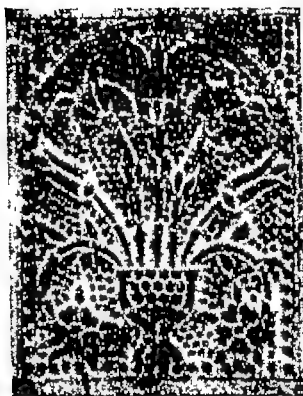
اللغة العربية <	التركية <	اللغة العربية <	الرومانية <	التركية <	الرومانية
ساطور	satir	رقم كاب	satir	satir	răcam
سائس + خانه	seysane	ركاب	saxana°	seysi	rechiab
سجادة	seggade	رديف	sagedea	redif	redif
سائس	seyis	وئيس	seiz	reis	raiz
سيل	sel	ربعة	sel	rubiye	rubia
سلام عليكم	selâmlik	رقعة	selamlıc	ruka	ruca
سلامة	selâmet	حرفة	selemet	rufet, hyrfet	rufet
سر + عسكر	serasker	ربع	seraschier°	rüb	rup
سر + حد	serhat	رسومات	serhat°	rusumat	rusumat
صدف	sedef	رشوة	sidef	rüşvet	ruşfet
سلاح	sileaf, silâh	رتبة	sileaf	rüte, rütbe	rutea
سميد	simit	صبر	simit	sabyr	sabur
سند [م]	senet	سقاء	sinet	saka	saca
صينية	sini	سقط	sinie	sakat	sacat
زقاق	sokrak	صدر أعظم	socac	sadrazam	sadrazan°
صفة	sofa	صافي	sofa	sâf	safi
سفرة	sofra	استفتاح	sofra	sefte, sifta	safta
سلطان	sultan	صحن	sultan	sahan	sahan
[صورة]	suret	سلام عليكم	suret	selamalek	salamalec°
سروجي	surugi	صلوات	surugiu	salavat	salavat
شبكة	şebeke	سحب	şabaca	salep	salep
شاه مات	şah mat	سلطنة	şah mat	saltanat	saltanat
شام	şam	مصادرة	şam (ä)	musadere	satara

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
تعليم	talim	talim	شرط	şart	şart
طمع + كر	tamakar	tamachiar ^o	شاطر	şatir	şatir
تمام	tamam	taman	شربات	şerbet	şerbet
تنور	tandur	tandur	شيخ	şeyh	şeyh
طرف	taraf	taraf	شريف	şerif	şerif
ضرب + خانة	tarabthane	tarapana ^o	شرة	şirret	şiret
تقسيم	taksim	taxim	زعفران	safran, zaferan	şofran
تكليفات	teklifat	teclifat	شروط	şurut	şurut
دلال	tellâl, dellâl	telal	دباغ	tabak	tabac
تلبيس	telbis	telpiz	طابية	tabiye	tabie
لتمنى	temenna	temenea	طبيعة	tabbiat	tabiet
ترجمان	tergeman	tergiman	طاقم	takim	taçim
دار صناعة	tersane	tersana ^o	تقليد	taklit, teklid	taclit
ترتيب	tertip	tertip	تقرير	takrir	taçir
تذكرة	tezkere	teşcherea	طحين	tahin	tahin
طباشير	tebeşir	tibişir	تخمين	tahmin	tahmin
تبديل	tebdil	tiptil	تحميص	tahmis	tahmis
ثلث	suls	tult	طائفة	taife	taifa
علماء	ulema	ulema	طائفة	taife	taifas
أمور	umur	umur	طائفة	taife	taifet
عشر	öşur	uşur	تعيين	tayin	tain
وقف	vakuf	vacuf	تلخيص	telhis	talhiş
وعدة	vâde	vadea	طالع	tâli	tali

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
زنبق	zambak	zambac	والدة	valide	validea
سمبل	sümbül	zambila	والى	valii	valiu
ضبط	zapt, zabt	zapt	وكيل	vekil	vechil
صراف	zaraf	zaraf	وزنة	vezine	veznea
ظرف	zarf	zarf	ولاية	vilâyet	vilaiet
ظريف	zarif	zarif	وزير	vezir	vizir
خضروات	zerzevat	zarzavat	ضابط	zabit	zabet
ذوق	zevk	zefchi	ذخيرة	zahire	zaharea
صوف	sof	zuf	ضيافة	ziyafet	zaiafet
ظلم	zulüm	zulum	ضعيف	zayif	zaif
			زعيم	zaim	zaim

NICOLAE DOBRISAN
Section de langues orientales
Université de Bucarest
Roumanie

نيقولا دوبريشان
أستاذ قسم اللغات الشرقية
جامعة بوخارست - رومانيا



دراسة

في حركية عين الكلمة الثلاثية في العربية ولهجاتها

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

توهم القدماء من علمائنا ضالة قيمة الحركات - وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفى هذا القول بعض المغالاة ، فللحركات خطورتها فى تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرفى ، والدور البنائى الوظيى . وتاريخ الحركات - جزء هام من تاريخ الكتابة العربية فى عصورها

الإسلامية ، غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه . ولقد مرت العربية فى تاريخها الطويل بإصلاحات فى هذه الحركات متنقلة بين النقط^(١) وغيره حتى استقرت على يد الخليل بن أحمد - رائد هذه المدرسة العلمية بإبدال طريقة النقط التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر ، وبرأس واو للدلالة على الضم^(٢) ، وما قام به الخليل فى هذا الشأن يومئذ إلى العبقرية العربية ، وأياً ما كان فالكتابة وحركاتها ترتبط بالعقيدة الإسلامية حيث حملت الدين الجديد على جناحيها شرقاً وغرباً ، بل كانت له خيراً من صليل السيوف ومشرعات الرماح ، كما ترتبط بالفن الهندسى الجمالى تارة أخرى .

(١) ألف فى النقط كثيرون من العلماء منهم أبو عمرو الدانى صاحب كتاب: النقط والشكل: مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ١٩٤٠ م . يتحدث فيه عن نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ومذاهب القراءة ، كما ذكر مواضع الحركات من الحروف ، والتنوين وتتابعه ، وعلامة السكون والتشديد ، وتحدث كذلك عن أحكام نقط ما نقص من هجائه ومازید فى هجائه بالنسبة للمصحف ...

(٢) وآخر هذه الإصلاحات فى الحركات حتى الآن ما قام به الدكتور خليل عساكر حيث أضاف خمس علامات مبتكرة وجعلها رموزاً لخمس حركات ترد فى نطق اللهجات العربية الحديثة ، وقد رأى اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ . وأرى أن هذا الإصلاح هو الرابع فى تاريخ إصلاح الكتابة .

شَاتِمُ فلان فلانا } بين المشاركة واسم
وَشَاتِمٌ فلان } الفاعل

سُقِفَ وَسُقِفَ } بين المفرد والجمع
ضُحِكَةُ وَضُحِكَةٌ } بين الفاعلية والمفعولية
شَرِبَ وَشَرِبَ } بين الوحدة والهيئة

فما رأيت من تفاوت أو تغاير في المعنى
الوظيفي فمرجه الاختلاف في الحركات
دون غيرها .

حركية العين وتنوع المعنى :

قد تتوالى الحركات والسكنات على
الصيغة ، وتتقاصف عليها فتألف نمطا
منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية^(١) ،
ويمكن أن نرى نموذجا لما وقع فيه التخفيف
بالإسكان في عين الكلمة ، ونرصد
دلالاته فإذا نظرت إلى :

(أ) ثَبَّتْ وَثَبَّتْ ، فالدلالة في الأول
على المثبت ، وفي الثاني على زيادة التمكن
في الوصف .

(ب) النَّفَضُ وَالنَّفْضُ ، والخَبِطُ
وَالخَبْطُ ، والطَّرْدُ وَالطَّرَدُ ،
فقد كثر عنهم مجيء المصدر

وفي العربية نجد أنماطا من الحركات
المختلفة من بسيطة ومزدوجة Diphthong
وممتولة ومخطوفة أو مختلسة إلى آخر
ما نراه في كتب العربية وعلوم القرآن ،
على أن الحركات يمكن أن ترتبط بنظرية
نحويي العربية الذين يرون أن الحركات
الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية
الكلمة في حالات الإعراب ، غير أنه
يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات
أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت
سابقا أو لاحقا ، مع بعض العوامل
الأخرى .

والحركات قصيرة وطويلة وليس
من فرق بينهما إلا في الكمية ، والأولى
قامت بدور المخالفة بين الصيغ التي
لا تفترق إلا في حركة محققة البناء
الوظيفي في الصيغة ، من ذلك :

حفرت وسَطَ الدار بئرا	} بين الظرفية والإسمية .	وحفرت وَسَطَ الدار بئرا
قاتل فلان فلانا	} بين المشاركة وبين الأمر	وقاتل فلانا

(١) انظر : الوحدات الصرفية ص ٢٥٢ (مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم) الأستاذ أحمد عبد العظيم .

على فعل ساكن العين ، واسم
المفعول منه على فعل مفتوحها^(١)
كما يمكن أن تختلف دلالة
الكلمة أيضا باختلاف أى
حركة فيها ولو كانت الحركة
غير السكون :

(١) فمن ذلك : قول ابن درستويه
« وقد يلتزمون أحد الوجهين
للفرق بين المعاني كقولهم :
ينفر - بالضم من النفار
والاشمزاز ، وينفر - بالكسر
من نفر الحجاج من عرفات^(٢) »
إلا أن هذه المفاهيم الدقيقة قد
تجمدت فيما بعد وزالت الحدود
بينها رويدا رويدا ، نخذ
مثلا قول الله تعالى : « ويهلك
الحرث والنسل^(٣) » فقد
روى هارون عن الحسن وابن
أبي إسحق وابن محيصن .
« وَيَهْلِك » بفتح الياء واللام
ورفع الكاف . الحرث والنسل :

رفع فيهما ، وابن مجاهد
يغلظ القراءة ، وابن جني
يتصمدى للدفاع عنها معتمدا
على دربته الذهنية وأقيسته
الصناعية إذ يقول : لعمري
إن ذلك ترك لما عليه اللغة....
ثم ينقل ابن جني عن أبي بكر
(أنه كان يذهب في هذا إلى
أنها لغات تداخلت^(٤)) . وكان آ
على اللغويين أن يبحثوا في
المعنى أولا بمعنى أن الفعل هلك
- إذا جاء في قبيلة من باب
ضرب ، وفي أخرى من باب
علم - هل يكون المعنى واحدا
فيهما أم يختلف باختلاف
الصيغة ؟ وكان عليهم أيضا
أن يفتشوا عن الباب الأصلي
لهذه المادة والفرعي منها ، وهل
الأصلي يتساوى مع الفرعي
في المعنى أو يزيد أو ينقص
أو ينحرف معناه قليلا أو
كثيرا ؟ .

(١) المحتسب لابن جني ٢ / ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) المزهر للسيوطي ١ / ٢٠٨ (٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) المحتسب ١ / ١٣١ خط بالتيمورية .

التفريع والتفريع في عين الكلمة :

معلوم أن الثلاثي المجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضمها ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تعتبرهما تغيرات عدة لا سيما في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أثناء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده في :

١- فعل : بكسر العين سواء كانت اسماً أو فعلاً حيث ينطق بها (فعل) بتسكين العين مثل : علم تقول فيه : علم ، وفي كتف : كتف ، وفي فخذ : فخذ ، ويظهر أن هذه التغيرات أو التفريعات تختص باللهجة تميم ، على حين لهجة الحجاز أبقتها على حالها بدون تفريع ، يقول الرضي « وجميع هذه التفريعات في كلام بني تميم ، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون^(٢) » وعزاه سيبويه « إلى بكر بن وائل وأناس كثير من

(ب) وقد كان لدى الفراء شفافية في لحظ هذه الظلال الدقيقة بين الضم والفتح ، وذلك في كتابه « المذكر والمؤنث^(١) » قال الفراء : أكثر القراء على فتح القاف في قوله تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » وقرأ أصحاب عبد الله : قرح - بالضم . وكان القرح - بالضم ألم الجراحات وكان القرح - بالفتح الجراحات بأعيانها . على أن كثيراً من المتأخرين يملكون على مثل هذا ، ولا يكادون يقفون تلك الوقفة الرائعة التي وقفها الفراء حين نظر إلى الصيغة من الجانب الفني الدلالي لا الجانب الميكانيكي الصناعي الذي ينحصر في استبدال حركة بأخرى على حين تبقى الدلالة في الصيغة راكدة هامة .

(١) ٢٦ ، وانظر اللسان ٦ / ١٤٨
(٢) شرح الشافية : ابن الحاجب : ١ / ٤٠ ط حجازي .

- تميم^(١) « وبلاستقراء وجد أن صيغة :
(فعل) بكسر العين يتفرع عنها ما يلي :
(١) تسكين العين : مثل فعل .
(ب) تسكينها بعد نقل حركتها إلى
الفاء فتصير (فعل) نحو :
شهد ، فخذ ، في حلقى العين ،
وكتف ، وكبر ، في غير الحلقى .
(ج) التفرع الثالث : فعل :
بكسرتين وهذا التفرع يختص
بما كان حلقى العين نحوضحك .
هذه هي تفرعات (فعل)
بكسر العين .
(١) فعل : بكسر العين وتفرعها
إلى فعل بسكون العين .
ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها
هي سبيلنا في إثبات كل قضية فإليك
ما يلي :
- ١- كلمة على وزن نبتة وهي الفصحى
وهي لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ،
وكلمة على وزن (سدة) ، وعلى وزن
(تمرة) وهي لغتا تميم^(٢) . ويقول
المصباح بأن « الكلمة » تخفف على
لغة بنى تميم^(٣) . وفي قوله تعالى : « قل
يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء^(٤) »
قرئت كلمة - على وزن خمربة ، وكلمة
على وزن (سدة)^(٥) .
٢- وفي الآية « وكأين من نبي قاتل
معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما
أصابهم^(٦) » . قرأ عكرمة وأبو السمال :
وهنوا بإسكان الهاء^(٧) .
٣- يرى الأزهري أن (الوسمة)
بكسر السين وهو كلام العرب - وعزى
كسر السين إلى لغة الحجاز^(٨) ، وقال
الجوهري تسكينها لغة^(٩) . ولا شك
أن التسكين تفرع عن الكسر وأرجح
أن التسكين لتميم .

(١) سيبويه : ٢ - ٢٥٧

(٢) ابن هشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١

(٣) المصباح : ٨٣١/١ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ١٩/١ ، اللسان : ٤٢٨/١٥

(٤) سورة آل عمران آية : ٦٤ (٥) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢

(٦) آل عمران آية : ١٤٦ (٧) البحر : ٧٤/٢

(٨) المصباح : ١٠٢٤/٢ (٩) اللسان : ١٢٢/١٦

٤- في قوله تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة »^(١) فقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء - وهي لغة تميمية^(٢) - كما عزاها في المحتسب إلى تميم^(٣) أيضا . ولا شك أن هذا التسكين في الظاء للتخفيف من نظرة - بكسر الظاء .

٥- وما رواه ابن السكيت من أنه سمع أعرابيا من بني تميم يقول : « نَعَمْ »^(٤) وقرأ ابن وثاب قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٥) بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان وتخفيف فعل لغة تميمية^(٦) .

ويظهر أن هذا التخفيف لم يكن خاصا بتميم بل شمل كثيرا من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه في كتابه « أن من

العرب من يقول : نَعَمْ الرجل - في نعم - كان أصله : نَعِم ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل^(٧) ، وما يزيد هذا الدليل قوة ما روى عن أبي هريرة وعاصم الجعدي في قراءتهما « مَلِك يوم الدين »^(٨) في « مالك يوم الدين »^(٩) على الصفة المشبهة . وقد قرأ بها أيضا عبد الوارث عن أبي عمرو^(١٠) ، كما عزيت هذه القراءة في مكان آخر لربيعة ، واستشهد لها بقول الأعشى : فقال للملك أطلق منهم مائة رسلا من القول مخفوضا^(١١) ومارفعا

وإذا كانت الظاهرة واحدة في بكر بن وائل وربيعة ، فذلك لأن العلاقة النسبية بينهما قائمة ، إذ أن بكرا هذه - كما ترى كتب الأنساب - بطن من ربيعة^(١٢) .

(٢) ٣٤٠/٢ من البحر المحيط ، ومختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ١٧

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٠

(٣) المحتسب : ابن جني : ١٦٤/١ مخطوطة بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(٤) لإصلاح المنطق : ١٠٥ (٥) سورة الرعد آية : ٢٤ (٦) البحر المحيط : ٣٨٧/٥

(٧) اللسان : ٦٦/١٦ (٨) البحر : ٢٠/١

(٩) سورة الفاتحة آية : ٤ (١٠) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١

(١١) الاشتقاق : ١٧ ط وستنفلد . (١٢) نهاية الأرب : القلقشندي : ١٧٨

حركاتها إلى الباء ، كما قيل : لكبد : كبد .

قال الطبري في تفسيره « وهي من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة - وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم ^(٢) .

٢- وقرأ الجمهور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ^(٣) بكسر النون وسكون العين وهي أكثر استعمالاً ^(٤) ، وأصلها : نَعِم ، فسكنت العين ثم نقلت حركاتها إلى النون قبلها فصارت (نَعِم) .

٣- وفي المخصص أنه سمع من العرب من يقول « وَرَكَ ، و - وَرَكَ ، وَكَيْفَ وَكَيْفَ ^(٥) ، وَلَجِبَ وَلَجِبَ ^(٦) .

والغرض من هذا التفريع المعزو إلى تميم هو كراهة الانتقال من الأَخَف إلى الأَثْقَل . ولهذا آثرت تميم تسكين العين في هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

وإذا كان هذا التسكين جائزاً فإننا نرى بعض المتزمطين يسمونه بعدم الصحة مستدلين بقول الشاعر :

وأحفظ من أخى ما حفظ منى

ويكفيني البلاء إذا بهـلموت

فسكن حفظ - وهو غير سائغ على رأيهم ! ! والصحيح أنه جائز في سعة الكلام وليس من الضرورة في شيء .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة (فَعِل) إلى (فَعُل) بسكون العين .

وقد تتفرغ صيغة (فَعُل) بكسر العين إلى (فَعُل) بسكونها ، وذلك في لهجة تميم ، ومن ذلك :

(ب) فَعُل : بكسر العين وتفريعها إلى فَعُل بكسر الفاء ، وسكون العين .

١- وذلك قوله تعالى « بثسما اشتروا به أنفسهم » ^(١) فأصل بثُس : بَيْس من البؤس ، سكنت همزتها ، ثم نقلت

(٢) تفسير الطبري : ٢/٢٣٨ دار المعارف .

(٤) البحر : ٥/٣٨٧

(٦) تفسير الطبري : ٢/٣٣٨ دار المعارف

(١) سورة البقرة آية : ٩٠

(٣) سورة الرعد آية : ٢٤

(٥) المخصص : سفر ١٤ ص : ٢٢١

الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى تابعا له في الحركة ، مع أن حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في « يد مع » لثقل الحلقى وخفة الفتحة ، فأتبع فاؤه لعينه في الكسر^(٣١) . وعلل سيبويه لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا من أن تلتبس صيغة (فعل) بفتح العين مع صيغة (فعل) بكسرها ، فلما لزمّت العين الكسر ، وهى حرف حلق ، وفى ذلك شئ من الثقل - أتبعوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل في جهة واحدة ، فيكون العمل من وجه واحد^(٣٢) .

٢- فَعَل : بفتح الفاء وضم العين وتفريعها إلى فَعَل : بفتح الفاء وسكون العين . وقد جاء التفريع فيها بسكون العين تخفيفا ولا يكون ذلك إلا عند بنى تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به في قوله

وقد تتصرع صيغة : فَعِل إلى فَعِل ، بكسر الفاء والعين وهذا التفريع لا يكون إلا في الحلقى العين .

(ج) فَعِل : بفتح الفاء وكسر العين وتفريعها إلى فَعِل : بكسر الفاء والعين .

وهذا التفريع لا يكون إلا في الحلقى العين كنِعم وبئس : فتقول فيها على التفريع نعم وبئس ، بكسر الفاء والعين في كل منهما والأصل فيهما ، نعم وبئس بفتح فكسر ، وقد عزا صاحب التوضيح الصيغتين نعم وبئس ، بكسر الحرفين الأولين إلى تميم حيث قال « وكسرهما عند بنى تميم ، ولا يجيز الحجازيون فيهما إلا الأصل »^(٣٣) ، وقد ساق سيبويه عدة صيغ على فعل : بكسر الفاء والعين منها : رجل لعب : بكسر الفاء والعين ، ورجل محك ، وهو ماضغ لهم : بكسر الفاء والعين ، وهذا رجل وعك^(٣٤) .

ولقد علل الرضى هذا التفريع في تلك

(١) التصريح والتوضيح : ٩٥/٢

(٢) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، شرح السيرافى على سيبويه : ٥-٣١٣ مخطوط بالتميمورية .

(٣) شرح الشافعية : ٤٠/١

(٤) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، وانظر : المختص لابن سيده : سفر : ١٤ ص ٢١٣

بكر بن وائل في كتاب الله أذكر منها :

(١) قال تعالى : « حتى إذا ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت »^(٨)

قرأ زيد بن علي « بما رحبت »

بسكون الحاء^(٩) .

(ب) وقال تعالى : « كبرت كلمة

تخرج من أفواههم »^(١٠) .

فقد قرىء (كبرت) بسكون الباء -

وهي لغة تميم^(١١) .

ويجوز في هذا التفريع أي صيغة

« فَعَلَ » أن تنقل ضمة عينه إلى فائه

فيكون على وزن (فُعَلَ) بضم الفاء

وتسكين العين - وعليها قرىء قوله تعالى :

« وحسن أولئك رفيقا »^(١٢) « وحسن »

بضم الحاء وسكون السين ، والذي حدث

في تلك الصيغة : أن حركة السين وهي

الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها - وقد

عزى هذه الصيغة المنقولة حركتها -

تعالى : كبرت كلمة تخرج من أفواههم »^(١١)

بسكون الباء في (كبر) - وعزاها

أبو حيان إلى تميم^(١٢) . كما قرأ أبو السمال

قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »^(١٣)

بسكون السين - وعزاها أبو حيان إلى

تميم كذلك^(١٤) : ونسب ابن خالويه في

البدیع هذه القراءة إلى قعنب^(١٥) .

على حين لغة الحجاز لا تفرع في تلك

الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة

« وحسن » بفتح الفاء وضم العين وهي

الأصل ، قال أبو حيان : وهي لغة الحجاز^(١٦) ،

ويظهر أن التفريع في تلك الصيغة لم يكن

خاصا بتميم وحدها - فقد شمل بقاعا

أخرى من الجزيرة العربية ، ومما يؤيد

هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسكين

في العين لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير

من تميم ، ومثل لذلك بقوله : « عَضَدَ

في عَضَدَ وفي كَرُمَ الرجل : كرم^(١٧)

بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى للهجة

(٢) البحر : ٩٧/٦

(٤) البحر : ٢٨٩/٣

(٨) سورة التوبة آية : ١١٨

(١٠) سورة الكهف آية : ٥

(١٢) سورة النساء آية : ٦٩

(١) سورة الكهف آية : ٥

(٣) سورة النساء آية : ٦٩

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧

(٦) البحر : ٢٨٩/٣ ، الدر اللقيط : ٢٩٠/٣

(٧) الكتاب : ٢٥٧/٢

(٩) البحر : ٢٤/٥

(١١) البحر : ٩٧/٦

العربية - فالأخطل هذا من تغلب ، وتغلب
وبكر ابنا وائل من ربيعة . وفي الكامل
للمبرد نجد شيئا من التفريع في صيغة
فعل بضم العين ، وتحويلها إلى فعل
بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطان :
من الأزد إن الأزد أكرم معشر
يمانية طابوا إذا نسب البشر^(٤)
ويعقب المبرد على البيت السابق بقوله :
وينشد :
(يمانية قربوا إذا نسب البشر)
بسكون الراء .

يريد : قريبا - بضم الراء . قال
المبرد : « وهذا جائز في كل شيء مضموم
أو مكسور إذا لم يكن من حركات
الإعراب : تقول في الأسماء : في فخذ :
فخذ وفي عضد : عضد بسكون العين ،
وتقول في الأفعال : كرم عبد الله بسكون
العين أى كرم »^(٥) ، وقول المبرد « وهذا
جائز . . . » دليل على أن هذا ليس
بابه الضرورة ، بل يكون في سعة الكلام .

أبو حيان « إلى لغة بعض قيس »^(١) -
ويظهر أن النقل في الحركة هنا لا يصح
إلا إذا لمعنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير
في اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا
وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضى
« من أن فعل - الذى فيه معنى التعجب يقال
فيه فعل^(٢) » بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وحُبَّ بها مقتولة حين تُقتل »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى
التعجب^(٣) .

وأصل : حُبَّ : حَبَّ - بفتح العين ،
ثم حول إلى فَعُلَ : بضم العين لإرادة
المدح والتعجب فصار « حبيب » بضم
العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد
حذف حركتها فصار : حُبَّ بضم ففتح .

وفي نسبة البيت السابق إلى الأخطل
دليل يفيدنا في قضيتنا ، وهو أن هذا
التفريع في الصيغ لم يكن في تميم فقط ،
ولكنه شمل أجزاء كبرى من الجزيرة

(١) البحر : ٢٨٩/٣

(٢) شرح الشافعية لابن الحاجب : ٤٣/١

(٤) الكامل : ١١/١٢ ط حجازى ١٣٦٥

(٣) شرح الشافعية : ٤٣/١

(٥) الكامل المبرد : ١١٤/٢

فقد قرأ قراء عديدون بسكون الهاء من الآيات السابقة منهم أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر^(٤) ، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسكين إلى نجد ، كما نسب التحريك فيها إلى الحجاز^(٥) .

والسبب في هذا التسكين عند نجد أو تميم أن (فَهُوَ) على وزن (فعل) فكما جاز أن نسكن عَضُدًا - فتكون (عَضُد) ، جاز تسكين الهاء من (فَهُوَ) التي برزن (فَعُل) بضم العين فتصير (فَهُوَ) (وهو) ، بسكونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسكين كان كثيرا شاملا في تميم في الأسماء والأفعال .

ومما جاء من التفريع على تلك الصيغة قوله تعالى « فخر عليهم السقف »^(٦) بسكون القاف وهي قراءة الجمهور ، وقد عزاها أبو حيان إلى تميم^(٧) ، وهي مخففة من « السقف » بضم العين ، كما عزا صاحب البحر صيغة « عَضُدًا » في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين

ولمّا كان القصد من هذا التفريع - هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعُل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أى بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم . ولو لم يسكنوا العين بل تركوها على الضم لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأخف وهي الفتحة - إلى الأثقل منه - وهي الضمة ، ولهذا سكنت الضمة في تفريعه ، لأن السكون أخف . ويظهر أن التسكين كما كان في الكلمة الواحدة عند تميم ، شمل الكلمتين أيضا ، ويظهر هذا في غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست في وسط الكلمة - كما تقدم من الأمثلة - بل ينظر إليها بجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهم يسكنون هاء - هو وهي ، إذا سبقتهما واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى : « وهو بكل شيء عليم »^(٨) ، « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »^(٩) ، « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان »^(١٠)

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧١

(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢

(٦) سورة النحل آية : ٢٦

(١) سورة البقرة آية : ٢٩

(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٤

(٥) المرجع السابق .

(٧) البحر : ٤٨٥/٥

في لهجة تميم وبكر بن وائل ، أما لهجة تهامة أو الحجاز فقد قرأ بها الحسن في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عُصدا » بضميتين ^(٧) .

٣- تفریع : « فُعل » بضم الفاء وكسر العين إلى « فُعَل » بسكون العين .

وهذا الضرب خاص بالفعل المبني للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل في الماضي يضم أوله ويكسر ما قبل آخره في البناء للمجهول لكنه يحول إلى صيغة تفرعية أخرى عند تميم وبكر بن وائل وتغلب - وهي صيغة : « فعل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١- عزى سيبويه إلى أبي النجم قوله :
(لو عُصْر منه البان والمسك انعصر ^(٨))
بضم العين وسكون الصاد - وأصلها :
عصر - بالبناء للمجهول .

عصدا ^(١) إلى تميم ^(٢) ، وهذه اللغة قرأ عيسى ^(٣) ، وفي المصباح عزيت إلى تميم وبكر بن وائل ^(٤) ، على حين عزا ابن منظور ناقلا عن أبي يزيد أن صيغة « العُصْد والعُجْز - بضميتين - في لغة تهامة ^(٥) » وفي المصباح أن تلك الصيغة السابقة معزوة إلى الحجاز ^(٦) ، وهذا يشير إلى أن التفریع لم يكن في الحجاز . ويشير إلى معنى آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحل مكان بعض في نظر اللغويين والرواة ، فالصيغة عزيت في كتاب إلى تهامة ، وفي كتاب آخر إلى الحجاز ولا شك أن الصيغة الأصلية هي : عَصْد - بفتح فضم - ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الصاد ، فصارت : عَصْد : بسكون الصاد - وأما نطقها في تهامة عَصْد : بضميتين فهي صورة متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من عَصْد - واللغة في سيرها تميل إلى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات في تلك الكلمة

(٢) البحر : ١٣٧/٦

(٤) المصباح : ٦٣٥/٢

(٦) المصباح : ٦٣٥/٢

(١) الكهف آية : ٥١

(٣) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ٨٠

(٥) اللسان : ٢٨٣/٤

(٧) المصباح : ٦٣٥/٢

(٨) الكتاب لسيبويه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصريح على التوضيح : ١٩٤/١ ، المختصر :

ص ١٤ : ٢٢٠

« فَعَلَ » في بكر بن وائل ، وفي « تغلب »
الذي هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفریع
عند تميم أيضا ^(١٧) .

وعلى الرغم من أن التفریع هذا في تميم
إلا أن الرضى المحقق - أخطأ عندما نسب
أبا النجم - إلى تميم ^(١٨) في بيته السالف -
ولعل هذا النسب الخاطيء جاء له من شبهة
موداها : أن هذا التفریع عند تميم أيضا .

ويمكن أن تعلل صيغة التفریع السابقة
بأنهم كرهوا في « فَعَلَ » - الكسرة بعد
الضمة . فسكنوا هذه الكسرة حتى
لا ينتقل اللسان إلى الثقل ، ولعل صاحب
المخصص هذا ناقلا عن سيبويه قوله :
« كرهوا في « عُصِر » الكسرة بعد
الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء في
مواضع ، ومع هذا فإنه بناء ليس من كلامهم
إلا في هذا الموضع من الفعل فكروها
أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال ^(١٩) »

٢- ورد في كتاب المخصص استشهاده
بقول الشاعر : (ونفخوا في مدائنهم
فطاروا ^(١)) بسكون الفاء ، ولم يعز
البيت إلى قائل ، وفي نسخة السيرافي
المخطوطة ^(٢) على سيبويه عزى هذا البيت
إلى القطامي ، وكذلك في اللسان مادة
(ن ف خ ^(٣)) .

٣- جاء في كتاب « العققة والبررة »
ما عزى إلى معبد بن قرط العبدى في
هجاء أمه من قوله :

تلتهم الوسق مشدودا أشظتته ^(٤)
كأنما وجهها قد سُفَع بالثار

بسكون الفاء - في « سفع » .

وإذا بحثنا في كتب الطبقات والأنساب
وجدنا أن أبا النجم صاحب البيت الأول
من بكر بن وائل ^(٥) من بني عجل . وأن
القطامي : هو عمير بن شيم من بني تغلب ^(٦)
فيكون هذا التفریع من « فَعَلَ » إلى

(١) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

(٢) وفي ديوان القطامي المطبوع سنة ١٩٦٠ ص : ١٤٣ « ونفخوا » .

(٣) كتاب العققة والبررة : لأبي عبيد معمر بن المشي : ٣٦٥ من نوادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى ، لجنة

التأليف والترجمة : ١٣٧٣ - ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .

(٤) الشعر والشعراء : ٢٣٢ ط المعاهد ، المخصص : س : ١٤ ص : ٢٢٠

(٥) الشعر والشعراء : ٢٧٧ ط المعاهد .

(٦) شرح السيرافي على سيبويه : ٥ - ٣٢٣ ، كتاب سيبويه : ٢ - ٢٥٧ - ٢٥٨

(٨) شرح الشافعية : ١ - ٤٣ ، وانظر الهامش . (٩) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

خفيف فلا داعى للخروج عنه ، قال
سيبويه : وأما ما توات في الفتحان ،
فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون في
جمل (بفتح الميم) جمل (بسكونها)^(٥) .

وفي ركاب سيبويه يسير السيراني^(٦)
وابن جنى حيث يقول في محتسبه معلقا
على قراءة أبي الشمال وأبي المتوكل وأبي
الجوزاء (حتى يلج الجمل^(٧)) : وأما
الجمل - بالسكون فبعيد أن يكون
مخففا من المفتوح لخفة الفتحة^(٨) .
وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه في
مذهبه من مثل السيراني وابن جنى وكثرة
كثرة من النحاة غيرهم قد جانبهم
الصواب أو جانبوه لورود ذلك في القرآن
المقدس وفي التراث العربى وأمثلة ذلك
من القرآن :

(أ) قراءة جحفلة من القراء (حتى
يلج الجمل في سم الخياط) بسكون
الميم ، وذلك تخفيف من الفتح .

وإذا التفتنا إلى كتاب الله - التمسنا
في قراءته شواهد لهذا التفريع الذى جاء
على لهجة تميم ، وبكر ، وتغلب :

١- قرأ أبو الشمال قوله تعالى « ولعنوا
بما قالوا^(١) » بسكون العين ، ولقد حسنت قراءة
أبي الشمال لأن الكسرة وقعت بين ضمتين^(٢) .

٢- كما قرأ مسلمة بن محارب « جزاء
لمن كان كفر^(٣) » بإسكان العين في « كفر » .

٣- وجاء في شرح السيراني مثل من أمثال
العرب وهو : لم يحرم من فُصد له^(٤) :
بإسكان الصاد وأصلها : فصد - بالبناء
للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون
في المثل - وهى ولا شك صيغة تفريعية
من المبني للمجهول .

تلك هى أهم التفريعات وكلها في تميم
ومن لف لفهم من بكر بن وائل وتغلب
وربيعة .

٤- أما صيغة (فَعَل) بفتح الفاء
والعين فلا تفريع فيها ؛ لأن الفتح

(١) المسألة : ٦٤

(٢) البحر : ٣-٢٢٣

(٣) سورة القمر آية : ١٤

(٤) شرح السيراني : ٥-٣٢٣ مخطوط .

(٥) شرح السيراني على سيبويه : ٥-١٦ خط بالتيمورية ، الكتاب ٢-٢٥٨ ، ٢-٢٨١

(٦) شرح السيراني على سيبويه ٥-١٦ (٧) الأعراف : ٤٠ وانظر المحتسب في نفس السورة والآية .

(٨) وانظر كذلك شواهد الشافية : ١٨

أن التسيكيس في ذلك تخفيف
من التحريك .

(هـ) ومن تخفيف المفتوح ما في
البديع لابن خالويه في رواية
عن الكسائي أنه قرأ في الآية
٩٢ من النساء : « ومن يقتل
مؤمنا متعمدا » ساكنة التأني .
وقد حكم النحاة على ذلك
القراءة بأنها في غاية الشذوذ
والوهن ، ثم يتراجعون قليلا
عن صلفهم فيقولون : (وسهله
مجاورة الفتحة للضممة) وكان
القراءات القرآنية لا تقبل
إلا بمثل هذا التعليل .

ومن التراث :

(أ) وقد ورد تخفيف المفتوح في
قول الأخطل النصراني :
وما كل مبتاع ولو سلف صفقه
براجسع ما قد فاته برداد^(٧)

(ب) وقرأ أبو عمرو بن العلاء
البصري التميمي وأحد القراء
السبعة « ويدعوننا رغبا ورهبا »^(١)
بالإسكان ، ورواه عنه هارون
عن أبي عمرو^(٢) ، وبهذا يكون
قد خفف أبو عمرو المفتوح .

(ج) كما خففت الجماعة المفتوح
في « كاننا رثقا »^(٣) وقراءة
الحسن وعيسى الثقفي وأبي
حيوة (رثقا) بالفتح^(٤) .

(د) وفي معاني القرآن للفراء عند
قوله تعالى « سبع سنين دأبا »^(٥)
يقول الفراء « قرأ بعض قرائنا
- دأبا - فعلا . وكذلك بكل
حرف فتح أوله وسكن ثانيه
فتثقيله جائز إذا كان ثانيه
همزة أو غينا أو عينا أو حاء
أو خاء أو هاء^(٦) » والنحاة
يرون أن الفتح والسكون في
ذلك لغتان ، وكأنهم ينكرون

(٢) شواذ القرآن : ٩٢ لابن خالويه .

(٤) المحاسب : ٢-٢٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٦) معاني القرآن للفراء : ٢-٤٧ .

(١) الأنبياء : ٩٠ .

(٣) الأنبياء : ٣٠ .

(٥) يوسف : ٤٧ .

(٧) سلف صفقه : وجب بيعه . برداد : أمم من الاسترداد .

السابق : وهو أن يكون مخففاً من فعل - مكسور العين ، ولكنه فعل غير مستعمل إلا أنه في تقدير الاستعمال وإن لم ينطق به . وهذا تمحل عجيب من جنى وابن جنى ثم ينقل عن سيبويه قوله (وهذا التسكين لم نره في المفتوح البتة)^(٣) وقد وضعت الحق في نصابه فظهر ترديدهم في الخطأ ، ومجانبة الصواب .

مواقف متشابهة :

وموقف النحاة السابق وتزمتهم حتى في فهم كتاب الله يذكرني بموقفهم في إنكار بعضهم إسكان حركة الإعراب ، حيث يرى كثير منهم عدم حذفها مطلقاً في الشعر وغيره ، وهم محجوجون بقراءات القرآن الموثقة ، فقد حذفت الحركة في الفعل المضارع وقرأ أبو عمرو بحذف الحركة الإعرابية في « ينصركم » في آل عمران والملك ، و « يأمركم » و « يأمرهم » و « تأمرهم » و « يشعركم » في الأنعام ١٠٩ ، « ويعلمهم » في البقرة ١٢٩ وقد عزي حذف الحركة الإعرابية

يقول البغدادي في شرح شواهد الشافية^(١) : أصله سلف بفتح اللام .

(ب) وقول الراجز :

على محالات عكسن عكساً

إذا تسداها طلاباً غلسا

يريد غلسا بالفتح .

(ج) ونقل البغدادي عن كتاب

الضرائر لابن عصفور قول

الشاعر :

وقالوا ترابي فقلت صدقتم

أبي من تراب خلقه الله آدم

يريد : خلقه

(د) وقول أبي خراش :

ولحم امرئ لم تطعم الطير مثله

عشية أمسى لايبين من البكم

يريد : من الهكم .

وابن جنى في شرح التصريف للمازني^(٢)

يرى أن تخفيف المفتوح ضرورة ، وعند أصحابه من الشاذ ، ثم يرى رأياً آخر في توجيه : سلف - في قول الأخطل

(١) ص ١٨ فابمدها .

(٢) ٢١ - ١

(٣) شرح تصريف المازني ١/ ٢٢ لابن جنى .

فكان ظاهرة الإسكان قد زحفت من
تيم حتى اقتضحت دوائر الحجاز ، فأصبح
الإسكان لا يقل شأنًا عن الحركة الإعرابية
خذ مثلاً - يؤكد ما سبق - على سبيل المثال
لا الحصر ، قراءة نافع (والأذن بالأذن)
٤٥ من المائدة . بإسكان الذال . ونافع
حجازي قرأً بالإسكان كما ترى ، مخالفًا
بيئته التي لا تسكن .

والغرض من ذهاب حركة الإعراب هو
عامل الخفة والتيسير ، وقد فهمنا فيما
تقدم أن نمياً وجيرانها يخففون عين الكلمة
بإسكانها ، فإذا حذفوا الحركة الإعرابية
فإنهم يعملون ذلك تمشياً مع نظامهم
في التيسير والتخفيف ، ومع كل هذا
نرى :

١- أن المبرد يزعم بأن قراءة أبي عمرو
لحن^(٥١)

٢- وسيبويه يحمل ظاهرة الإسكان
في قراءة أبي عمرو على الاختلاس .

في القراءات السالفة إلى بني أسد ونميم
وبعض نجد^(١) ، كما حذفتم الحركة
الإعرابية في الأسماء^(٢) ، وأيلتها القراءات
القرآنية الموثقة الأمينية ، وكما جاء
حذف الحركة الإعرابية في النثر ورد
كذلك في الشعر^(٣) . وهذا يشير إلى أن
المكان السامي الذي كان لحركات الإعراب
قد هبط ، إذ الإسكان قد بدأ ينازعها
في مكانها ويستولي على أمكنتها ، وكيف
لا يكون ذلك وقد صار الإسكان سمة
لهجية لقبائل تتم وأسد وغيرها من قبائل
نجد ، وقرأ على تلك الظاهرة أبو عمرو
التميمي ، بل يظهر أن الإسكان قد زحف
على الأماكن التي تسيطر عليها الحركة
الإعرابية ، وما يؤيد وجهة نظري ما جاء
في النثر « وقد قرأ بإسكان لام الفعل ...
محمد بن عبد الرحمن بن محيصة »
وإذا أدرنا البحث في كتب الطبقات
لنعرف إلى أي بقعة ينتمي هذا الذي
قرأ بالإسكان - أفادنا ابن الجزري في
طبقاته « بأنه قرشي ، ومن قرأ مكة^(٤) »

(١) التحف فضلاء البشر : ١٣٦ وانظر إبراز المعاني . ٢٣١ والنشر ٢ - ٢١٢

(٢) النشر ٢ - ٢١٤ ، والبحر ٢ - ١٨٨ ومختصر شواذ القرآن ١٤

(٣) شرح السيراني ١ - ٢٦٧ والمصانص ١ - ٧٤ دار الكتب ، وسيبويه ٢ - ٢٩٧

(٤) طبقات القراء ٢ - ١٩٧ (٥) البحر ١ - ٢٠٦

أن يقرلرا شيئا في قراءة أبي « وذروا
ما بقى من الربا^(٣) » بكسر القاف
وسكون الياء^(٤) .

على أن السكون عنصر له قيمة يمكن
أن تقارن بقيم الحركات فمثلا : هو
يمثل الإمكانية الرابعة وهي الخلو من
الحركة ، وله وظيفته وقيمه في التركيب
المقطعي ، وله سمة هامة موسيقية وذلك
في التفعيلات العروضية وله قيمة إيجابية
كذلك في النظام الفنولوجي ، وله مكانته
في الجانب النحوي إذ هو دليل الجزم ،
كما أنه دليل إعرابي في حالة الوقف
وأخيرا هو إمكانية من إمكانات البناء^(٥) .

هذا ، ويظهر أن مشكلة السكون قد
أثارت نوعا من القلق في دوائر علمائنا
الأقدمين ، استمع إلى ما جاء في شواذ
القرآن لابن خالويه^(٦) عند قوله تعالى
« ويدعوننا رغبا ورهبا »^(٧) يقول ابن
خالويه سمعت أبا بشر النحوي يقول :

٣- وابن جني يسير في ركاب سيبويه
بل ويشنع على القراء ويرى أن روايتهم
بالإسكان جاءتهم « من ضعف دراية^(١) »
والحق أنه يجب ألا نلزم بقول النحاة
وخدمهم ، إذ القراء شركاء لهم في نقل
اللغة ، بل قد كان من القراء أكابر
النحاة .

على أنني أرجح أن الإسكان لم ينتصر
على الحركة الإعرابية وحدها ، بل سيطر
على حركات البناء ، ففي الخصائص^(٢)
ورد قول نهشل بن حري :

أفلما تبين غب أمرى وأمره
وولت^(٣) بأعجاز الأمور صدور
وقول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكمو
ماضى العزيمة ما في حكمه جَنَفُ
بتسكين الياء في رضى .

وقد يستطيع النحاة أن يقولوا شيئا ؛
لأن الشواهد شعرية ، ولكنهم لن يستطيعوا

(٢) ١ - ٧٤

(١) الخصائص ١ - ٧٥ ط الهلال .

(٣) البقرة ٢٧٨

(٤) شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ وانظر البحر ٢ - ٣٣٧ فقد عزاه إلى الحسن .

(٥) السكون . دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤ (٦) ص ٩٢

(٧) الأنبياء ٩٠

قال الأصمعي قلت لأبي عمرو : لم لا تقرأ - رغبا ورهبا - بالسكون مع ميلك إلى إلى التخفيف فقال : ويلك - أحمل أنحف أم حمل - يعنى أن المفتوح لا يخفف ثم يقول ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : روى بالتخفيف في قوله : رغبا ورهبا - هارون عن أبي عمرو . ويفهم من تلك المحاوره :

(أ) أن العلاقة بين السكون والفتح كانت غير واضحة تماما عند الأقدمين .

(ب) وأن أبا عمرو قال : بأن المفتوح لا يخفف ثم روى عنه من طريق آخر تخفيف المفتوح ، ولا تعارض ولا تناكر ؛ لأن الروايات موثقة وجاءت على هذا .

إلا أن النظرة اللغوية الحديثة وجدت حلاً لهذه المشكلة وذلك القلق حيث رأت أن السكون له من الناحية الصوتية جانبان .

١- جانب النطق والتأثير السمعي .

٢- جانب الوظيفة التي يقوم بها في

النظام الصوتي ، فهو من حيث الجانب الأول عدم أو لا شيء ، ومن حيث الجانب الثاني فهو عنصر له قيمة تقارن بقيم الحركات . . وقد أطلق عليه (الحركة الصفر) نظرا لسلبية السكون في النطق ، وإن كانت له قيمة إيجابية في النظام اللغوي ، وخلاصة ذلك :

١- أنه يجوز أن نسمى السكون حركة إذا نظرنا إلى قيمته الوظيفية .

٢- وهناك نظام وظيفي للحركات مكون من أربعة عناصر : ثلاثة منها لها تحقق صوتي مادي وهى : الفتحة والكسرة والضمة . وعنصر واحد وهو السكون (لا شيء) أو (عدم) من هذ الناحية^(١)

تعقيب :

١- أرى مما سبق في إسكان حركة البنية ، وحركة الإعراب - أنه من خصائص تميم ، ومن جاورها كبكر بن وائل ، وتغلب ومن لف لفهما .

٢- وأن لهجات الحجاز تحتفظ بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ ثابتة .

(١) السكون : دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤

٣- أن هذا التفريع في قبائل تميم وغيرها - تطور عن الصيغ الجازية الثابتة .

٤- أن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية ، حيث أنهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوي - بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان .

ودليل ذلك ما جاء في الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وقد اختلفت الأئمة في معنى هذا الحديث ، فبعضهم يرى أنه نزل بذلك^(١) ، ثم رخص في الإمالة وبعضهم شرحه بأن المقصود : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، وآخرون بأن المقصود منه : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها^(٢) ، وأرجح أن

هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين - مردود ، لأن القرآن الكريم كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرأفة ، والذي يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبي عبيدة من قوله « أهل الحجاز يفخمون الكلام كله^(٣) » ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالنسكين ، وتلك سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من (عشرة) فيقولون « إحدى عشرة » على حين تميم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس ما نعرفه عنهما ، لأن المعروف أن تيمما تسكن العين من فَعَلَ وفَعَلَة ، والحجاز يحركون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا^(٤) » فقد نسب أبو حيان لإسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى

(١) لعله يقصد « الفتحة الصريحة » .

(٢) الإتيان : ١ - ٩٥

(٣) الإتيان : للسيوطي : ١ - ٩٥

(٤) سورة البقرة آية : ٦٠

تميم^(١) . وعن ابن خالويه - أن كسر الشين قراءة الأعمش^(٢) . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما »^(٣) بكسر الشين وهى فى تميم ، والجمهور بالإسكان وهى لغة الحجاز^(٤) ، وفى نوادر يونس « أن تميما ثقل عشرة ، وتكسر الشين . وأهل الحجاز لا يحركون »^(٥) .

وقد يعال لكل من اللهجتين حيث خالفنا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموما أو مكسورا - وأما تميم فتسكن ذلك - وسبب المخالفة فى العدد [أنه قد نقضت فى كثير منه العادات من ذلك قولهم فى الواحد : واحد وأحد ، فأما صاروا منه إلى العدد قالوا : إحدى عشرة - فبنوه على فعلى ، ومنه اقتصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئتين^(٥) . ويرى ابن جنى « أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول »^(٦)

ولهذا تركت كل من اللهجتين لهجتها إلى لهجة أخرى ، فأسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية فى هذا اللفظ تثبت أن اللفظ فى السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، فى العبرية هو לְאִשָּׁרָא ومعنى هذا أن لهجة الحجاز على الأصل ، على حين (عشرة) بالكسر فى تميم من قبيل اجتلاب الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقلة^(٧) .

٥ - كما كانت كل قبيلة تسير فى لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته القبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حيناً والخفة أحياناً ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ، لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشئ وهم يتكلمون بمثله فى لفظ آخر ، كما يتركون صبيغا سهلة لتوهمهم فيها سببا من أسباب الثقل .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ٥ / ٦
(٤) البحر : ٤ / ٤٠٦
(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ٦ / ٢٧
(٦) المحاسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، غلط بالتيمورية .

(١) البحر : ١ / ٢١٨
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠
(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٥
(٦) المحاسب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، غلط بالتيمورية .
(٧) راين : ٩٨

وقفه :

ومراده التثقيب أى النطق بالحركات كاملة ، أى أن أسدا تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تميم ، والمراد بالتخفيف التسكين ، لأن التسكين أخف على اللسان من غيره ، وقد نطقت الحجاز فى هذا كـ أسد^(٤) : أى باكمال الحركات وأما بكر بن وائل فسارت سير تميم فى التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل - (بفتح فسكون) لغة بكر بن وائل^(٥) ، وعلى هذه اللغات جميعا قرأ القراء كما فى البحر^(٦) .

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية - كتميم وبكر وربيعة وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق - لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى فى ميلها إلى تسكين وسط الكلمة - تفاوتا قليلا - أمكننى أن ألاحظه ، وأن أسجل تفاوته بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمة الغالبة عليهم جميعا هى ميلهم إلى التسكين .

٢- وفى كنز الحفاظ أن الفراء حكى عن بنى أسد قولهم : هل رأيت عينا؟^(٧) بفتح العين والياء فى معنى : أحدا . وبعض العرب يقول : ما بها عين بسكون الياء .

٣- وجاء فى اللسان أن بنى أسد تقول : فى أسنانه حفر^(٨) . بفتح العين ، والحفر ما يلزق بالأسنان ، وغيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

١- فأسد وإن كانت تجنح إلى إسكان البنية - إلا أنها فى بعض الأحيان تخالف ذلك ، فمن ذلك ما جاء فى شرح السيرافى على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه اتباعا لأوله ، على حين « فعل » بضميتين فتسكنه تميم^(٩) . وفى قوله تعالى « ويأمرؤ الناس بالبخل »^(١٠) فقد عزا الفراء : التثقيب فى « البخل » إلى أسد^(١١) ،

(٢) سورة النساء آية : ٣٧

(٤) البحر : ٣ / ٢٤٧

(٦) البحر : ٣ / ٢٤٦

(٨) اللسان : ٥ / ٢٨١

(١) شرح السيرافى على سيبويه : ٥ / ٦

(٣) البحر : ٣ / ٢٤٧

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦

(٧) كنز الحفاظ : ٢٧٣

فالسمة الغالبة في هذه النصوص لبنى
أسد أنها آثرت الحركات على السكون ،
ولمّا قلت في هذه النصوص فقط ؛ لأن
المأثور عنها حذف الحركة مثل قراءة
« نذرا » في المرسلات ، « وعرفا » فيها
أيضا ، « وخبرنا » في الكهف ، فالإسكان
كما ذكر صاحب الإتحاف لغة تميم وأسد
وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز^(١) ،
وأرجح أن الأصل الضم في هذه الأمثلة ،
وأسكن تخفيفا . فمن النصوص نرى
أن أسدا كانت تتردد في حذف الحركات ،
أى أنها كانت حينها تحذف ، وأحيانا
لا تحذف ، وليس هذا اضطرابا في
الظاهرة - بل يسهل علينا تعليل ذلك :
أن أسدا من القبائل الكبرى ذات البطون
الكثيرة ، والعمائر المتعددة ، فيمكن
أن نعزو صيغ حذف الحركات إلى قبائلها
المتاخمة لتميم ، والصيغ المكتملة الحركات
إلى قبائلها التي تنحدر إلى ما يقرب
البيئات الحجازية ، تلك التي كانت
تحرص على اكتمال الحركات . إلا أن
حذف الحركات في أسد أكثر من اكتمال
الحركات ؛ لأن قبائلها كانت أكثرها في

المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة
العربية تلك كانت تؤثر حذف الحركات .
٢- أما قيس فقد تقدم أنها أحيانا
تسير في ركاب تميم وبكر بن وائل في
حذف الحركات القصيرة ، ولكن لانعدام
أن نرى بعض الروايات التي تنسب إليها
اكتمال الحركات مثل ما جاء في خزنة
الأدب من أن قيسا تقول « الضبع »
بضم الباء ، وتميم تسكنها^(٢) ،
وورد نص مثله في المصباح^(٣) . ويرى
البغدادى أن التخفيف الواقع في الكلمة
نحو (عضد) بضم الضاد سائغ في حال
السعة ، لأنه لغة قبائل ربيعة^(٤) .
وأرى أن قبائل قيس كانت تتردد بين
حذف الحركة ، وبين عدم حذفها ،
وليس معنى هذا اضطراب الظاهرة ؛ إذ
أن قيسا كانت شعبا عظيما - تفرق إلى
عدة قبائل ، وتوزعت قبائلها على محيط
شاسع في الجزيرة العربية ، وبعض قبائلها
كانت في وسط الجزيرة كعقيل وغنى ،
وبعضها الآخر كان يسكن مناطق الحجاز
لذلك أرجح أن قبائلها التي كانت تسكن

(١) الإتحاف : ١٤٣

(٢) المصباح : ٥٤٦ / ٢

(٣) الخزنة : ٣٦٩ / ٢

(٤) الخزنة : ٣٦٩ / ٢ ، ٥٣١ / ٣

في الكلمة والمحافظة عليها ، بدليل أن هذيلاً وهي في مناطق الحجاز أثر عنها كما جاء في المخصص عن أبي عبيد أنها كانت تقول : « نجد » بضمين في (نجد)^(٥) بالسكون ، والدليل على ذلك ما قاله أبو ذؤيب

في عانة بجنوب السّي مشربها
غور ومصدرها عن مائها نُجْد^(٦)

بضمين . وعزا الأصمعي هذه الصيغة إلى الحجاز وهذيل^(٧) . وفي معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة^(٨) . وعلى أي حال فسواء كانت اللهجة هي لهجة الحجاز وهذيل . أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس - كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأما تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة .
وأكثر قبائل أسد . وعامة قبائل قيس
المتاخمة لتسيم - فإنها كانت جميعاً تنجس
إلى حذف الحركات القصيرة . ولعل هذا

شرق الجزيرة ووسطها كانت تحذف الحركة القصيرة كعقيل - فقد روى اللسان أن يوم (الجمعة) بسكون الميم لغة بني عقيل ، وأهل الحجاز تقول : الجمعة - مثقلة^(١) - أي مع عدم حذف الحركة والأصل فيها السكون ، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة . ومن خفف فعلى الأصل . وعلى لغة عقيل قرأ الأعمش^(٢) . ومما يؤيدني في هذا الرأي ما جاء في الإتحاف من عزو تسكين الوسط في « ندرا » بالمرسلات ، « وخبراً » في الكهف إلى تميم ، وأسد ، وعامة قيس^(٣) . فقله « وعامة قيس » دليل على أن قيساً لم تكن جميعها تحذف الحركة ، بل قبائلها الضاربة في البادية كعقيل وغنى وغيرهما بدليل ما أوردته في عقيل . وأما بقية قيس المتصلة بالحجاز كغطفان وغيرها - فإنها لم تكن تحذف الحركة وشأنها في ذلك شأن الحجاز بدليل أن الحجاز كانت تقول « الجمعة »^(٤) بالحركات كاملة . وكلما اتجهنا إلى مناطق الحجاز وجدنا استكمال الحركات

(٢) المصباح ١ / ١٧٠ - ١٧١

(٤) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٦) ديوان الهذليين : ١ / ٢٤ دار الكتب

(٨) معجم البلدان : ٨ / ٢٥٢ ياقوت .

(١) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٣) الإتحاف : ١٤٣

(٥) المخصص : س ١٢ ص : ٤٨

(٧) اللسان : ٤ : ٤٢٥

أبي عمرو بن العلاء حين أنشد قول
المرقس الأصغر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يَغُو لا يعدم على انغى لائما .

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك
تتسكع في طمّتك ؟ فقال : بل قومني .
فقال : قل : ومن يَغُو (بكسر الواو)^(٦)

ألا ترى إلى قوله تعالى : « وعصى آدم
ربه فغوى »^(٧) . وإنما أخطأ المنشد لأن
الفعل من باب : قضى يقضى

وقد نرى حذف الحركات تارة
واكتمالها تارة أخرى في اللغات السّامية
أيضا كما رأينا في لهجات القبائل في
فني الأكديّة 'Uznu وهي في العبريّة
'Ozen^(٨) باكتمال الحركة ، ونجدها
في العربيّة : أذن - باكتمال الحركة تارة
وبحذفها تارة أخرى ، وذلك في قراءة

يتفق مع طبيعة البدو في السرعة في نطق
الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأستاذ
عبد الوهاب حمودة في كتابه « القراءات
واللهجات »^(١) حيث ذكر أن تسكين
العين في « رسل » لغة أهل الحجاز
والتحريك لغة بني تميم ، ويبدو أن
الدكتور شوقي ضيف مال إلى ما رآه
الأستاذ عبد الوهاب حمودة^(٢) أيضا .

وقد وقع أبو حيان نفسه فيما وقع فيه
عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا
موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل »^(٣)
حيث ذكر أن قراءة الجمهور - بالرسل -
بضم السين ، كما قرأ الحسن ويحيى
ابن يعمر بتسكينها^(٤) « ثم قال أبو
حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز ،
والتحريك لغة بني تميم »^(٥) .

ومن مجانبة الصواب في حركة العين
من الفعل المعتل أن رجلا أخطأ بحضرة

(١) ص : ٣٧ ط أولى .

(٢) تاريخ الأدب العربي ١ - ١٢٦ د . شوقي ضيف

(٣) سورة البقرة آية : ٨٧

(٤) البحر المحيط ١ - ٢٩٩

(٥) البحر المحيط ١ - ٢٩٧

(٦) طبقات اللغويين ٢٩ للزبيدي .

(٧) سورة طه آية : ١٢١

(٨) التطور النحوي ٤٤ برجشتراسر .

نافع « والأذن بالأذن » ٤٥ من المائدة .
ونافع بن أبي نعيم صاحب هذه القراءة
مدني حجازي ، ومع ذلك فقد خالف
بيئته التي لا تسكن .

وفي النهاية : نرى أن نظام العربية
في ضوء ما سبق من النصوص والشواهد
قد حقق من خلال الحركات والسكنات
وتفاصيلها على الصيغ - فيضاً غامراً من
كثرة الوجوه وحركية الانتقال ، ونظاماً
منتظماً متواكباً مع الدلالة في نسق صوتي
خاص ، وهذه المساواة بين الصيغ اللفظية
ومعانيها يشير إلى تمدن العرب في لغتهم
من جانب ، كما يعدُّ نمطاً فريداً لسياسة
الحروف وحركاتها من جانب آخر .

وقد تؤثر عين الكلمة حركة في موضع ما
ثم ترفض نفس الحركة من الكلمة نفسها
في موضع آخر ، وليس السبب في ذلك
عامل الثقل أو الخفة كما قد يتوهم ،
ولمّا يرجع إلى تحقيق الموسيقى الصوتية
وانسجام النغم ، ففى قوله تعالى : « إلى
شيء نكر » القمصر : ٦ . حرك عين
الكلمة ؛ لأن النظام العام للسورة أثر
الحركة في آياتها ، على حين رفض
الحركة في الكلمة نفسها في قوله تعالى :

أحمد علم الدين الجندى

(١) انظر أمثلة مختلفة للموسيقى وأثرها في :

(١) أبو زكريا الفراء ٣٠٤ د . مكى الأنصارى .

(ب) التصوير الفني في القرآن .

(ج) أثر القرآن في تطور النقد العربي ٦٣ د . زغلول سلام .

أمثال عامية..

بين القرنين: التاسع والرابع عشر الهجريين

للأستاذ محمد قنديل البقلى

هذا كله محتاج إلى الصانع الحكيم الذى يجمع الكثير فى قليل ويختار من الكلمات أدلها ومن الألفاظ أنفذها ومن العبارات أجزلها ليجعل من حكمه آية مبنى ومعنى .

وبعيد أن يكتب الحكمم البقاء ما لم تتوفر فيه الخبرة والوعى والصدق وحسن الأداء لكى يجرى على الألسنة ويعيه الناس جيلا بعد جيل يقضون به فى أمورهم المشاكلة وكنائهم فى ذلك قضاة ولكن دون أن يعنوا أنفسهم بدراسة ودون أن يعنوا أنفسهم بوعى ودون أن يعنوا أنفسهم بصدق الحس ، ودون أن يعنوا أنفسهم بحسن الأداء ، بل حسهم أن يقيسوا حاضرا بغائب ، وما أيسر ما يكون هذا القياس عليهم ، ثم بعدها يحكمون بهذه الأحكام التى حفظوها ، وحفظوا المروءة لهذه الأحكام لن يكون إلا عن إيمان بها وبمدلولها

معايش صاحب تجربة يملئها مرة عملا ، وعلينا مرة كلمة ، ولن يبلغ هذا العمل ، كما ان تبلغ تلك الكلمة مبلغ التجربة إلا حين يكون هذا العمل أو تكون تلك الكلمة حكما لا يتزعزع ولا يجرح ، وإلا فقد هذا الحكم أثره . وهذا الحكم لا يبلغ أن يكون حكما إلا بعد أن تسبقه قضايا تحمل المقدمات نفسها ، والملايسات نفسها ، والنتائج نفسها ، لا يختل من ذلك شئ ، وإلا اختل الحكم . واتحاد كل من المقدمات والملايسات والنتائج لا يعنى أن يكون على صورة واحدة ، أو على مرتبة واحدة ، بل قد تختلف صورها كما قد تختلف مراتبها . من أجل هذا كان الاستقصاء الذى يبلغ بالاستقصى إلى الحكم يعوزه جهد كثير ونعز شاملا ، كما يعوزه أى ثاقب وبصيرة نافذة وخبرة واسعة ، ثم بعد

والآداب أو المعرفة . فالمؤرخون لا يذكرون دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ما تصوره الأمثال . والشعر لا يصف إلا نواحي خاصة من نواحي الحياة الاجتماعية هي التي يراها الشاعر بنظره هو دون أن يراها المجتمع نفسه . ولكن الأمثال هي التي أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعلم والفقير والغنى . هي التي تجرى على ألسنة طبقات المجتمع ، فهي المعبر إذن عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع دون غيرها .

فمصر عرفت منذ أقدم عصورها بفن القول ، ولها طابعها الخاص في النواحي الأدبية التي تمتاز بها عن غيرها من البلدان . ولها حياتها الاجتماعية الخاصة التي هي نتيجة لتلك البيئة المصرية ، وكثرت فيها الأمثال التي عبر عنها المصريون عن تجاربهم الطويلة العديدة ، وعن نواحي حياتهم المتأثرة بما كان في المجتمع المصري من مخطط ورضى ، وجد وهزل ، نطق المصريون بهذه الأمثال وتداولوها منذ أقدم عصورهم ، ولو قُدِّرَ للمصريين أن يحفظوا أمثالهم القديمة في عصورهم المختلفة ، ودونوا هذه الأمثال لاستطعنا

ومضمونها ، وهذا الإيمان بهذه الأحكام لن يتم للمرء إلا إذا حذر ما تحذره الأحكام ورغب فيما ترغب فيه هذه الأحكام ، عندها تكون الأحكام على لسانه أنفذ وأقوى لأنه سوف يضفي عليها من وحيه وعقيدته فيزيد الناس استمساكا بما يستمسك به هو وبعدها عما يبتعد عنه .

وهذه الأحكام كما لم تبلغ مبلغها عبثا كذلك لم تؤثر عبثا فهي تجربة الماضين لللاحقين وأدب من سبقوا يؤدّبون به من خلفوا .

ومن المعروف أن الأمثال التي يتداولها الشعب هي حكم نتيجة لتجارب هذا الشعب وتسجيل قول لبعض ما مر به من أحداث استخلص منها مآثر ومواعظ ، وأين أن يهملها أو ينساها فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل وعصر بعد عصر ، مما جعل الأمثال تأخذ طابعا خاصا من ألوان فن القول ، وأصبحت الأمثال مرآة للشعوب نستخلص منها اتجاه الشعب وخصائصه الاجتماعية مما لا نجده مسجلا في أي لون من ألوان

أن نرجع عددا كبيرا من الأمثال التي
ننطقها اليوم إلى عصورها التاريخية .

فدما لا شك فيه أن كثيرا من الأمثال
المصرية الحالية عرفها المصريون منذ قرون
عديدة وخاصة هذه الأمثال التي تتحدث
عن تقلبات الجو ، أو التي تتحدث في
الشئون الزراعية . فمثل هذه الأمثال
قديمة . ولكن لاندري على وجه التحديد
متى ظهرت لأول مرة بين الشعب المصري .
وكذلك نقول عن كثير من الأمثال
التي تمس حياتنا الاجتماعية ، فمن حسن
الحظ أننا نجد في كتاب مصري ينسب
إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر
الميلادي) وهو كتاب « المستطرف في
كل فن مستطرف » للإبشيهي ، بابا
خاصا بالأمثال المصرية . جمع فيه مؤلف
الكتاب عدة أمثال تبلغ نحو من ثلاثمائة
وخمسين مثالا . إذا قرأناها سنجد أنها
تتفق في كثير من ألفاظها مع ما ينطق
به رجل الشارع اليوم ، وهذا إن دلّ
على شيء فيأثما يدل على أن هذه الأمثال
كانت موجودا قبل القرن التاسع للهجرة ،
وأنها بقيت على حالتها يروها الشعب جيلا
بعد جيل . ويأخذها الصغير عن الكبير

بدون تغيير يذكر لا شيء إلا لأنها
ما رأت مثل الحياة المصرية بالرغم مما
أصاب حياتنا من تغيير وتطور . وهذا
يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع
بميزة المحافظة وبحب الجديد في الوقت
نفسه .

ومن يدرس الأدب المصري في عصوره
المختلفة تتضح له هذه الحقيقة ماثلة
وتظهر ظهورا لافتا في مختلف حياتنا .
فمصر كما لاحظها مؤرخو الأدب المصري
تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها ،
فهي محافظة على هذا النحو ، ولكنها من
ناحية أخرى تحب أن تعرف كل شيء
جديد على أن تخضع هذا الجديد لمزاجها
وتقاليدها .

وهكذا استطاعت مصر أن تحافظ على
أمثالها بنفس الصيغ التي وردت عند
المصريين في القرن التاسع الهجري ، كما
أضافت إلى هذا التراث القديم أمثالا
جديدة هي نتيجة لما طرأ على مصر من
تطورات جديدة .

فيذا نظرنا إلى هذه الأمثال التي دونت
في القرن التاسع نستطيع في سهولة ويسر

- أن نقسمها إلى عدة أقسام، نستطيع أن نلمس في بعضها أنها لا تزال مستعملة إلى اليوم . وهذا القسم من الأمثال هو أكثر ما جاء في هذا الباب من الكتاب فمثل قوله :
- إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله
- المستعجل والبطي عند المعدي يلتقي
- إذا غاب عنه أصله كانت دلائله فعله
- إيش أنت في العاره يا منخل بلا طاره
- والله العدو ما يبتى حبيب حتى يصير
الحمار طبيب
- تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها
- جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر
قفاك
- جوزوها له مالها إلا له
- جوزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين
قيمه
- حاجه ما تهكم وصي عليها زوج أمك
- حب وداري واكره وداري
- زى ما هي ومانه إلا قلوب ملانه
- ركبتهك ورايه حطيت يدك في الخرج
- رزق الكلاب على المجانين
- راحت على جمل وجات على قُطه مال
دى الشيلة لإلادى الحطة
- سل معرب ولا تنسى الطبيب
- شيء ما ييجى على القلب عنايته صعب
- شرى العبد ولا تربيته
- صباح الخير يا جارى إنت في دارك
وانا في دارى
- ضرب الحبيب كأك كل الزبيب
- طبق وجارية على صحن بساريه
- طعامك ما جاني ودخانك أعماني
- طار طيرك وأخذ غيرك
- طول الغيبة وجه بالخيبة
- كل وبخاقت عنيك عزومة انحسبت
عليك
- قالوا للجمل زمر قال لاشيف ملمومة
ولا أيادى مفرودة
- قالوا للدبة طرزي قالت خنفة أيادى
- كشه كال داير ولا علامة مقطوعة
- لولاك يا كمي ما أكلت يا فمي
- لولاك يا لساني ما انسكيت يا قفايه
- لو كان فيها خير ما رماها الطير

للهجرة ، وما بعده ، فإن فيما بقى لنا
من أدب شعبي لهذا العصر ألفاظ
لا نزال ننطق بها إلى الآن وتعبيرات
هى نفس التعبيرات التى نستعملها
فى بعض القرى المصرية وبعض الأحياء
اشعبية ، فلعل هذه الأمثال ظهرت
بهذه الصورة فى تلك العصور . ولكننا
لا نستطيع أن نجزم بذلك . ولعل
أساتذة الفيلولوجى وأساتذة الأدب
المصرى فى العصور الوسطى يستطيعون
أن يحدثونا عن ذلك كله .

وأذكر هنا بعضا من المؤلفات جاءت
بعد كتاب المستطرف للإبشيى أو التى
فى عصرنا ونقلت إلينا الكثير من هذه
الأمثال كما رواها الإبشيى ومنها :

١- الشيخ محمد شكرى : مجمع
الأمثال العامية المصرية ، مخطوط
بالتيمورية رقم ٥١٩ تيمور .

٢- محمود عمر الباجورى : أمثال
المتكلمين من عوام المصريين - مصر ١٣١١ هـ

٣- كرلو لنديرج الأسوجى : الأمثال
السائرة والأقوال الدائرة عند أولاد
العرب - لندن ١٨٨٣

- ما شئتُك يا دِمَعَتى إلا لشِدَّتِى
- من عاشر الحداد احترق بناره
- نوايه تَسْنَدُ جِرَّهُ قال والزُّير الكبير
- لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من
ييجى
- الكلام لك يا جاره إلا إنا حماره
- إنا تعمل الماشطة فى الوش المَشُوم
- أرملة عدس ومزوجة عدس
- جارية وَزَبْدِيَّة على باذنجانة مَقْلِيَّة
- خطبوها تعزّزت

- زَمَر بالزُمَيْرَة تَبان لك العاقلة من
المجنونة

إلى غير ذلك من هذه الأمثال العديدة
اللى ما نزال نرددُها إلى اليوم بنفس
الألفاظ التى كان يتحدث بها المصريون
منذ خمسمائة عام . ولا شك أن هذه
الأمثال كانت أقدم من هذا القرن
الذى دُوِّنت فيه ، ومن يدرى لعلها
ترجع إلى ذلك العصر الذى بدأ فيه
ظهور الآداب الشعبية المصرية ظهورا
لافتا ، وهو العصر المملوكى الأول ،
أى فى النصف الثانى من القرن السادس

التطور الذى تطورت به مصر فى مدى هذه القرون . أبعدت الحياة المصرية بعض الشيء عما كانت عليه . فأصبحت هذه الأمثال لا تنطبق على حياتنا الحديثة مثال ذلك :

- بدوى مقروح لقي التمر أين يخلو ويروح .

فهذا المثل حل محله قولهم : « رزقه فى رجليه » واختفى المثل القديم ، ومن يدرى فلعله لا يزال عند بعض الريفيين . مثل آخر قولهم :

- ذكروا مصر والقاهرة قامت باب اللوق بحشائشها .

هذا مثل كان يضرب عند ما كانت منطقة باب اللوق المعروفة بالقاهرة مملوءة بالحشائش . وكان يخشى الناس من ارتياد هذه المنطقة ، فلا شك أن من ينظر الآن إلى باب اللوق وهى من أعمر أماكن القاهرة لا يستطيع أن يضرب بها المثل بما كان فيها من خراب وحشائش . ثم قوله : ذكروا مصر والقاهرة والمقصود بكلمة مصر فى العصور الوسطى « الفسطاط » وكانت الفسطاط من أجمل مدن القطر المصرى وكانت تنافس القاهرة فى الذكر لدرجة أن

٤- شرف الدين بن أسعد : جمع .
الأمثال المصرية العامة - نشرها بوركهارت .
لندن ١٨٣٠

James Richard Jewett : Arabic-o
proverbs and proverbial phrases,
New Haven 1890.

٦- أحمد تيمور : الأمثال العامة
المصرية ، القاهرة ١٩٤٩

٧- شفيقة شبير : جمعت الأمثال
الاجتماعية والفكاهية .

٨- فائقة حسين راغب : حقائق الأمثال
العامة . القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٩- نعوم شقير : أمثال العوام فى مصر
والسودان والشام ، مصر ١٨٩٤

١٠- Mrs. A.P. Singie : جمعت
أمثال العوام من مصر والسودان والشام -
نشرها إنو ليتان ، مصر ١٩١٣

١١- محمد قنديل البقلى : وحدة
الأمثال العامة فى البلاد العربية ، القاهرة
١٩٦٨

وأما القسم الثانى من هذه الأمثال التى
دونت فى القرن التاسع فهى أمثال
لانسعها اليوم فى مصر لا شىء إلا لأن

والقراءة الآن أصبحت ليست وقفاً على تلاوة القرآن الكريم ، ومن ثم أصبح هذا المثل لا ينطبق على حالتنا الحاضرة ولذلك اختفى .

ومثل آخر ورد في هذه المجموعة هو قولهم :

— هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل .

فهذا المثل يدل على أن المجتمع المصري في هذه العصور الوسطى كان لا يزال يحتفظ إلى حد ما بالنسبة القبلية وخاصة هذه الطبقة من المجتمع التي سماها المؤرخون [طبقة الأعراب ، وكان في هذه الطبقة الأغنياء والفقراء والرفيع والدليل ، فهذا المثل يدلنا على أن بنى وائل في مصر كانوا من الطبقات الدليلة حتى ضرب بذلتهم هذا المثل ، ومن حسن الحظ أننا نعيش الآن في جو اجتماعي إشتراعي تعاوفاً لانلمس فيه أثر العنجهية القبلية ، ولا ينتسب أحد إلى طبقة دون أخرى ، فالككل سواء ولذلك لا نرى هذا المثل بين أمثالنا الحديثة .

المؤرخين عندما كانوا يؤلفون كتبهم التاريخية يذكرون مصر والقاهرة معاً ، فمثلاً كتاب «لأبي المحاسن بن تغرى بردى» بعنوان « النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة » والسيوطى له كتاب بعنوان « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » . وعلى هذا النحو ورد هذا المثل وجعل مصر أى الفسطاط معطوفة على القاهرة لما كان بين البلدين من التنافس والرقى في التحضر . أما الآن فالفسطاط لا وجود لها ، بل حل محلها مصر القديمة حتى نستطيع أن نتحدث عنها في الأمثال في جيلنا الحديث ، ولذلك اختفى هذا المثل من أمثالنا الحديثة .

ومثال قوله أيضاً :

— رأوا سكران يقرأ قالوا : غنّ تشاكل روحك .

فالمعروف في ذلك العصر ، أى في القرن التاسع الهجرى أن كلمة قراءة كان المقصود بها قراءة القرآن الكريم وتجويده ، كما أن المعروف في كل العصور وفي كل البيئات أن السكير الذى يقرأ ويغنّ في قراءته كأنه يتشاجر مع نفسه ، فلا شك أن ظروف التعليم والقراءة في عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه في العصور الوسطى ،

من الأمثال يختلف تمام - الاختلاف عن ذلك الذى نسمعه الآن وعما يشبهه بالرغم من أن الألفاظ تكاد تكون واحدة ولكن مدلول المثل مختلف جداً .

ونلاحظ في هذا القسم كثرة ما يقال عن النقاب الذى كانت تضعه المرأة المصرية على وجهها ، وما كان يجر النقاب من ويلات وما شئ به على كل متنقبة مما يجعلنا نحمد الله الآن على أن تنبهنا إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ونبذ النقاب إلى غير رجعة حتى لا ينطبق علينا الآن ما كان يقال عن المرأة صاحبة النقاب في العصور الوسطى .

وهكذا أمثالنا تدل علينا قديماً وحديثاً ، ولعلنا نعمل على دراسة أدبنا القومى دراسة صحيحة شاملة ، ولعل الذين يهتمون بأمر الفولكلور المصرى ومافيه من آداب شعبية يعملون على إيجاد هذه العلاقة بين حاضرتنا وماضينا ، عسانا ننتفع بالمأضى للمستقبل ثم لإحياء مايفيد في نهضتنا الحالية .

محمد قنديل البقلى

وكذلك قولهم في الأمثال القديمة :

بقي للكلب سرج وغاشية وغلما
وحاشية .

ذلك عندما كان الأغنياء يركبون المطايا ذات السروج والغواشى ، ولهم عبيد وحاشية ، أما الآن فالأغنياء يركبون السيارات الكاديلاك بدلا من الخيل أو البغال وليس لهم عبيد وإن كان لهم خدم ، ولذلك لا ينطبق هذا المثل على عصرنا الحالى .

وقولهم :
خلت زوجها مكروب وراحت تشوف
المصلوب

فهذا المثل لا ينطبق على عصرنا الحديث لأن الصلب لا يكون في الميادين ، كما كان الأمر في العصور الوسطى .

أما القسم الثالث من هذه الأمثال التى ذكرها الابشيهى فهي هذه الأمثال التى تتعلق ببعض النواحي الجنسية ، التى لا نستطيع أن نذكر عنها شيئا فى هذا الغرض . ومن الغريب أن هذا القسم

من التراث اللغوي

١٤٠٠

١٤٠١

١٤٠٢

لامية

منظورين مرثد الأسدي



جمعها وحققها وعلق عليها:
الدكتور رمضان عبد التواب

الأرجوزة^(١)، فاجتمع لي منها ست وأربعون بيتاً^(٢)، عرفت مطلعها^(٣)، ورتبتها حسبها بدالي من معاني أبياتها. وقد دلت على اختلاف الروايات في بعض هذه الأبيات، وانتقيت من الشروح الماثورة هنا وهناك ما يبين معناها، وخرجتها في مصادرها المختلفة التي وقعت لي.

أما صاحبها، فقد قال عنه الآمدي إنه هو «منظورين حبة الأسدي، وحبة أمه، ويعرف بها^(٤)»، ومع ذلك فإننا لانعثر له على أثر في كتاب محمد بن حبيب: «ألقاب الشعراء» ومن يعرف منهم بأمه^(٥)، الذي نشره عبدالسلام

نظري إلى هذه الأرجوزة^(٦)،
لمنظورين مرثد الأسدي،
اشتغالي بموضوع الضرائر الشعرية، منذ زمن ليس بالقصير؛ فقد اضطر هذا الراجز إلى تشديد أو آخر كلمات كثيرة في أرجوزته تلك، بسبب ضرورة الوزن والقافية، مثل كلمات: الأول، وأرغل، والطول، والعطيل، والخلخل، والمكحل، ومبدل، وعيهل، والمرحل، والكلكل... وغيرها.

ومن هذه الأرجوزة حوالي ثلاثين بيتاً في «مجالس ثعلب»، غير أن في بعضها هناك سقطاً وتحريفاً. وقد قلبت كثيراً من المصادر، بحثاً عن أبيات هذه

(١) قال الهمداني في خزائن الأدب ٢ / ٥٥٢: «وهي أرجوزة طويلة»، أورد منها شراح شواهد سيبويه جملة، وكذلك أبوعل الفارسي في المسائل العسكرية.

(٢) قال محقق سر صناعة الإعراب (١ / ١٧٨) في هامشه: «عدة ما وجدنا من أبياتها ثمانية عشر بيتاً مفرقة في بطون الكتب» !!

(٣) نص على ذلك في شرح شواهد الشافية ٤ / ٢٤٨ والمختضب ١ / ٢٧٦

(٤) المؤلف والمختلف ١٤٧

هارون ، في نوادر المخطوطات (المجلد الثاني ٢٩٧-٣٢٨) .

وأما أبوه فاسمه «مرثد». وهو ينسب في المصادر إلى أبيه وإلى أمه ، وهذا ما جعل البغدادى (في شرح شواهد الثمافية ٤/٤٤٨) يظنه شخصين ، فيقول : «والبيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن مرثد الأسدى ، وقيل لمنظور بن حبة الأسدى » ! أو لعله يقصد أنه يسمى بهذا وبذاك ؛ فقد قال (في خزانة الأدب ٢/٥٥٣) : «وهذه الأرجوزة نسبها السخاوى في سفر السعادة لمنظور بن مرثد الأسدى ؛ قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغاني في العباب لمنظور بن حبة الأسدى ، وهما واحد ؛ فإن مرثداً أبوه وحبة أمه . فبعضهم ينسبه إلى أبيه ، وبعضهم إلى أمه . قال الصاغاني في العباب : منظور بن حبة ، راجز من بني أمد ، وحبة أمه . واسم أبيه مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن طريف بن عمرو بن قعين » .

وقد نسبه الآمدى فقال : «وهو منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمعس^(١) » . أما المرزبانى . فقد تردد بين نسبين له . فقال : «منظور بن مرثد بن فروة الفقمعى . وقيل هو منظور بن فروة بن مرثد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمعس بن طريف^(٢) »

وقد كناه أبو محمد الأسود الغندجاني «أبا مسعر^(٣)» . وهو شاعر وراجز محسن^(٤) . قال عنه الآمدى ، بعد أن ساق بعض شعره : «وله أيضا أراجيز جيد^(٥)» . كما ذكر المرزبانى أنه إسلامى^(٦) .

وهو في أرجوزته هذه يتحسر على مافات من عمره ، ويشكو من هجران محبوبته . التى يسميها «ليلى» . كما يسميها «بجمل» أو «هند» أو «مى» كذلك ؛ إذ تعرضت له بحسنها وجمالها ، فسلبت ليه وخلبت فؤاده ،

(١) المؤلفات والمختلّف ١٤٧

(٢) هامش معجم الشعراء ٢٨١

(٣) المؤلفات والمختلّف ١٤٧

(٤) معجم الشعراء ٢٨١

(٥) المؤلفات والمختلّف ١٤٧

(٦) معجم الشعراء ٢٨١

- ولم يكن ليرضى بها بديلاً ، غير أنها
 بخلت عليه بالوصل ، وظننت مع
 الظاعنين ، فأخذ يسلى همومه ، ويشفى
 وجده وهيامه ، بوصف راحته ، وقد
 أبدع في هذا الوصف ، حتى كأن
 الأرجوزة قد قيلت في وصف الإبل .
 وفيما يلي نسوق هذه الأرجوزة :
- ١ - ليت شبابي كان للأول*
 - ٢ - وغصّ عيشٍ قد خلا أرغل*
 - ٣ - من لي من هجران كَيْلٍ مَنْ لِي
 - ٤ - والحب من حبالها المنحل*
 - ٥ - تعرّضت لي بمكانٍ حل*
 - ٦ - تعرّض المهرّة في الطول*
 - ٧ - تعرّضاً لم تال عن قتلٍ لي
 - ٨ - بمثل جيد الرئمة العطب*
 - ٩ - ملء البريم متاق الخلخل*
 - ١٠ - ومقلتان جَوْنًا المكحل*
 - ١١ - فأردفت خَبلاً على خَبَلٍ لي
 - ١٢ - كالثقل إذ عالى به المعلى*
 - ١٣ - يا صاح لا تُكثر بها عدلاً لي
 - ١٤ - فلم أكن والمالك الأجل*
 - ١٥ - أرضى بإلف بعدها مُبدل*
- ١٦ - بخلّة عنها ولا مُختل*
 - ١٧ - إنْ أصح عن داعي الهوى المضل*
 - ١٨ - صُحوّ ناسي الشوق مُستبسل*
 - ١٩ - مقتصر للصّرم أو مُبدل
 - ٢٠ - إن تبخلى بإجملٍ أو تعتل*
 - ٢١ - أو تصبى في الظاعن المؤل
 - ٢٢ - أو تعدني عن حاجها حاجٍ لي
 - ٢٣ - نسلٌ وجَدَ الهائم المغتسل*
 - ٢٤ - ببازلٍ وجناء أو عيهل*
 - ٢٥ - ترى مرآد نِسْعِه المدخل*
 - ٢٦ - بين رَحَى الحيزوم والمرحل*
 - ٢٧ - بسلمٍ من دفعه المزل*
 - ٢٨ - مثل الزحالف بنعف التل*
 - ٢٩ - نوط إلى صلب شديد الخل*
 - ٣٠ - وعنق كالجدع متمهل*
 - ٣١ - تقصّر عنه هُدبات الجل*
 - ٣٢ - إذا اعتلى عَرَض نِياف قل*
 - ٣٣ - أذرى أساهيك عتيق آل*
 - ٣٤ - بأوب ضغى مَرَح شِمِل*
 - ٣٥ - كأنّ مهواه على الكلكل*
 - ٣٦ - وموقعا من قَفِيسات زل*

- ٣٧- بعد السرى من التمدى المُخْفَل
٣٨- فى غَبَشِ الصَّبَحِ وفى التَّجَلَّى
٣٩- وَقَعُ كَفَى رَاهِبٍ مُصَلِّ
٤٠- لَعَلَهَا تُسَعْفُ أَوْ لَعَلَّى
٤١- فى طَلَبِ الْحَاجِّ أَوْ التَّسَلَّى
٤٢- يَا صَاحِبِيَّ خَوْصًا بِسَلِّ
٤٣- مَنْ كُلُّ ذَاتِ ذَنْبٍ رَقَلُ
٤٤- حَرَقَهَا حَمَضُ بِلَادِ فَلَ
٤٥- وَغَتَّمْ نَجْمٌ غَيْرِ مُسْتَقْسَلِ
٤٦- فَمَا تَكَادُ نِيْبَهَا : تُـوَلَّى
* * *
- ٧- فى اللسان (عرض) ٣٠/٩
وإصلاح المنطق ١٧٠ والوساطة للجرجاني
٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٤/١٧ : « تعرضت »
وفى شرح شواهد الشافعية ٤/٢٤٩ :
« تعرضا لم تعد » . وفى تاج العروس
(طول) ٧/٤٢٣ والصحيح (قتل)
١٧٩٩/٥ : « لم يأل » . وفى سر
صناعة الإعراب ١/٢٣٥ وشرح شواهد
الشافعية ٤/٢٤٩ واللسان (أُن) ١٦/١٧٨ :
« عن قتلى » .
- ٩- فى مادة (خلل) من اللسان ١٣/٢٣٤
والتاج ٧/٣٠٩ : « ملأى البريم » .
- ١١- فى تاج العروس (ردف) ٦/١١٦ :
« خيلا على خيل » تصحيف .

فروق الروايات :

- ١- فى المحتسب ١/٢٧٦ : « عاد للأول »
٤- فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٣ : « والجبل
من وصالها » .
- ٥- فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وتاج
العروس (عرض) ٥/٥٣ وإعجاز القرآن
للبياقلى ١٧٣ : « بمجاز حل » . وفى
المحتسب ١/١٣٧ : « بمجاز » تصحيف .
- ١٥- فى اللسان (بدل) ١٣/٥١ :
« أرضى بخل » .
- ١٧- فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٥ وشرح
شواهد الشافعية ٤/٢٥١ : « إن صح » .
- ١٨- فى شرح شواهد الشافعية ٤/٢٥١ :
« ضحوة » !
- ٢٠- فى اللسان (عسس) ٨/١٥ والمحكم
لابن سيدة ١/٣٠ : « إن تهجرى ياهند » .

والتاج (خلل) ٣٠٦/٧ : «وعنق
أتلع» .

٣٢- في مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٦ :
«إذا اغتدى» .

٣٤- في اللسان (نوف) ٢٥٨/١١ :
«بعطف ضبعي» ، وبعده : «ويروى :
بأوب» .

٣٥- فيما عدا مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٦
وتهذيب الألفاظ ٤١٢ والأضداد لأبي
الطيب ١٢٨/١ : «كأن مهواها» .
وفي قوافي الأخفش ٩٠ : «أقول إذخرت
على الكلكل» ، وهو خلط لهذا البيت
ببيت آخر هو : «أقول إذخرت على
الكلكال» وبعده : «ياناقتي ماجلت
من مجال» . انظر : تأويل مشكل
القرآن ٢٣٤ وشواهد التوضيح ٢٣
والإنصاف ١٦

٣٦- في نوادر أبي زيد ٥٣ : «من
نفثات» . وفي اللسان (كلل) ١١٧/١٤ :
«وموقفا من ثفناة» تحريف .

٣٨- في الأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١
واللسان (غيش) ٢١٣/٨ : «أو التجلي»
وفي هذيب الألفاظ ٤١٢ : «أو التتلي» .

وفي أمالي ابن الشجري ٥٠/١ : «إن
تبخل يائي» .

٢٣- في مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٥ : «فسل
هم الوامق» . وفي المحكم لابن سيدة
٦٥/١ : «فسل وجد» . وفي التاج
(عهل) ٤٠/٨ : «الهائم المعتل» تصحيف
٢٥- في شرح ابن يعيش ٩ / ٨٢ :
«مزاد سعد» تحريف

٢٦- في شرح شواهد الشافية ٤ / ٢٤٩ :
«بين رجي» . وفي شرح ابن يعيش
٨٢/٩ : «بين رجا» .

٢٧- في اللسان (زلل) ٣٢٥/١٣ :
«من دفعة مزل» .

٢٩- في مجالس ثعلب ٢ / ٥٣٦ :
«شديد الحمل» . وفي تهذيب اللغة
٥٧٢/٦ واللسان (خلل) ٢٣٣/١٣ :
«ثم إلى هاد شديد» . وفي جمهرة
اللغة ٦٩/١ والصحاح (خلل) ١٦٨٩/٤ :
«ثم إلى صلب شديد» . وفي التاج
(خلل) ٣٠٦/٧ : «تمت إلى صلب»
تحريف .

٣٠- في اللسان (خلل) ٢٣٣/١٣ :
«في الجذع» . وفي جمهرة اللغة ٦٩/١

على (الحبل) أو (الحبال) وكلا الأمرين
قبيح » .

٥ - في جمهرة اللغة ٤٩٧/٣ :
« يريد : تريك عرضها أى جانبها ،
وقولهم : عرضت لفلان بكذا وكذا ،
إذا لم تبيّنه له » .

٦ - في إعجاز القرآن للباقلاني ١٧٣ :
« تريك عرضها وهى فى الرّسن »
والطّول ، كعنب : الحبل الطويل يربطه
أحد طرفيه بيد الدابة والآخر بوتد
أو نحوه ؛ لتدور فيه وترعى ولا تذهب
لوجهها ، وقد شددها الراجز للضرورة .

٧ - فى اللسان (عرض) ٣٠/٩ :
« واعترض الفرس فى رسنه وتعرض :
لم يستقم لقائدة » . وفى تهذيب لإصلاح
المنطق ٢٩/٢ : « لم تأل : لم تقصر
فى اعتمادها قتلى . تعرضت له كما تتعرض
المهرة فى طولها ، تفعل ذلك لنشاطها » .
وقد أفاضت المصادر فى شرح الرواية
الأخرى لهذا البيت ، وهى : « عن
قتللى » ؛ فقال فى اللسان (طول)
٤٣٩/١٣ : « ويروى : عن قتللى ،
على الحكاية ، أى عن قولها : قتلله » .
وفى سر الصناعة ٢٣٦/١ : « هكذا

٣٩ - فى مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ :
« راهب مصل » . وفى اللسان (كلل)
١١٧/١٤ : « موضع كفى » .

٤٢ - فى تهذيب لإصلاح المنطق ٣٧/١ :
« يا ذائديها خوضن » . وفى شرح
المفضليات ١٣١ : ٥٧٠ - ٦٣٦ :
« يا ذائديها خوصا » .

٤٣ - فى المقاييس ٢٢٨/٢ : « لبن
رفل » .

٤٥ - فى الاقتضاب ٣٠٩ : « وغيم
نجم » وهى رواية نص عليها فى اللسان
(حرق) ١١ / ٣٢٦ وتهذيب لإصلاح
المنطق ٣٨ / ١

٤٦ - فى الاقتضاب ٣٠٩ : « بينها
تولى » تصحيف .

* * *

الشروح اللغوية :

٢ - فى شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ :
« شدد لام أول وأرغل كذلك ، وهو
بالغين المعجمة . قال صاحب العباب :
وعيش أرغل وأغرل أى واسع » .

٤ - فى شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ :
« قال أبو على فى المسائل العسكرية :
المنحلّ لا يخلو من أن يكون محمولا

أنشدنيه (أبوعلی) . عن قتلا ، وحمله
تأويلين : أحدهما أنه قال : بجوز أن
يكون أراد الحكاية ، كأنه حكى
النصب الذى كان معتادا من قولها فى
بابه ، أى كانت تقول : قتلا قتلا ، أى
أنا أقتله قتلا ، ثم حكى ماكانت
تلفظ به ... والوجه الآخر الذى أجازته
أبوعلی فى قوله : عن قتلالی ، أنه قال :
يجوز أن يكون أراد : أن قتلالی ، أى
أن قتلتنى قتلا ، فأبدل الهمزة عينا ،
فهذا أيضا من عننة تميم . وقال فى
اللسان (قتل) ١٤ / ٦٦ : « أراد
عن قتلى ، فلما أدخل عليه لاما
مشددة ، وصار الإعراب فيه ، فتح
اللام الأولى ، كما تفتح فى قولك :
مررت بنمر ونمرة وبرجل وبرجليس .

٩- البويم : خيط فيه ألوان تشده
المرأة على حقوبها ، والمتاق : المملوء .
وقال فى اللسان (خلل) ١٣ / ٢٣٤ :
« أراد متاق الخلل ، فشدد للضرورة ،
والخلل لغة فى الخلل ، أو مقصور
منه ، واحد خلل النساء » .

١٠- الجون : الأسود المشرب بحمرة ،
أراد أنها سوداء مكان الكحل بلا كحل ،
والمكحل : مكان وضع الكحل ، وشدد
لامه للضرورة .

١١- فى اللسان (ردف) ١١ / ١٤ :
« وأردف الشئ بالشئ وأردفه عليه :
أتبعه عليه » .

١٥- فى اللسان (بدل) ١٣ / ٥١ :
« إنما أراد مبدل ، فشدد اللام للضرورة .
قال ابن سيدة : وعندى أنه شددتها
للقف ، ثم اضطر فأجرى الوصل مجرى
الوقف » .

قال ابن برى : والمشهور فى رجز منظور :
لم تأل عن قتلالی ، على الحكاية ،
أى عن قولها : قتلا له ، أى اقتلوه ،
ثم يدغم التنوين فى اللام ، فيصير
فى السمع على ما زواه الجوهري (قَتَلَى) .
قال : وليس الأمر على ماتأوله » .

٨- فى المحكم لابن سيدة ٢ / ٣٢٠
واللسان (عطيسيل) ١٣ / ٤٨٣ :

١٨- الصحو : مصدر من مصادرها يصحو . والمستبل : الذى برأ وصح . وفى شرح شواهد الشافعية ٢٥١/٤ : «ومستبل من أبىل من مرضه إذا صح وتوجه إلى العافية » .

٢٠- فى خزنة الأدب ٥٥٢/٢ : « وقوله : إن تبخلى ، هو من البخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك ، وجمل بضم الجيم : من أساء نساء العرب . وتعتلى : من الاعتلال ، وهو التمارض والتمسك بحجة » . وانظر كذلك شرح شواهد الشافعية ٢٥٠ / ٤

٢١- فى خزنة الأدب ٥٥٢/٢ : « والظاعن من ظعن - من باب نفع - إذا ارتحل . والمولى : من وليت عنه ، إذا أعرضت عنه وتركته . وتنتلى ، وتصبحى معطوفان على تبخلى : ولهذا جزأ بحذف النون » .

٢٢- فى شرح شواهد الشافعية ٢٥١/٤ . « وتعدنى : تتجاوزنى . وحاج : جمع حاجة » .

٢٣- فى شرح شواهد الشافعية ٢٥٠/٤ : « نسل : من التسلية ، وهى تطيب ،

النفس ، وهو جواب الشرط . والمغتل - بالعين المعجمة : الذى قد اغتلت جوفه من الشوق والحب والحزن ، كغلة العطش » . وفى خزنة الأدب ٥٥٢/٢ : « نسل : جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء ، وأوله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهم ونحوه بالسلو . قال أبو زيد : السلو طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغم والحزن . والهائم : أراد به الشاعر نفسه ، وهو من هام إذا خرج على وجهه لا يدري أين يتوجه ، إن سلك طريقاً مسلوكاً ، فإن سلك طريقاً غير مسلوك ، فهو راكب التعاسيف . كذا فى المصباح . والمغتل - بالعين المعجمة : من الغلة بالضم . وهى حرارة العطش »

٢٤- فى نوادر أبى زيد ٥٣ : « قال أبو الحسن : عَيْهَلٌ ، وجاء فى الشعر : عَيْهَلٌ ... والوجناء : الوثيرة القصيرة . والعيهل : الطويلة ... قال أبو الحسن : حفظى عن الأصمعى الذى لا أشك فيه أن الوجناء الغليظة ، مأخوذة من الوجين ، وهو ماغلظ من الأرض . والعيهل : السريعة » . وفى الصحاح (عهل)

١٧٧٨/٥ : « العيهل من النوق : السريعة .
قال أبوحاتم : ولا يقال جمل عيهل ...
وربما قالوا : عيهل مشدداً في ضرورة الشعر » .
وفي المحتسب ١/٧٦ : « يريد :

العيهل ، فنوى الوقف ، فثقل ثم أطلق
وهو يريد الوقف » . وفي خزانة الأدب
٢/٥٥٢ : « وقوله : ببازل ، متعلق
بنسل . والبازل : الداخِل في السنة
التاسعة من الإبل ، ذكرها كان أو أنثى ،
والمراد هنا الثاني لقوله : وجناء ،
وفسرها أبوزيد بالوثيرة بالثاء المثناة ،
وهي الكثيرة اللحم . والتي لاتتعب
راكبها . والمشهور تفسيرها بالناقعة
الشديدة . والعيهل : فسرها أبوزيد بالطويلة .
وقال غيرد : هي السريعة . قال صاحب
العباب : العيهل والعيهلة : الناقعة السريعة .
قال أبوحاتم : ولا يقال جمل عيهل .
وتشديد اللام لضرورة الشعر اه . وبه
يظهر فساد قول السخاوي في سفر
السعادة : إن العيهل النجيب من الإبل
الأنثى عيهلة ، ويرد عليه أيضاً قوله :
وجناء » . وانظر سفر السعادة للسخاوي
١١٠ ب .

٢٥- مراد النسع ، بفتح الميم : المكان
الذي يتحرك فيه النسع من جانبي الدابة

وبطنها . والنسع : الجبل أو السير
يضفر ، ويجعل حزاماً للدابة . والمدخل
الذي يدخل بعضه في بعض الضفر .
وشدد اللام للضرورة .

٢٦- الحيزوم : الصدر . والرحى من
البعير : هي القرص المستدير الذي
يلامس الأرض إذا برك . والمرحل :
حيث يشد الرُّحْل ، وشدد لامه للضرورة .
وقال في اللسان (دخل) ١٣/٢٥٤ :
« إنما أراد المُدْخَلَ والمَرْحَلَ ، فشدد
للووقف ، ثم احتاج فأجرى الوصل
مجرى الوقف » .

٢٧- الدف والدفعة . الجنب . والمزل :
من الزلل وهو الزلق . وفي اللسان (زلل)
١٣/٣٢٥ : « من دَفَع مَزَل » . قال ابن
سيادة : « يجوز أن يكون : مَزَل بدلاً من سلم
ولا يكون نعمتا ؛ لأنَّ تَمَعْلًا لم يعجى صفة .
وجوز أن تكون الرواية : مُزَل . بضم
الميم »

٢٨- الزحاليف : جمع زحلوقة ، وهي
المكان الأملس ، الذي يتزلج عليه
الصبيان من فوق التل . ونعف التل :
ما انحدر منه . ومعنى هذه الآبيات أن
الموضع الذي يقع عليه النسع بين رحى

القافية». وفي خزانة الأدب ٥٥٢/٢ :
«وقوله : مهواها ، مصدر بمعنى الهوى
والسقوط . والكلكل كجعفر : الصدر
وتشديد اللام ضرورة أيضاً» .

٣٦- في نوادر أبي زيد ٥٣ : «الزُّلَّ :
الملس» . وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢
«والزُّلُّ القليلة اللحم» . وفي خزانة
الأدب ٥٥٢/٢ : «وثغفات : جمع ثفنة ،
بفتح المثناة وكسر الفاء بعدها نون ،
وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل
استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما .
وزُلَّ - بالضم : جمع أزلَّ ، وهو الخفيف ،
وفسره أبرزيد بملس ، وهو غير مناسب
إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظة
من الناقة بكثرة الاستناخة ، بكفى راهب
قد شئت وخشنت من كثرة اعتماده عليها
في السجود» .

٣٨- في خزانة الأدب ٥٥١/٢ وشرح
شواهد الشافية ٢٥٠/٤ : «والغَبْشُ -
بفتحتين : بقية الليل ، وأراد بالتجلى :
النهار» . وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢ :
«التتلى : ما يتلو ضوء الفجر الأول
من الضوء الذي بعده . ويروى : أو التجلى :
أن يعم الضوء كل شيء» .

الحيزوم والمرجل ، يتحات شعره حتى
يصير أملس كالزحاليق بنعف التل .

٢٩- نوط ، يريد : نيط ، على لغة من
يقول : «بوع» في «بيع» . وفي اللسان
(خلل) ٢٣٣/١٣ : «والخل : عرق في
العنق متصل بالرأس» .

٣٠- في اللسان (مهل) ١٥٧/١٤ :
«اتمهل اتمهلاً ، أى اعتدل وانتصب» .

٣١- العجل بالفتح : شراع السفينة .

٣٢- في اللسان (نوف) ٢٥٨/١١ :
«فلاة نياف : طويلة عريضة» .

٣٣- في اللسان (سهك) ٣٣٠/١٢ :
«وسهكت الدابة سهوكاً : جرت جرياً
خفيفاً ، وقيل سهوكها : استنأها بميناً
وشمالاً . وأساهيكها : ضروب جريها ،
واستنأها... أراد : ذى آل ، وهو السرعة
وإن شئت قلت : إنه وصفه بالمصدر» .
والعتيق : الكريم ، يريد به البعير .

٣٤- في اللسان (شمل) ٣٩٤/١٣ :
«وجمل شمل وشملال وشمليل : سريع» .

٣٥- في تهذيب الألفاظ ٤١٢ : «الكلكل :
الصدر . واحتاج إلى تشديد اللام من أجل

٣٠- في شرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤ :
« شبه الأعضاء الخشنة من الائمة بكثرة
الاستناخة ، بكفى راهب قد خشنتنا
من كثرة اعتماده عليهما في السجود » .
وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢ : « شبه موقع
ثفناته إذا برك ، بموقع كفى راهب على
الأرض إذا صلى . قال وعندي أنه
أراد أن يشبه يدي الراهب وركبته
بثفنيات البعير ، فاقتصر على ذكر اليدين
لأنه يعلم أن المصلي لا يدع يديه على
الأرض ويرفع ركبتيه » . وفي خزانة
الأدب ٥٢/٢ : « وروى : رجلى راهب ،
بدل : كفى راهب » .

٤٢- في اللسان (خوص) ٣٠٠/٨ : « ابن
الأعرابي خوص الرجل : إذا ابتداءً
بإكرام الكرام . ثم اللثام ... وفسره
فقال : خوصاً أى ابتداءً بخيارها وكرامها
يقول : قدم خيارها وجلتها وكرامها
تشرب : فإن كان هنالك قلة ماء كان
لشربها ، وقد شربت الخيار عَفْوته
وصَفْوته . قال ابن سيده : هذا معنى
قول ابن الأعرابي ، وقد لطفنا أنا تفسيره .
ومعنى (بَدَلُ) أن النافذة الكريمة تنسل
إذا شربت فتدخل بين ناقتين » . وفي

المقاييس ٢٢٩/٢ : « يقول : قرباً إليكما
شيئاً بعد شيء ، ولا تدعاهما تداءك على
الحوض » أى تزدهم عليه .

٤٣- في شمس العلوم ٢٦٠/٢ : « والرفل :
الطويل أى قريباً إليكما شيئاً بعد
شيء » . وفي تهذيب إصلايح المنطق
٣٧/١ : « والرفل : التام » وفي اللسان
(خوص) ٣٠٠/٨ : « وقوله : من كل ذات
ذنب رفل . قال : لا يكون طول شيء
الذنب وضفود إلا في خيارها » .

٤٤- في أساس البلاغة ١٦٨/١ : « حرق
المرعى الإبل : عطشها » . وفي تهذيب
إصلايح المنطق ٣٨/١ : « حرقها : أى
حرق أجواف الإبل رعى الحمض ، وليس
لها ماء » . وفي اللسان (فلل) ٤٧/١٤ :
« الفيل : الأرض القفرة » . وفي إصلايح
المنطق ٢٥ : « والفيل : الأرض التي لم يصبها
مطر ، وجمعها : أفلال . وقد أفللنا ، إذا
وطئنا أرضاً فلا » .

٤٥- في إصلايح المنطق ٢٥ واللسان (فلل)
٤٧/١٤ : « الغم : شدة الحر الذي يأخذ
النفس » . وفي تهذيب إصلايح المنطق
٣٨/١ : « والغم : شدة الحر والأخذ

صناعة الإعراب ١/١٧٧ ١٤/٢٣٥ وشرح
ابن يعيش ٨٢/٩

٥- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩
ولسان العرب (طول) ١٣/٤٣٩ (قتل)
١٤/٦٦ وجمهرة اللغة ٣/٤٩٧ وتاج
العروس (عرض) ٥/٥٣ (طول) ٧/٤٢٣
وتهذيب لإصلاح المنطق ٢/٢٩ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٢/٥٣٤ وسر
صناعة الإعراب ١/١٧٨ ١٤/٢٣٥ واللسان
(أنن) ١٦/١٧٨ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩ والصحاح (طول) ٥/١٧٥٤ (قتل)
٥/١٧٦٩ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٧٣
والمحتسب ١/١٣٧ والقوافي للأخفش ٩٠
وشرح القصائد السبع ٥٠

٦- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩ واللسان
(طول) ١٣/٤٣٩ (قتل) ١٤/٦٦ وجمهرة
اللغة ٣/٤٩٧ وتاج العروس (عرض)
٥/٥٣ (طول) ٧/٤٢٣ وتهذيب لإصلاح
المنطق ٢/٢٩ وبلا نسبة في مجالس
ثعلب ٢/٥٣٤ وسر صناعة الإعراب
١/١٧٨ ١٤/٢٣٥ واللسان (عرض) ٩/٣٠
(أنن) ١٦/١٧٨ وإصلاح المنطق ١٧٠
وشرح ابن يعيش ٩/٨٢ والصحاح (طول)
٥/١٧٥٤ (قتل) ٥/١٧٩٩ والوساطة
للجرجاني ٤٦٤ وإعجاز القرآن للباقلاني

بالنفس ؛ أى طلع نجم الحر . ويروى :
غيم نجم ، والغيم : العطش . وفى
اللسان (غم) ١٥/٣٢٩ : «غير مستقل :
أى غير مرتفع ؛ لثبات الحر المنسوب
إليه ؛ وإنما يشتد الحر عند طلوع الشعري
التي فى الجوزاء» .

٤٦- فى تهذيب لإصلاح المنطق ١/٣٨ :
«والتيب : جمع ناب ، يريد أنها قد
اشتد عليها العطش ، فما تكاد تولى عن
الحوض لما وردت ؛ لما نالها من العطش» .
وفى الاقتضاب ٣٠٩ : «أى ما تكاد تولى
عن الحوض لشدة حاجتها إلى الماء» .

تخرىج أبيات القصيدة :

١- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨ وبلا
نسبة فى المحتسب ١/٢٧٦
٢- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨ وبلا
نسبة فى المحتسب ١/٢٧٦
٣- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨
والخصائص ٢/٢٦٢ وبلا نسبة فى مجالس
ثعلب ٢/٥٣٣ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٧ ؛
١/٢٣٥ وشرح ابن يعيش ٩/٨٢
٤- شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨ وبلا
نسبة فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٣ وسر

- ١٧٣ وتهذيب اللغة ١٧/١٤ والمحتسب^{٥٦}
 ١٣٦/١ وشرح القصائد السبع ٥٠
 والقوافي للأخفش ٩٠
- ٧- شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ ولسان
 العرب (طول) ٤٣٩/١٣ (قتل) ٦٦/١٤
 وتهذيب لإصلاح المنطق ٢٩/٢ وتاج
 العروس (عرض) ٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧
 وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وسر
 صناعة الإعراب ٢٣٥/١ واللسان (عرض)
 ٣٠/٩ (أنن) ١٧٨/١٦ وإصلاح المنطق
 ١٧٠ والصحيح (قتل) ١٧٩٩/٥ والوساطة
 للجرجاني ٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٧/١٤
- ٨- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢
 وبلا نسبة في مادة (عطيل) من اللسان
 ٤٨٣/١٣ والتاج ٢٤/٨ والمحكم لابن
 لابن سيده ٣٢٠/٢
- ٩- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢
 وبلا نسبة في مادة (خلل) من اللسان
 ٢٣٤/١٣ والتاج ٣٠٩/٧
- ١٠- المحتسب ١٣٧/١ ٢٧٦/١٤
- ١١- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
 في مادة (ردف) من اللسان ١٤/١١
 والتاج ١١٦/٦
- ١٢- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
 في مادة (ردف) من اللسان ١٤/١١
 والتاج ١١٦/٦ وهو في المحكم لابن سيده
 ٢٥٢/٢ ولسان العرب (علا) ٣١٦/١٩
- ١٣- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢
- ١٤- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
 في اللسان (بدل) ٥١/١٣
- ١٥- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
 في اللسان (بدل) ٥١/١٣
- ١٦- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢
- ١٧- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وشرح شواهد
 الشافية ٢٥١/٤ وسفر السعادة ١١٠ ب .
- ١٨- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وشرح شواهد
 الشافية ٢٥١/٤
- ١٩- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢
- ٢٠- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
 الشافية ٢٤٩/٤ واللسان (عهل) ٥٠٩/١٣
 وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وسفر السعادة
 ١١٠ أ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة
 في اللسان (عسس) ١٥/٨ والمحكم
 لابن سيده ٣٠/١ وأمالى ابن الشجري
 ١٧٧٩/٥ (عهل) ٥٠/١ والصحيح (عهل) ١٧٧٩/٥

والشنتمرى ٢٨٢/٢ وبلا نسبة في مجالس
ثعلب ٥٣٥/٢ وسر صناعة الاعراب
١٧٨/١ ولسان العرب (بدل) ٥١/١٣
(فوه) ٤٢٣/١٧ والخصائص ٣٥٩/٢
والمحتسب ١٠٢/١ ؛ ١٣٧/١ ؛ ٢٧٦/١
والمقاييس ١٧٣/٤ والمنصف ١١/١ والصحاح
(عهل) ١٧٧٩/٥ والممتع في التصريف
١١١/١ والمحكم لابن سيده ٦٥/١ ؛
٣١٣/٤ والإنصاف ٤٥٧ والقوافى .
للأنفوش ٩٠

٢٥ - شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر
صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩

٢٦ - شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٥ وسر
صناعة الإعراب ٧٨١/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩

٢٧ - من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢
وبلا نسبة في اللسان (زلل) ٣٢٥/١٣
٢٢١

٢١ - نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٤٩/٤ واللسان (عهل) ٥٠٩/١٣
وسفر السعادة ١١٠ أ وخزانة الأدب
٥٥١/٢ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة
في اللسان (عسس) ١٥/٨ والمحكم
لابن سيده ٣٠/١ وأمالى ابن الشجرى
٥٠/١ والصحاح (عهل) ١٧٧٩/٥

٢٢ - شرح شواهد الشافية ٢٥١/٤ وسفر
السعادة ١١٠ ب .

٢٣ - نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٥٠/٤ وخزانة الأدب ٥٥١/٢
وسفر السعادة ١١٠ أ ؛ ١١٠ ب ؛ ومادة
(عهل) من اللسان ٥٠٩/١٣ والتاج
٤٠/٨ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة
في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر صناعة
الإعراب ١٧٨/١ والمحكم لابن سيده
٦٥/١

٢٤ - نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٥٠/٤ ومادة (عهل) من
اللسان ٥٠٩/١٣ والتاج ٤٠/٨ وسفر
السعادة ١١٠ ب ؛ وتهذيب الألفاظ ٤١٢
وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وأراجيز العرب
١٥٨ ولرجل من بنى أسد في سيبويه

٢٨- شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر
صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣

٢٩- من قصيدته في مجالس ثعلب
٥٣٦/٢ وينسب إلى جندل بن المثنى
الطهوى في جمهرة اللغة ٦٩/١ وتاج
العروس (خلل) ٣٠٦/٧ وهو بلا
نسبة في المنصف ٢٠٥/١ والمحتسب
١٧٨/٢ ومادة (خلل) من الصحاح
١٦٨٩/٤ ولسان العرب ٢٣٣/١٣ وتهذيب
اللغة ٥٧٢/٦

٣٠- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وينسب إلى جندل بن المثنى الطهوى في
جمهرة اللغة ٦٩/١ وتاج العروس (خلل)
٣٠٦/٧ وبلا نسبة في المنصف ٢٥٠/١
ولسان العرب (خلل) ٢٣٣/١٣ (مهمل)
١٥٧/١٤ وتهذيب اللغة ٥٧٢/٦

٣١- مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
٣٢- منه قطعة محرفة في مجالس ثعلب
٥٣٦/٢ هي : « إذا اغتدى عر » .
وهو بلا نسبة في مادة (نوب) من
اللسان ٢٥٨/١١ والتاج ٢٦٣/٦

٣٣- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وبلا نسبة في اللسان (نوب) ٢٥٨/١١
(سهك) ٣٣٠/١٢ وتاج العروس
(نوب) ٢٦٣/٦ (سهك) ١٤٦/٧

٣٤- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وبلا نسبة في اللسان (نوب) ٢٥٨/١١
(شمل) ٣٩٤/١٣ وتاج العروس
(شمل) ٣٩/٧

٣٥- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٥٠/٤ ومادة (كلل) من
اللسان ١١٧/١٤ والتاج ١٠٣/٨ وسفر
السعادة ١١٠ ب وتهذيب الألفاظ ٤١٢
وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وأراجيز العرب
١٥٩ وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وسر صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان
العرب (فوه) ٤٢٣/١٧ والمحتسب
١٠٢/١ والمنصف ١١/١ وتوجيه إعراب
أبيات ملغزة ١٥٥ والمعاني الكبير ٢١٨/١
والصحاح (كلل) ١٨١٢/٥ والمحتسب
١٣٧/١ والمحكم لابن سيده ٣١٣/٤
والأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١ والقوافي
للأخفش ٩٠

٤٢- مقاييس اللغة ٢/٢٢٨ وشمس العلوم
٢/٢٦٠ وتهذيب إصلاح المنطق ٣/٧١
ولسان العرب (خوص) ٨/٣٠٠ وتهذيب
اللغة ٧/٤٧٥ وتاج العروس (خوص)
٤/٣٩٢ وشرح المفضليات ١٣١ ؛
٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم ينسب في أى مصدر
من هذه المصادر ، غير أنه ذكر في بعضها
مع رقم ٤٤ وهو لمنظور .

٤٣- مقاييس اللغة ٢/٢٢٨ وشمس
العلوم ٢/٢٦٠ وتهذيب إصلاح المنطق
١/٣٧٠ ولسان العرب (خوص) ٨/٣٠٠
وتاج العروس (خوص) ٤/٣٩٢ وشرح
المفضليات ١٣١ ؛ ٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم
ينسب في أى مصدر من هذه المصادر ،
غير أنه ذكر في بعضها مع البيت التالى ،
وهو لمنظور .

٤٤- لسان العرب (نيب) ٢/٢٧٥
والتاج (نيب) ١/٤٩٨ وينسب لأبى
صالح مسعود بن قويد الفزارى فى التكملة
١/٢٨١ وتاج العروس (حرق) ٦/٣١٣
(فلل) ٨/٦٦ (غم) ٩/٢ وبلا نسبة
فى لسان العرب (خوص) ٨/٣٠٠
(حرق) ١١/٣٢٦ (فلل) ١٤/٤٧
(غم) ١٥/٣٢٩ وإصلاح المنطق

٣٦- نوادر أبى زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٤/٢٥٠ واللسان (كلل)
١٤/١١٧ وخزانة الأدب ٢/٥٥١ وتهذيب
الألفاظ ١٢٤ وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر
السعادة ١١٠ ب ؛ وبلا نسبة فى الأضداد لأبى
الطيب ١/١٢٨

٣٧- من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦
٣٨- شرح شواهد الشافية ٤/٢٥٠ ،
وتهذيب الألفاظ ١٢٤ وخزانة الأدب
٢/٥٥٢ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب
٢/٥٣٦ والأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨
ولسان العرب (غيش) ٨/٢١٣

٣٩- نوادر أبى زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٤/٢٥٠ ومادة (كلل) من
اللسان ١٤/١١٧ والتاج ٨/١٠٣ وتهذيب
الألفاظ ١٢٤ وخزانة الأدب ٢/٥٥١
وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر السعادة
١١٠ ب ؛ وبلا نسبة فى مجالس ثعلب
٢/٥٣٦ وسر صناعة الإعراب ١/١٧٨
ولسان العرب (فوه) ١٧/٤٢٣ والصحاح
(كلل) ٥/١٨١٢ والمحكم لابن سيده
٤/٣١٣ والأضداد لأبى الطيب ١/١٢٨
٤٠- من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦
٤١- من قصيدته فى مجالس ثعلب ٢/٥٣٦

وتهذيب لإصلاح المنطق ١/ ٣٧ والصحاح
(نيب) ١/ ٢٣٠ ، الاقتضاب ٣٠٩ وشرح
المفضليات ٦٣٦ وإصلاح المنطق ٢٥

قائمة المصادر :

١ - أراحيز العرب ، للسيد توفيق
البكرى - القاهرة ١٣٤٦ هـ

٢ - أساس البلاغة ، للزمخشري -
القاهرة ١٩٢٢

٣ - إصلاح المنطق ، لابن السكيت -
تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون -
القاهرة ١٩٥٦

٤ - الأضداد في كلام العرب ،
لأبي الطيب اللغوي - تحقيق الدكتور
عزة حسن - دمشق ١٩٦٣

٥ - إعجاز القرآن ، للباقلاني - تحقيق
السيد أحمد صقر - القاهرة ١٩٥٤

٦ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ،
للبطليوسي - نشر عبد الله البستاني -
بيروت ١٩٠١

٧ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم
بأمره ، لمحمد بن حبيب - المجلد الثاني

٢٥ وتاج العروس (مختصر)
٣٩٢/٤ ، أساس البلاغة
١٦٨/١ والصحاح (نيب) ١/ ٢٣٠
(حرق) ١٤٥٨/٤ (فلل) ١٧٩٣/٥
(غتم) ١٩٩٥/٥ وتهذيب إصلاح المنطق
١/ ٣٧ والاقتضاب ٣٠٩ وتهذيب اللغة
٨٣/٨ ، ١٥/ ٣٣٥ وشرح المفضليات
٦٣٦

٤٥ - ينسب لأبي صالح مسعود بن قيد
الفزاري في التكملة ١/ ٢٨١ وتاج العروس
(حرق) ٦/ ٣١٣ (فلل) ٨/ ٦٦ (غتم)
٩/ ٢ مع البيت السابق . وبلا نسبة
في لسان العرب (حرق) ١١/ ٣٢٦
(فلل) ١٤/ ٤٧ (غتم) ١٥/ ٣٢٩
والصحاح (نيب) ١/ ٢٣٠ (فلل)
١٧٩٣/٥ (غتم) ٥/ ١٩٩٥ وتهذيب
إصلاح المنطق ١/ ٣٧ والاقتضاب ٣٠٩
وتهذيب اللغة ٨٣/٨ ، ١٥/ ٣٣٥ وشرح
المفضليات ٦٣٦

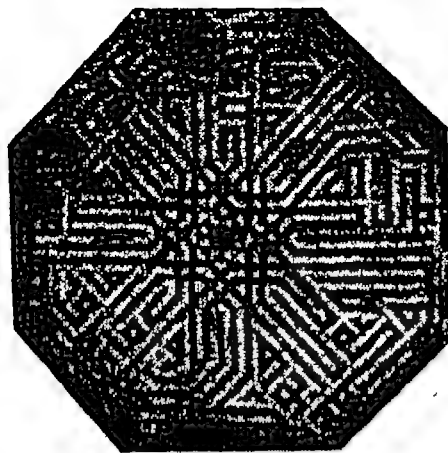
٤٦ - لسان العرب (نيب) ٢/ ٢٧٥ وتاج
العروس (نيب) ١/ ٤٩٨ وينسب لأبي
صالح مسعود بن قيد الفزاري في التكملة
١/ ٨١ وتاج العروس (فلل) ٨/ ٦٦
وبلا نسبة في اللسان (فلل) ١٤/ ٤٧

- من نوادر المخطوطات - تحقيق عبدالسلام
هارون - القاهرة ١٩٥٤ هـ .
- ٨ - الأمالي لابن الشجرى - حيدر
آباد بالهند ١٣٤٩ هـ .
- ٩ - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين
النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي
البركات بن الأنبارى - تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣
- ١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس
للزبيدي - القاهرة ١٣٠٦ هـ .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن ، لابن
قتيبة الدينورى - تحقيق السيد صقر -
القاهرة ١٩٥٤
- ١٢ - التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج
اللغة وصحاح العربية ، للصاغنى -
تحقيق عبد العليم الطحاوى - القاهرة ١٩٧٠
- ١٣ - تهذيب لإصلاح المنطق ، للتبريزى -
القاهرة ١٩٠٧
- ١٤ - تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت -
نشر لويس شيخو - بيروت ١٨٩٥
- ١٥ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري -
تحقيق عبد السلام هارون وآخرين -
القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧
- ١٦ - توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب
المنسوب للرماني - تحقيق سعيد الأفغانى -
دمشق ١٩٥٨
- ١٧ - جمهرة اللغة ، لابن دريد الأزدي -
تحقيق كرنكو - حيدر آباد بالهند
١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .
- ١٨ - خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي
بولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٩ - الخصائص ، لابن جنى - تحقيق
محمد على النجار - دار الكتب المصرية
بالقاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ هـ .
- ٢٠ - سر صناعة الإعراب ، لابن جنى -
تحقيق مصطفى السقا وآخرين -
القاهرة ١٩٥٤
- ٢١ - سفر السعادة وسفير الإفادة .
لعلم الدين السخاوى - مخطوط بدار
الكتب المصرية برقم ٧٨ مجاميع م .
- ٢٢ - شرح شواهد الشافية . لعبد القادر
البغدادى - تحقيق محمد الزفزاف
وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٢٣ - شرح الشواهد للشنتمرى - على هامش
كتاب سيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .

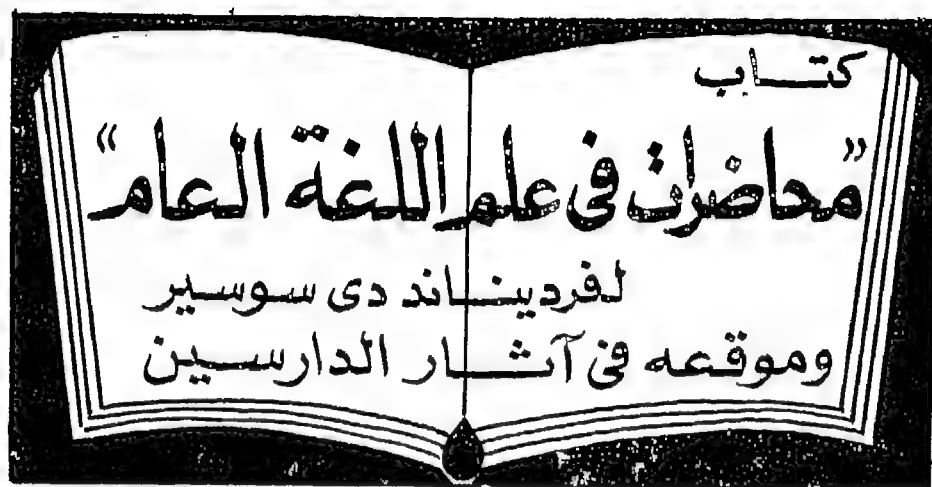
- ٢٤- شرح القصائد السبع الطوال
انجاليات ، لابن الأنباري - تحقيق
عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٣
- ٢٥- شرح المفضليات ، لأبي محمد
القاسم بن بشار الأنباري - تحقيق
لايل - بيروت ١٩٢٠
- ٢٦- شرح ابن يعيتش للمفصل -
المطبعة المنيرية بالقاهرة (بلا تاريخ) .
- ٢٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب
من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري -
طبعة عيسى الحلبي بالقاهرة (بلا تاريخ) .
- ٢٨- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات
الجامع الصحيح ، لابن مالك - تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٥٧
- ٢٩- الصحاح للجوهري = تاج اللغة
وصحاح العربية ، لأبي نصر الجوهري -
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار -
القاهرة ١٩٥٦
- ٣٠- القوافي ، لأبي الحسن سعيد بن
مسعدة الأنخفش - تحقيق الدكتور
عزت حسن - دمشق ١٩٧٠
- ٣١- الكتاب ، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ -
١٣١٧ هـ .
- ٣٢- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي
بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ .
- ٣٣- المؤلف والمختلف ، للآمدي -
تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦١
- ٣٤- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام
هارون - القاهرة ١٩٦٠
- ٣٥- المحتسب في تبين وجوه سواد
القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني -
تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين -
القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٣٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ،
لابن سيدة الأندلسي - تحقيق مصطفى
السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ وما بعدها .
- ٣٧- المعاني الكبير ، لابن قتيبة الدينوري
حيدر آباد بالهند ١٩٤٩
- ٣٨- معجم الشعراء ، للمرزباني - تحقيق
عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦٠
- ٣٩- مقاييس اللغة ، لابن فارس -
تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة
١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ .

- ٤٠- الممتع في التصريف ، لابن عصفور
الإشبيلي - تحقيق فخر الدين قباوة -
حلب ١٩٧٠
- ٤١- المنصف ، لابن جنى - شرح
التصريف للمازني - تحقيق إبراهيم مصطفى
وعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٤
- ٤٢- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري-
نشر سعيد الشرتوني - بيروت ١٨٩٤
- ٤٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه ،
لعل بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق
على البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم-
القاهرة ١٩٥١

رمضان عبد التواب







للدكتور كمال محمد بشر

نورين Noreen ، ماشيس Mathesius
تروبتسكوى [Trubetzkoy] ، ميه Meillet
وهيلمسلف Hjelmslev ، ولكن دي سوسير
يفوق هؤلاء جميعاً بميزتين مهمتين :

١ - تعد أفكار دي سوسير وآراؤه بداية
علم اللغة الحديث بوصفه موضوعاً أكاديمياً
مستقلاً ، كما يبدو في صوته الحاضرة .

٢ - كثير من الموضوعات والتعريفات
العلمية المعترف بها في العالم الآن ، والتي
تعد أساسيات في الدراسات اللغوية الحديثة ،
قد اتضحت لأول مرة على يديه وبفضل
جهوده الخاصة (١) .

ومما يؤكد أهمية آراء هذا العالم ويشير
إلى خطورة أفكاره ، أن أصبح اللغويون
[المحترفون يصنفون ويقسمون إلى مجموعات ،
منسوين إليه جميعاً . فهم على رأى أستاذنا
فيرث - أما :

١ - Saussureans

= [السوسيريون .

٢ - anti - Saussureans

أواخر القرن الماضي
وأوائل هذا القرن الذي
نعيش فيه ، حظى الدرس
اللغوي بالقارة الأوروبية بعقريّة نادرة المثال .
ونعني بتلك العقريّة ذلك اللغوي السويسري
الشهير فرديناند دي سوسير Ferdinand
de Saussure

ويحتل دي سوسير في نظر الدارسين
مكانة خاصة ، قل أن يشاركه أويديانيه
فيها غيره من اللغويين المحدثين . إنه في
نظرهم أحد الرواد القلائل الذين وضعوا
حجر الأساس لعلم اللغة الحديث . وهو
بالإضافة إلى ذلك يمثل مدرسة فكرية جديدة
من نوع لم يألفه الناس من قبل : مدرسة
استطاعت أن ترسم حدوداً واضحة المناهج
من البحث كانت بمثابة اللبنة الأولى لكل
الاتجاهات الجديدة في الحقل اللغوي المعاصر .

لسنا ننكر أن القارة الأوروبية قد شهدت
في تاريخها الطويل شخصيات لغوية أخرى
فذة ، أمثال همبولت Humboldt ،

(1) See, Robins: General Linguistics: An Introductory Survey, P. 32.

العشرين (أو الثانية والعشرين ، على مايرى بعضهم)^(٢) حين كان طالبا بجامعة لينزج . ويقول الدارسون : إن هذا البحث - بالرغم من اعتماده على حقائق كانت معروفة آنذاك -- يعد أشمل دراسة وأعمقها فيما يختص بهذا الموضوع (٣) . وتتنظم هذه الصفحات المذكورة كذلك دراسات أخرى من أنواع متفرقة .

أما شهرة دي سوسير الحقيقية فتنسب في الأساس إلى محاضراته القيمة التي ألقاها على طلابه في معهدين كبيرين من معاهد العلم في أوروبا . أولهما : معهد الدراسات العليا بباريس *École de Hautes Études* حين كان في الوقت نفسه يشغل منصب الأمانة العامة للجمعية اللغوية هناك . وثانيهما : جامعة جنيف . حين تربع على كرسى الأستاذية سنة ١٩٠٦ خلفا للعالم الكبير Joseph Wertheimer

وقد كانت هذه الفترة الثانية - فترة أستاذيته بجنيف - أخصب سني حياته وأكثرها تأثيرا في عقول الدارسين . وهذه الفترة نفسها - بالرغم من قصرها - هي التي شاهدت أفكار هذا العبقري تتجاوز

= معارضو السوسيريين .
٣ - Post — Saussureans
= السوسيريون المتأخرون .
أو ٤ - non — Saussureans^(١)
= اللاسوسيريون .

وما ذلك في رأينا إلا لأن دي سوسير قد أثر في الدارسين تأثيرا لا يعدله بحال تأثير أي لغوي فرد على الإطلاق ؛ فقد نجح الرجل في إثارتهم جميعاً وشد انتباههم إليه ، بما ألقى في الحقل اللغوي من أفكار جريئة ومبادئ غير مألوقة لهم من قبل . وقد حمل هذا بعض الدارسين إلى اتباعه والتحمس لتعاليمه كما دفع آخرين إلى إلم معارضته والتصدي لنظرياته .

ولا ترجع شهرة دي سوسير ومكانته العلمية إلى كثرة نتاجه أو كثرة المنشور منه . فكل مانشر في حياته لا يتجاوز ستمائة صفحة ، وهي تشمل رسالته للدكتوراه التي اتبع في كتابتها الخطوط التقليدية لمناهج البحث ، كما تشمل بحثا قويا عن « نظام الحركات » Vowel system في اللغة الهندية الأوربية الأم : Proto—Indo—European وقد قام بهذا العمل الأخير وهو في سن

(1) Firth : Papers in linguistics, P.179.

(٢) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب دي سوسير :

Course in General Linguistics, P. XI, translated by W. Baskin (Peter Owen, London 1960).

وانظر أيضا :

New Trends in Linguistics, by B. Malmberg, P. 36.

(٣) مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب السابق ص ٤١

وقد كان ذلك حافزاً للنابهن من طلابه إلى جمع « مذكراتهم » الخاصة بعد مراجعتها ومقارنتها بما عسى أن يكون الأستاذ قد تركه من مخطوط لدى أسرته ، وضم ذلك كله بعضه إلى بعض وإخراجه في صورة كتاب كامل يحمل ذلك العنوان المشهور في الدرس اللغوي الحديث :

Cours de linguistique générale

وخرج الكتاب إلى الناس لأول مرة سنة ١٩١٦ (٢) بعد جهود شاقة قام بها تلميذاه الوفيان Charles Bally و Albert Sechehaye . وقد ساعدهما في بعض المراحل تلميذ ثالث هو A. Reidinger وقد اضطروا جميعاً إلى اتخاذ خطوات معينة تضمن صحة المادة وسلامتها والظفر بأفكار أستاذهم كاملة دون تزييف .

ولم يكن هذا العمل بطبيعة الحال أمراً هيناً ، فمذكرات الطلاب مهما بلغت من الدقة يعوزها الوضوح والكمال أحياناً ، بما قد يلحقها من اضطراب العبارة أو تكرارها ، أو تداخل الأفكار بعضها ببعض . ويزيد في هذا الاضطراب والخلط أن دى سوسير كان يلقي بأفكاره على طلابه ارتجالاً ، كما كان كثير الحركة أثناء الإلقاء وقد جعل هذا السلوك مهمة التسجيل لما يقول

الحدود التقليدية للبحث اللغوي ، وتخط للباحثين خطوطاً جديدة تنسم بالأصالة والابتكار .

ولقد ألقى الأستاذ محاضرات هذه الفترة اثنية على ثلاث دورات . بدأت عام ١٩٠٦ ، وانتهت عام ١٩١١ . وكان المفروض أن تخصص هذه المحاضرات كلها لعلم اللغة العام ، ولكن دى سوسير اضطرب بحكم طبيعة عمله في الفترة الأولى - إلى أن يرج من آن إلى آخر على تاريخ اللغات الهندية الأوروبية ووصف مشكلاتها . ولقد كان من نتائج هذا السلوك - كما يقرر ناشرو هذه المحاضرات - أن الجزء الأساسي من موضوعه (وهو علم اللغة العام) لم يحظ بالعناية التي يستحقها (١) .

وقد أدى هذا إلى حرمان الدارسين من مادة قيمة كان بوسع دى سوسير أن يقدمها إليهم في سهولة ويسر .

وفي سنة ١٩١٣ وضع القدر نهاية لهذا الفكر الخصب بوفاة دى سوسير ، تاركاً طلاب اللغة جميعاً بدون مرجع يلجئون إليه لتوضيح آرائه ونظراته ، وهي آراء لا يغني فيها أى مرجع آخر ، ونظرات يعوزها البسط والتفصيل أحياناً ، هذا بالإضافة إلى أنها - في جملتها - من ابتكار الرجل ومن صنع ذاته وحده .

(١) مقدمة الناشرين للكتاب المذكور ص xiii .

(٢) ترجم الكتاب إلى الألمانية سنة ١٩٣١ ، وإلى الأسبانية سنة ١٩٤٥ ، كما ظهرت له ترجمة انجليزية سنة ١٩٦٠ انظر ص ٢٢٩ ، ملحوظة (٢) ونحن في سبيل الانتهاء من ترجمته إلى العربية .

يعمدون إلى توضيح ما استتبعهم بإشارات تفسيرية في هامش الكتاب .

وقد يوجه النقد مباشرة إلى الناشرين في بعض النقاط . من ذلك مثلاً أنهم حاولوا نسبة بعض الحقائق العلمية إلى أستاذهم . بالرغم من أنها كانت معروفة من قبله ، ونوقشت بالفعل في بحوث سابقة لمحاضراته ، كما يبدو ذلك الأمر جلياً في بعض القضايا التي أثبتت حول موضوع التطور الصوتي Phonetic change . ولكن الناشرين - ولركن احتمال توجيه هذا النقد - يجيبون - وهم على حق - بأن ما نسبوه لأستاذهم في هذا المجال ليس تزييفاً للأمر ، وإنما هو في الحقيقة من صناعه ، وإن كان ذلك من زاوية معينة . تتمثل تلك الزاوية في قدرة دى سوسير على ربط هذه القضايا بموضوع آخر لاشك إطلاقاً في أنه صاحبه وصانعه بالدرجة الأولى ، وهو منهجه الخاص بعلم اللغة الذي نعتة « بالسكروني » synchronic في مقابل علم اللغة « الدياكروني »^(١) diachronic (انظر ص ٢٣٤) .

على أن بالكتاب نقاط ضعف أخرى ، تظهر في المادة العلمية ذاتها ولكنها هذه المرة ترجع إلى دى سوسير نفسه . من هذه النقاط ما نلاحظه هنا وهناك من إيجاز مخل ، حيث يكتفى الأستاذ أحياناً بلمس

أمرأ فيه قدر كبير من الصعوبة . ويروى كذلك أن الأستاذ كان يطلق العنان لأفكاره أحياناً وينتقل من نقطة إلى أخرى بدون تنبيه لطلابه أو تحذير لهم ، حتى ليكاد يخرج عن الموضوع أو يناقض نفسه من آن إلى آخر .

وقد وضع طلابه القائمون بهذه المهمة هذه الأمور كلها نصب أعينهم . ومن ثم راحوا يجمعون ما يمكن جمعه من مذكرات الدورات الثلاث ومقارنتها ببعضها ببعض ، معتمدين على محاضرات الدورة الثالثة كنقطة بداية للعمل . وفي نهاية المطاف خرجوا بالكتاب في صورة متكاملة .

ولكن بالرغم من هذا الجهد الكبير فقدت بدت بالكتاب بعض أوجه القصور التي يستطيع أن يدركها من له دراسة بالبحث اللغوي .

من أهم هذه الوجيه في نظرنا ما يتسم به الكتاب من تعقيد واضطراب في العبارة أحياناً ، حتى ليعجز المرء في أكثر من مناسبة عن إدراك المقصود . وذلك بالطبع أمر يمكن تفسيره ، إذ من الصعب أن ترقى عبارة الطالب إلى عبارة الأستاذ في الدقة والوضوح ، وبخاصة في مثل تلك الظروف التي أحاطت بالقاء دى سوسير لمحاضراته . وقد أحس الناشر بهذا الأمر ، فكانوا

(١) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب ، ص Xiii وما بعدها .

ركز دى سوسير جل اهتمامه أو كله على « اللغة » ووجه كل عنايته إلى « العلم » الذى يكرس جهوده لبحثها وهو « علم اللغة » بالمعنى الصحيح ، على حين لم يأخذ « الكلام » فى حسبانته إلا على ضرب من التسامح وفى حدود ضيقة إلى أبعد حد . ولم يشأ دى سوسير كذلك أن يضع منهاجاً أو أن يخط مبادئ علم معين لدراسة « الكلام » فى الوقت الذى يعترف فيه بأنه يستحق الدراسة ، وبالرغم من أنه صاحب ثنائية « اللغة - الكلام » التى كان ينبغي أن تقابلها ثنائية فى المنهج أو طرائق البحث :

ولا يعلم قارئ الكتاب كذلك أن يجد أفكاراً يناقض بعضها البعض الآخر ، كما يظهر ذلك مثلاً فى استعمال بعض المصطلحات . « فالرمز اللغوى » le signe linguistique بوصفه مصطلحاً ، قد خرج باستعماله عن المفهوم التقليدى وهو « الدال » signifiant وأطلقه على معنى جديد ينتظم مجموع شيئين متلازمين ، هما « الفكرة » concept (أو ما يشار إليه عادة بالمدلول Signifié) والصورة الذهنية للأصوات sound — image (أو ما يعرف عند الآخرين بالدال signifiant). وهذا يعنى أن « الرمز اللغوى » عنده وحدة متكاملة ذات جانبيين لا يمكن فصلهما أو عزلهما بعضهما عن بعض ، شأنهما فى ذلك شأن صفحتى الورقة (٢) .

بعض المسائل المهمة لمسا خفيفاً ، فترك القارئ منها للغموض وسوء الفهم . وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرض للسيانتيك أو علم الدلالة أو « السيمية » باصطلاح مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فقد أشار إلى هذا الموضوع لإشارات عابرة لا تشفى غلة ، ولا تمكن الدارس من التعرف على رأى دى سوسير فيه تعرفاً دقيقاً . هذا ما فعله دى سوسير ، بالرغم من أنه قد ناقش فى ثنايا كتابه بعض الجوانب المهمة للسيمية ، كالرمز اللغوى مثلاً أو ما سماه le signe linguistique ، وبالرغم من أن فكرته عن هذا « الرمز » كانت بمثابة الانطلاقة الحقيقية لعلم « السيانتيك » الحديث ، كما كانت أساساً مهماً لتفريع قضاياها وإثارة مشكلاته ، على نحو ما يجرى فى الدراسات المعاصرة الخاصة بهذا العلم .

ربما يعتذر عن دى سوسير هنا بأنه فى حقيقة الأمر لم يكن يهدف فى هذه المحاضرات إلى معالجة كل نقاط الدرس اللغوى ، وإنما كانت لديه أفكار معينة ، يرى إلى إبرازها وتأكيد أهميتها حتى يتبناها طلابه والدارسون من بعده .

وقد يؤخذ عليه كذلك أنه أهمل أحد طرفى « ثنائيته » المشهورة والمعروفة باللغة langue والكلام parole (١) ، ولم يعطه نصيباً من النظر والدرس . لقد

(١) انظر ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢) انظر : الملبرج ، السابق ص ٤١ - ٤٤

الرجل في محاولة التعرف على الخيوط الرفيعة التي تربط هذه الدقائق بعضها ببعض والتي تقود إلى استخلاص قاعدة عامة على نحو ما من هذه الأمثلة المتفرقة .

والكتاب فوق هذا وذاك يمثل خلاصة آراء هذا اللغوي الكبير واتجاهاته نحو عدد من المسائل الخطيرة التي تكون في جملتها نظرية متكاملة ، جديرة أن تنسب إليه وحده . والحق أن مناقشة أية مسألة من هذه المسائل - على نحو ما جرى في محاضرات دى سوسير - تقود في نهاية المطاف إلى نظرية خاصة بهذه المسألة أو تلك . ولكننا بالرغم من ذلك نعد هذه النظريات « الجزئية » أو « النوعية » حلقات متصلة من التفكير تأخذ بيدنا في النهاية إلى كل متلائم الأطراف متناسق الوحدات ، تتمثل فيما يمكن أن يسمى « نظرية دى سوسير في البحث اللغوي » .

وقد كانت أفكار دى سوسير ومبادئه اللغوية تدور في عمومها حول هدفين رئيسيين : أولهما : تصحيح بعض الآراء الزائفة التي كانت تشيع في أوساط التقليديين من اللغويين . وثانيهما : محاولة تخليص البحث اللغوي من تبعيته للعلوم الأخرى وتخصيص علم مستقل ذي حدود معينة يقوم على النظر في اللغة والكشف عن حقيقتها .

كما كان دى سوسير كذلك يصدر في كل ما أتى به عن فكرة معينة ألحت عليه إلحاحاً شديداً في كل أعماله . تتمثل

وليس ينكر أحد على دى سوسير أو غيره حقه في استعمال المصطلحات في مفهومات جديدة ، متى قام بتحديدتها ، وبيان المقصود منها ، ولكن الذي نأخذه عليه هو أنه قد خالف هذا الاستعمال بنفسه أحياناً ، حيث كان يطلقه على المعنى التقليدي ، وهو « الدال » فقط ، الأمر الذي أدى إلى الخلط وسوء الفهم لبعض مسائل الكتاب .

ومهما يكن من أمر فكتاب دى سوسير يعد واحداً من تلك الآثار العلمية التي وضعت على الطريق معالم بارزة في مناهج البحث اللغوي الحديث والتي كونت - بجديتها وعمقها - علماً مستقلاً له كيانه الخاص .

ولسنا نبالغ إذا قررنا أن محاضرات دى سوسير هذه كانت أكبر أثراً من غيرها في هذا المجال ، لاحتوائها على أفكار ومبادئ تعرف لأول مرة في تاريخ الدراسات اللغوية ، أو على الأقل تولت شرح أو تفنين أمثلة جزئية من الأفكار ، كانت تطلق قبله هنا وهناك دون القدرة على الربط بينها وإخراجها في صورة نظريات أو مناهج متكاملة .

ولعل أبرز سمة يتصف بها كتاب دى سوسير هي اهتمامه بالمبادئ العامة دون الدخول في الدقائق والتفصيلات ، أو التعرض للأمثلة الجزئية إلا في النادر اليسير . وفي هذه الحالة الأخيرة ، تظهر عبقرية

« التحليل السنكروني » و « الدراسة الدياكرونية » . ثانياً : التفريق التام بين ما أطلق عليهما la parole و la langue .

وقد كانت هاتان الفكرتان كلتاهما تمثلان اتجاهين مختلفين تماماً عما تعارف عليه التقليديون من اللغويين .

الفكرة الأولى :

جاء دى سوسير فوجد اللغويين من قبله يقصرون دراستهم للغة على النهج التاريخي الصرف ، أو النهج التاريخي المشوب بشيء من الوصف المبني على أفكار فلسفية أو معيارية . وقد كانت هذه الدراسة ذاتها ناقصة من بعض وجوهها ؛ إذ كانت تعني — في الأغلب الأعم — بتتبع الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى ، لا بوصفها عناصر في نظم لغوية تتبين قيسها بمواقعها في هذه النظم ، وإنما بالنظر إليها كما لو كانت ظواهر منعزلة ، أو — بالأحرى — كما لو كانت أمثلة جزئية لا تخضع لقواعد مطردة .

ثار دى سوسير على هذا الخط التقليدي ، ورأى أن هناك طريقتين مختلفتين لدراسة اللغة . أما أحدهما فسماه المنهج « الدياكروني » diachronic أو التاريخي historical أو ما يدعى أحياناً بالنظرة « الديناميكية » dynamic والثاني هو طريق التحليل « السنكروني » synchronic أو ما عرف فيما بعد

هذه الفكرة في أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وليست كائناً حياً (إلا على ضرب من المجاز) أو هي حقيقة اجتماعية social fact يمكن أو ينبغي أن تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية الأخرى من التحليل العلمي . واللغة بهذا المعنى ، ينبغي أن نأخذها — حين نتناولها بالدرس — على أنها « نظام تركيبى » تتحدد قيمة كل عنصر فيه بالإشارة إلى وظيفته ، أى إلى علاقته بالعناصر الأخرى في هذا النظام ، لا بالإشارة إلى خواصه اللغوية ، فيزيائية كانت أو سيكلوجية .

والمبادئ اللغوية التي ألقى بها دى سوسير إلى العاملين في الحقل اللغوي كثيرة متنوعة . ولكننا هنا سوف نقصر الحديث على مبدئين أو فكرتين اثنتين . ذلك ، لأن دى سوسير هو الرائد الأول فيهما ، أو — على أقل تقدير — هو صاحب الفضل في إبرازهما بتلك الصورة التي أدت إلى إحداث ثورة في التفكير اللغوي ، وإلى دفع هذا التفكير إلى آفاق علمية لم يحلم بها سابقوه . أضف إلى هذا أن هاتين الفكرتين تكونان — في حقيقة الأمر — الإطار العام لوجهة نظر هذا اللغوي الكبير في دراسة اللغة ، كما أنهما تنتظمان — بطريق مباشر أو غير مباشر — أهم الأفكار الجزئية المتناثرة هنا وهناك في محاضراته .

هاتان الفكرتان هما : أولاً : التفريق التام بين طريقتين لدراسة اللغة ساهما

في آن . وحذر دى سوسير من اعتماد الدراسة السنكرونية على النظرة التاريخية، لما يعقب ذلك من الخلط في النتائج اللغوية ، ولكن الطريقة الدياكرونية لها أن تلجأ إلى المنهج السنكروني ، بل إن ذلك أمر ضروري حيث إن تعدد الفترة الزمنية يعنى — بداهة — انتظام العمل لأكثر من دراسة سنكرونية سابقة ، كل واحدة منها تختص بفترة زمنية واحدة .

الفكرة الثانية :

أنهى دى سوسير مناقشته الطويلة في الموضوع السابق بأن المنهج السنكروني هو المنهج الواجب اتباعه في تحليل اللغة ، بالمعنى الجديد الذى أرادها لها .

ومن ثم كان عليه أن يحدد أو أن يبين ما يعنيه « باللغة » التى يرى وجوب اخضاعها لهذا المنهج . بدأ دى سوسير هذا التحديد وذلك البيان بالتفريق بين ثلاثة مصطلحات وثلاثة مدلولات ليصل إلى مقصوده . هذه المصطلحات هي :

(١) *la langue, la parole, le langage*

بالوصفى descriptive وقد ينعت أحياناً « بالثابت » static .

ثم أخذ دى سوسير يفرق تفريقاً تاماً بين هذين الطريقتين ، فالمنهج الدياكروني أساسه تعدد الفترة الزمنية ، حيث يلاحظ الدارس الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى ، قصداً إلى التعرف على ما أصابها من تغير وتطور . ولكن « المنهج السنكروني » خاصته الأساسية وحدة الفترة الزمنية ، مع قصر وظيفة اللغويين في هذه الحالة على النظر في وحدات التركيب اللغوي للوقوف على نوع العلاقات الداخلية بينها في هذا التركيب . إن الدارس — على هذا المنهج — لا يدخل عامل الزمن في حسابه ألبته ، وإنما يعنيه أولاً وآخراً أن يأخذ اللغة على أنها « نظام تركيبى » ثابت في نقطة محددة من الزمن لا يتعداها .

فالمنهجان في نظره صالحان للدراسة ، وضروريان للبحث اللغوي ، ولكن مع التمييز بينهما والتفريق بين وظائفهما . ومن ثم لا يجوز الخلط بينهما أو العمل بهما معاً

(١) المصطلحات الثلاثة الى استعمالها دى سوسير في هذا المقام (*Parole, langue, langage*) وهي مصطلحات فرنسية ، وهي ذات دلالات خاصة عنده ، كما سيتبين لنا في هذا البحث . ونحن من حرص كثير من الدارسين على الاحتفاظ بها دون الالتجاء إلى ترجمتها حتى لا يختلط الأمر ويسوء الفهم . ونحن من جانبنا نقرر أن أياً من هذه المصطلحات لا يمكن ترجمته إلى العربية ترجمة دقيقة بكلمة واحدة ، على ما هو المفروض أن يتبع في مجال المصطلحات العلمية . أما الترجمة المناسبة لهذه المصطلحات — في رأينا — فهي (على الترتيب المذكور بالنسبة للمصطلحات الفرنسية السابقة) : اللغة بالمعنى العام أو المطلق ، اللغة بمعنى النظام التركيبى ذى الحدود والقواعد المعينة (وهذا المعنى لا ينطبق إلا على اللغة المعينة ، كالعربية فقط أو الإنجليزية فقط إلخ . . .) . ثم الكلام الفعل . وقد نكتفى في هذه الحالة الأخيرة بلفظة « الكلام » وحدها ، قاصدين بها ذلك النشاط اللغوي المنطوق من المتكلم الفرد في الموقف =

والبحث ، كما أنه ليس في مقدورنا أن نحدد لها مكانا في أجناس الحقائق الانسانية ؛ إذ من الصعب التعرف عليها أو اكتشاف وحدتها ، لأنها - كما يقول هو - inconnaissable .

هذان الجانبان المتقابلان اللذان تتضمنهما « اللغة بالمعنى العام » أو langage يشيران إلى « ثنائية » دي سوسير الشهيرة أو ما سماهما parole و langue .

أما la parole فيطلقه دي سوسير على ما يمكن أن ندعوه « بالكلام » أو عملية الكلام " speaking . ويعني به النشاط الصوتي المادي ، أو هو عبارة عن تلك الأصوات والأحداث المنطوقة بالفعل من المتكلم الفرد في الموقف المعين . وهو لذلك فردى فقط individual ونفسى مادي psychophysical . والفرد صاحبه وهو المسيطر عليه : يغير فيه بالزيادة والنقص والتطوير . و parole شيء غير ثابت ، إنه مرتبط بال لحظة التي يؤدي فيها . إنه ليس حقيقة اجتماعية ، وإنما هو نشاط فردى إيجابى غير مستقر ، وهو وظيفة الفرد وحده la sujet parlant .

le langage مصطلح فرنسى يستعمله دي سوسير ليريد به ما يمكن أن يسمى « اللغة بالمعنى المطلق » . أنها - عنده - أشبه بالملكة أو الطاقة اللغوية . وهى دائما تتضمن جانبين متقابلتين ، فهى تتضمن نظاما ثابتا مقرا established system كما تتضمن التطور والديناميكية evolution . أو قل : لأنها تنظم مجموع الأحداث النطقية الواقعية فى الكلام الفعلى ، كما تنظم القواعد اللغوية المقررة فى البيئة الاجتماعية المعينة .

لأنها - بهذا المعنى - شئ غير متجانس hetrogenous غير واضح الحدود ، وهى ملك الفرد والمجتمع كليهما ؛ فهى فردية واجتماعية معا (individual and social) . واللغة بالمعنى المطلق عند دي سوسير لها اتصال بمحالات من أنواع شتى ، مجالات فيزيائية مادية physical وفسولوجية نفسية physiological and psychological

ولكن هذه اللغة (langage) ينقصها مبدأ التجانس والوحدة ومن ثم لم يكن فى استطاعتنا دراستها دراسة علمية . والحق أنه ليس هناك علم وحيد يمكن أن يخضعها للنظر

= المعين ، على نحو ما قصد دي سوسير نفسه بمصطلحه الثالث parole . وهذا المصطلح ذاته قد جرت عادة الدارسين من يكتبون بالانجليزية على ترجمته بالكلمة « speech » . ولكن مترجم كتاب دي سوسير آثر مصطلحا آخر هو speaking ليعنى به parole وخصص المصطلح "speech" للدلالة على ما سماه دي سوسير langage (اللغة بالمعنى العام) . وما جرى عليه هذا المترجم الفاضل أدق فى نظرنا لأن كلمة speaking أصدق فى الدلالة على ما عناه دي سوسير باللفظة parole ، وأقرب إلى المفهوم الذى رآه لهذا المصطلح الأخير . ولسوف نسير فى هذا البحث وفقا للترجمة العربية التى اخترناها وإن كان هذا لا يمنع الجمع بين هذه الترجمة ونظيرها الفرنسى بلفظه ، أو الاختصار على المصطلحات الفرنسية وحدها ، إذا اقتضى الأمر ذلك قصدا إلى الدقة فى التوضيح أو إلى الاختصار فى صيغ المصطلحات .

إن *langue* بهذا الوصف الذى أتى به دى سوسير إنما تنطبق على اللغة المعينة كالعربية فقط أو الانجليزية فقط ، آخذين فى الحسبان خاصيتيهما الأساسيتين وهما كون كل منهما « نظاما » ، لا أحداثا منطوقة ، وكون هذه اللغة أو تلك اجتماعية ، تنسب إلى جماعة المتكلمين ، لا إلى الأفراد ، بوصفهم أفراداً .

ويوضح هاتين الخاصيتين معا تفسيره « اللغة » بهذا المعنى المعين بأنها « حصيلة كل القوانين اللغوية التى تحدد استعمال الأصوات والصيغ ووسائل التعبير النحوية والمعجمية فى البيئة اللغوية المعنية » .

وهى - بهذا أو مع هذا - « نظام تركيبى » مكون من وحدات ذات قيم خلقيه لا يمكن التعرف عليها أو الكشف عنها إلا بتحديد مواقعها وبيان علاقاتها مع جاراتها فى التركيب . وفى رأيه أن ذلك إنما يتم بطريق التحليل السنكرونى .

والفرق بين اللغة والكلام كالفرق بين القاعدة وتطبيق هذه القاعدة . والناس لا يتكلمون القواعد وإن كانوا يتكلمون طبقاً لها ويحاولون تحقيقها مادياً ، كما يظهر ذلك فى كلام الفرد فى الموقف المعين . أو - على حد تعبير دى سوسير نفسه (١) - اللغة تشبه السيمفونية على حين يشبه الكلام العزف على الآلات الموسيقية بالفعل لتحقيق هذه السيمفونية

ثم ينتقل دى سوسير إلى الكلام عن *la langue* ، فيصورها لنا بالطريقة التالية : إذا استبعدنا من هذا العموم المسمى *langage* وأخذنا منه كل العناصر الفردية التى تتمثل فى الكلام الفعلى ، وكل الأصوات المنتشرة فى الهواء ، وكل الأحداث الفعلية الواقعة من أفراد المتكلمين ، أو - بعبارة أخرى - إذا أبعادنا واستخلصنا *la parole* من *le langage* فسوف يبقى لدينا أهم شئ فى الموضوع ، أو سوف نحصل على هدفنا الأصلى وهو *la langue* أو « اللغة بمعنى النظام الثابت » أو أنماط العادات والقواعد اللغوية التى استقرت فى أذهاننا نتيجة لممارسة النشاط الكلامى الإيجابى فى البيئة .

langue إذن ليس فيها أصوات مادية حقيقية ، وإنما تحتوى على وحدات صوتية ذهنية أو فونيمات *phonemes* وليس بها كلمات أو جمل منطوقة بالفعل وإنما بها أجناس صرفية نحوية . وهى عرفية تقليدية ، وهى وظيفة جماعة المتكلمين *la masse parlante* . لأنها ملك هذه الجماعة وليس للفرد عليها من سلطان ، وهى لذلك اجتماعية فقط *social* ونفسية صرفة *psycho* *logical* وهى مخزونة فى شبه نظام دقيق فى الوعى أو العقل الجماعى *collective conscience*

(١) الترجمة الانجليزية ص ١٨

مجموعة من النظم الذهنية - ترسب في أذهان الجماعة اللغوية المعينة وتختزن في هذه الأذهان بعد الاستماع الطويل المتكرر إلى المتكلمين ، بوصفهم أفرادا - في البيئة الخاصة .

والكلام هو الآخر ضرورى لبناء اللغة وتكوينها . وهو وسيلتها إلى التطور والنمو ، ويتم التطور عن طريق تأثيرنا بكلام الأفراد الكثيرين من حولنا ، الأمر الذى يؤدى إلى تغيير عاداتنا اللغوية أو تعديلها .

واللغة بهذا المعنى الذى قرره دى سوسير يمكن التعرف عليها وعلى حدودها . وهى متجانسة homogenous ولها بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية . ومن ثم نستطيع تناولها بالدراسة ، بل إن اللغة - بهذا المفهوم الخاص - هى الموضوع الأساسى لعلم اللغة

وليس يعنى هذا أن الكلام شئ لا يستحق الدراسة . لأنه جدير بها . ولكن هذه الدراسة لا تتم - فى رأيه - فى إطار علم اللغة بالمعنى الصحيح . وإذا كان من الضرورى سحب المصطلح « علم اللغة » عليهما معا (parole و langue) . وجب علينا حينئذ أن نتكلم عما يمكن أن نسميه « علم لغة الكلام » linguistics of speaking فى مقابل « علم لغة اللغة » linguistics of language ، على شريطة ألا نخلط

ماديا . أو قل : إن اللغة تقع من الكلام موقع القواعد التلغرافية من عملية إرسال الرسالة التلغرافية نفسها .

و langue يمكن أن تدرس وحدها ، أى بقطع النظر عن تحقيقها المادى وهو الكلام parole . فاللغات الميتة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية وغيرها تجرى دراستها الآن - كما جرت من قبل - فى الجامعات ومعاهد العلم المختلفة ، بالرغم من أن الناس لا يتكلمونها ، ولا يستعملها أحد فى التخاطب العادى .

أما الكلام فتححتاج دراسته إلى التعرض لأشياء أخرى ، أو على أقل تقدير ، لابد لهذه الدراسة من النظر فى اللغة ، إذ الكلام لا يكون إلا بوجود اللغة . وصاحبه - وهو الفرد - مضطر دائما إلى أن يتعلم هذه اللغة وإلى أن يظل دائما كما لو كان فى فترة تدريب على كيفية أداء هذه اللغة لوظيفتها .

ولم هنا يصل دى سوسير إلى تفريق تام بين parole و langue ولكنه بالرغم من ذلك لا ينكر وجود علاقة بينهما ، كما لا ينكر اعتماد كل واحد منهما على الآخر . إن اللغة - عنده - أداة الكلام من جهة وهى نتاجه من جهة أخرى (٢) . فاللغة تمد الكلام بالقواعد والقوانين التى تجرى على سننها لتحقيقه المادى الفعلى ، كما أنها - بوصفها

(٢) السابق ص ١٩

بينهما بحال من الأحوال^(١). ومع هذا كله فقد استقر رأى دى سوسير على أفراد langue وحدها بالدراسة وعلى تخصيص « علم اللغة » لها دون غيرها .

....

وإذا كان لنا أن نقف على مدى التأثير الذى أحدثته أفكار دى سوسير فى البحث اللغوى وأن نتعرف على نوع هذا التأثير واتجاهاته أصبح من الضروري أن نصاحب كتابه المذكور فى رحلته التاريخية الطويلة ، وأن نواكب محاضراته هذه فى مسارها العلمى عبر قارات العالم المختلفة .

لقد بدأت هذه المحاضرات رحلتها فور ظهورها فى صورة كتاب لأول مرة عام ١٩١٦ م . ومنذ ذاك التاريخ حتى هذه اللحظة ، والكتاب يوالى أسفاره ويجد فى مسيرته عبر قارات الدنيا ، غربا وشرقا على سواء ، وإنك لتجده يحتل مكانا بارزا فى مكتبات دور العلم وقاعات الدرس ومنتديات الفكر اللغوى فى كل بلد أراد لنفسه أن يحظى بنصيب من هذه الثروة العلمية الجديدة وتلك الأصالة المنهجية اللتين حملهما الكتاب إلى الناس .

وقد اتخذ تأثير الكتاب فى أعمال الدارسين من بعد دى سوسير صورا عدة ونحاً فى ذلك نواحى مختلفة . ولأنه لمن الصعب فى هذا المقام أن نحصر هذه الصور أو أن نعدد تلك المناحى . وبحسنا أن نشير هنا إلى أمثلة محدودة فقط من صور هذا التأثير ، وبخاصة فيما يتعلق بمبادئه الأساسيين ، اللذين سبقت الإشارة إليهما . ونعنى بهما التفريق بين المنهج الدياكرونى والمنهج السنكرونى ورأيه فى مفهوم « اللغة والكلام » والعلاقة بينهما .^[٢]

وأول ما يلفت النظر فى هذا الشأن هو أن الكتاب استطاع أن يجذب إليه عددا من اللغويين وأن يوحد بين اتجاهاتهم وأفكارهم الرئيسية بحيث أصبحوا يكونوا مدرسة لغوية جديدة ، عرفت فيما بعد بمدرسة دى سوسير ، أو مدرسة جنيف .

من أشهر أعضاء هذا المدرسة تلميذه الوفى تشارلز بيبه الذى « طبق مبادئ أستاذه فى التحليل السنكرونى على اللغة الفرنسية ، والذى استخدم هذه المبادئ ذاتها فى عقد مقارنة بين نظامى اللغتين « الفرنسية والألمانية » . وكذلك سار هذا التلميذ فى ركاب أستاذه

(١) بالرغم من اعتراف دى سوسير « بأهلية » الكلام بالدراسة وبالرغم من اقتراحه إطلاق اسم « علم لغة الكلام » linguistics of speaking على العلم الذى يمكن أن يتولى شئونه - فإنه لم يشأ أن يحدد طبيعة هذا العلم ، أو أن يبين جوانبه . وقد كان هذا مدعاة إلى اتهامه باهمال أحد طرفى ثنائيته (اللغة - الكلام) كما سبق أن أشرنا إلى ذلك (انظر ص ٢٣٢) . وقد رأى بعض تابعيه (مثل بالمسار الانجليزى على ما يروى يسبرسن فى كتابه « الانسانية والأمة والفرد من وجهة نظر لغوية » ص ١٥) أن علم النفس هو المختص بالنظر فى « الكلام » ، على حين قرر كثيرون أن « علم الأصوات » (الفوناتييك phonetics فى مقابل الفونولوجيا phonology) هو الذى يمتنى بدراسته والبحث فيه .

الاستاذ ومبادئه ، وإنما استطاعت نظريات دى سوسير ومناهجه أن تنفذ بعمق واتساع واتساع عريض إلى أعمال اللغويين المحترفين على اختلاف بيئاتهم واتجاهاتهم الفكرية .

لقد أحدثت فكرة دى سوسير في التفريق بين المنهجين الدياكروني والسنكروني في دراسة اللغة ردود فعل واسعة متباينة ، فعارضها قوم في بداية الأمر ، مقررين سلامة القول بوجود هذين المنهجين ، ولكن التفريق التام بينهما - كما فعل الاستاذ الأول - أمر مبالغ فيه ولا تسوغه طبيعة اللغة ذاتها . وحجتهم في ذلك - كما يرويها واحد منهم وهو يسبرسن الدنركي - أن الدراسة السنكرونية التي لا تأخذ عامل الزمن في الحسبان ألبتة لا يمكن تطبيقها تطبيقاً سليماً على اللغة ، إذ من الصعب « تثبيت » هذه اللغة ووصفها دون الإشارة إلى ما قد تخضع له من تغير وتطور . ودعموا حجتهم هذه بمجموعة من التساؤلات أوردها لنايسبرسن المذكور على هذا النحو : « متى يجوز لنا أن نقرر أن حالة ما من حالات اللغة قد انتهت ، وأن حالة أخرى قد حلت محلها ؟ » كيف نتعامل مع تلك الآثار اللغوية القديمة التي تسلت وعادت إلى الحياة في أساليب لغوية معينة ؟ أو « كيف إذن نتناول هذه المستويات اللغوية المختلفة الظواهر ، كاللغة الدارجة ، وأساليب النثر العادية ، أو أساليبه الراقية ؟ » أهذه المستويات لغات مختلفة أم هي لغة واحدة ؟

بقبوله مبدأ التفريق بين اللغة والكلام ، وإن كان يرى أن أستاذه قد بالغ في النظر إلى اللغة على أنها شيء عقلي صرف ، وأنها نتيجة العقل الجماعي . أما هو (بييه) فيؤكد أهمية العنصر العاطفي في اللغة .

أما أشهر تلامذته وأهمهم على الإطلاق فهو اللغوي الفرنسي الدائع الصيت أنطوان ميبه الذي أخذ بوجهة نظر الأستاذ فيما يتعلق باللغة بوصفها « نظاماً متكاملًا متناسق التركيب مترابط الوحدات » والذي حذر - كما فعل أستاذه من قبل - من خطر دراسة عناصر اللغة منعزلة عن سياقها التركيبي . ولكن ميبه بالرغم من هذا يميل إلى مخالفة الأستاذ في بعض النقاط . من ذلك مثلاً أنه « يأسف لما تعنيه النظرة التركيبية للغة - كما أرادها دى سوسير - من التجاهل الواضح للبشر الذين يستعملون اللغة ومن إغفالها لهذا العنصر المهم عند التحليل » .

وقد رأى هذا الرأي نفسه اللغوي الأسباني « أمادو ألونسو » أحد المتأثرين بأراء دى سوسير وأفكاره الجديدة . يلخص « ألونسو » موقفه من هذه القضية بقوله : « إن نظرية دى سوسير اللغوية قد ظفرت بوضوحها الرائع وبساطتها المميزة على حساب تجاهل أهم شيء في الموضوع وهو العنصر البشري في اللغة » .

ولم يقف تأثير الكتاب عند هذا الحد الذي ينتهي بتجميع عدد من التلامذة حول آراء

على أن هذه المعارضة لم تمنع مبدأ التفريق بين المنهجين من الانتشار والذيع ، بحيث أصبح لكل منهج أتباع وأشباع . وكان المنهج السنكروني أسعد حظاً من صاحبه وتلقاه الناس بالقبول ، واتجه إليه معظم الدارسين المحدثين فأفادوا منه ، وطبقه كل واحد منهم بصورة أو بأخرى ، والتزموا - بوجه خاص - بما تضمنه هذا المنهج من وجوب النظر إلى اللغة بوصفها « نظاماً تركيبياً » تظهر قيمة وحداته بطريق النظر في علاقتها ببعضها ببعض .

وهكذا امتد المنهج السنكروني وأصبح يعنى شيئين متلازمين ، أولهما وصف الحقائق اللغوية ، كما هي في التركيب في فترة زمنية معينة ، ومن ثم أطلق عليه فيما بعد « المنهج الوصفي » وثانيهما : تناول اللغة على أنها شكل « تركيبى » لا مادة منطوقة ، مع الأخذ في الحسبان أن اللغة « كل متكامل » تظهر قيم وحداته عن طريق وظائفها ، وذلك بالإشارة إلى جاراتها في التركيب ذاته . وقد سمي هذا الوجه الثانى فيما بعد « بالنظرة التركيبية » أو « التركيبية الشكلية » في البحث اللغوى .

ولسنا نبالغ إذا قررنا منذ البداية أن معظم الاتجاهات اللغوية الحديثة التى تؤكد أهمية منهج الوصف في دراسة اللغة إنما ترجع مباشرة بطريق أو بآخر إلى دى سوسير نفسه ، كما ترجع إليه كذلك كل الأفكار الجديدة فيما يتعلق بالنظرة التركيبية إلى اللغة .

تجد هذين الجانبين كليهما واضحين في أعمال اللغوى الإنجليزى « فيرث » الذى لا يحدد عن مبدأ الوصف في كل ما أخرجه هو وتلاميذه إلى الناس ، كما تراه يلتزم بصورة أو بأخرى بالنظرة التركيبية إلى اللغة . اننا لا ننكر أن فيرث هو الآخر كان رائد مدرسة خاصة به . تنسب إليه وحده ، كما لا ننكر أنه كان كثير الاعتراض على الفكرة « التركيبية » للغة . بالمعنى الذى عناه رجال التحليل الفونيمى أو التحليل الصوتى الوظيفى ، من الأمريكان . ولكنه من المؤكد كان من رجال « النظرية التركيبية » بالمفهوم الذى أراده دى سوسير . تلاحظ هذا في بعض مصطلحاته ، كما نلمسه في طرائق تحليله للغة .

ولقد أفاد الأمريكان المخاضون من المنهج السنكروني عند دى سوسير . أفاد منه زعيمهم بلومفيلد المتوفى سنة ١٩٥٣ م ، فالتزم بمبدأ الوصف التزاماً واضحاً كما طبق النظرة التركيبية في آثاره وأهمها كتابه الموسوم « باللغة » والمنعوت « بالإنجيل علم اللغة » عند الأمريكان . غاية الأمر أن بلومفيلد خلط عمله هذا بمنهج مرحلى ، قوامه النظرة السلوكية إلى الأحداث اللغوية . إن هذه الأحداث عنده لا تعدو أن تكون ردود فعل لمثيرات أو دوافع ، تتبعها استجابات عملية . على أن هذا المنهج السلوكى ذاته لم يخل بالوفاء بمبادئ الوصف والتحليل التركيبى ، وهى مبادئ ترجع في أساسها إلى العبقرى السويسرى دى سوسير .

وجددير بنا هنا كذلك أن نشير إلى أن « النظرية السنكرونية » عند دى سوسير قد وجدت طريقها إلى أعمال الدراسين في مدرسة « براف اللغوية » على الأقل في قراتها الأولى ، أو مرحلتها « الكلاسيكية » كما يطلقون عليها أحياناً . نعم ، لقد كان هؤلاء القوم - كما يقولون - معرفة من نوع ما بالمنهج السنكروني والطبيعية السنكرونية للغة ، ولكن فكرة دى سوسير في هذا الشأن كانت الدافع القوي لتعميق هذه الدراسة وجعل هذا اللون من التحليل خطاً تفكيرياً عاماً في رحاب هذه المدرسة :

وهناك في جانب آخر من جوانب القارة الأوربية نجد ذلك العالم الدنمركي الشهير « هيلمسلف » الذي تأتى آثاره امتداداً حقيقياً لطريق دى سوسير في التركيز على « الخواص التركيبية » للغة ، وفي تناولها على أساس أنها « بناء » أو « شكل » form « لا مادة منطوقة substance . لأنه يصرح أكثر من مرة أن مهمة علم اللغة إنما هي وصف وحدات اللغة في التركيب وبيان العلاقات بين هذه الوحدات :

ويستمر هيلمسلف في تعميق هذه النظرية وتأصيلها حتى يصل بها إلى دراسة رياضية ، مستخدماً في ذلك مناهج علم الجبر ووسائله في التحليل اللغوي . وكان دائماً الإلحاح على وجوب الاهتمام « بجوانبه » اللغة « لا بجوانبها » البرانية » ، ومن ثم كان من أهم

ومنه أن خط باومفيلد هذا الخط ، والدراسات اللغوية الأمريكية كلها على اختلاف اتجاهاتها لا تستطيع تجاوزه ، فالوصف أصبح القاعدة العامة عند تلامذته ولاحقيه ، كما سيطرت النظرية التركيبية على جل أعمالهم . يبدو ذلك واضحاً في أعمال « زليج هارس Z. Harris » المؤسس الحقيقي للنظرية التركيبية في أمريكا ، كما يشهد على ذلك كله كتابه المسمى « طرائق في علم اللغة التركيبية Methods in Structural Linguistics » :

وكل ما هنالك أن دراسات « هارس » في هذا الكتاب كانت مركزة على الجانبين الصوتي والصرفي للغة دون كبير اهتمام بالجانب النحوي .

وفي هذه الأيام يخرج إلينا اللغوي الأمريكي « تشومسكى chomsky » بنظرية عدوها آخر صحيحة في البحث اللغوي ، وهي ماسموها « نظرية النحو التحويلي Transformational grammar » . وإنك إن دقت النظر في تفاصيلها استطعت أن ترجعها بصورة أو بأخرى إلى فكرة دى سوسير عن الدراسة التركيبية للغة .

والحق أن الأمريكان متأثرون أشد تأثر بالمنهج السنكروني عند دى سوسير بل لعلمهم باللغوي في ذلك ، اذ هم الآن يعاملون اللغة ويتناولونها بالتحليل ، كما لو كانت شيئاً جامداً لا يتحرك ، شيئاً لا يصيبه التغيير والتطور .

وبالرغم من أن هيلمسلف ينص على أنه وصل إلى نظريته هذه مستقلاً عن غيره ، فإنه لا ينكر فضل دى سوسير عليه ، وإفادته منه . لقد رأى فى أعمال دى سوسير تأكيداً لآرائه وتشجيعاً لها . وفى اعتقاده أن نظريته هى أول نظرية تمشى فى إطاره على الأسس التى وضعها دى سوسير فى نظريته التركيبية .

أما رحلة هذا الكتاب بالنسبة للمبدأ الثانى من مبادئ دى سوسير - ونعنى به - مبدأ التفريق بين « اللغة » و « الكلام » - فإنها رحلة أطول مدى وأكثر تشعباً وأعمق تأثيراً من صاحبيتها (١) .

أهداف نظريته الوصول إلى ما سماه « علم اللغة الجوانى » : لأنه - مثل دى سوسير - ينكر أن تكون اللغة مجرد أسماء لمسميات أو مجموعة من الرموز أو علامات مميزة للأشياء فى الواقع الخارجى ، لأنها عنده مجموعة من العلاقات والارتباطات بين عناصر التركيب ،

والخلاف الواضح بين الرجلين إنما يظهر فى إهمال هيلمسلف للجانب « العقلى » أو النفسى للرمز « اللغوى وتركيزه على تحليل هذا « الرمز » بطريق « الوظائف الداخلية » التى يتكون منها « الوظائف الخارجية » التى تربطه بغيره من الوحدات اللغوية ، ويتم ذلك كله فى إطار الطريقة « الجوانية » للتحليل .

(١) إن دى سوسير يعد فى نظرنا الرائد الأول فى التفريق بين اللغة *langue* والكلام *parole* ، بالوجه الذى طلع علينا به ، وبالصورة التى رسمها وحدد معالمها ، بحيث أصبح الجانيان كما لو كانا من طبيعتين مختلفتين ، وبحيث أدى هذا التفريق إلى إحداث تغيير ثورى فى النظر إلى اللغة وإلى خلق مناهج بحث جديدة ما كان لها أن تظهر لولا هذا الابتكار .

ولكن هذا لا ينى بحال من الأحوال وجود نوع ما من التفريق أو التقابل بين اللغة والكلام فى التراث اللغوى الإنساني قبل عصر دى سوسير ، ويظهر هذا التفريق النوعى فى صورتين رئيسيتين :

أولاهما تتمثل فى وجود مصطلحات معينة فى بعض اللغات ترمز أو تشير إلى هذا التفريق النوعى . وفى اللغة العربية مثلاً : يوجد المصطلحان : اللغة والكلام ، وبجانبهما أيضاً يوجد مصطلح ثالث هو « اللسان » . وهذه الثلاثية موجودة فى اللغة الانجليزية كذلك . فهناك *speech, language, tongue* . وكان المصريون القدماء يستعملون أحياناً المصطلح *ro* (بمعنى فم) فى مقابل « لغة » ، على حين كانت الكلمة *mūdet* تمثل « الكلام الفعل » *speaking* .

أما اللاتينية ففيها المصطلحان : *sermo* و *lingua* ، وفى الألمانية : *sprache* و *Reda* ، وفى الهولندية : *rede* و *taal* وفى السويدية : *tal, språk* وفى الأسبانية : *habla* و *langua* . (جاردنر : نظرية الكلام واللغة ص ١٠٧ ، والمأرج : اتجاهات حديثة فى علم اللغة ص ٤٠) .

فى هذه اللغات كلها يغلب أن يطلق المصطلح « لغة » أو ما يقابله (وهو الأول من اليمين فى كل حالة) على المرفأ أو النظام اللغوى العام ، أو على الحقائق اللغوية بوصفها وحدات فى نظم مقررة يجرى عليها التقليد فى البيئة اللغوية المميّنة ، على حين يستعمل « الكلام » وما يرادفه فى معنى النشاط المعنوى أو النطق للإنسان أو فى معنى الأحداث اللغوية الواقعة بالفعل من المتكلم .

عندما صرح دى سوسير بأن اللغة وحصيلة من الرموز المخزونة في أذهان الجماعة وأنها بذلك عقلية اجتماعية، ومن ثم كانت الموضوع الأول والأخير لعلم اللغة، وأن الكلام المنطوق شيء مادي فردي وبذلك لا يدخل في نطاق علم اللغة بمعناه الصحيح — عندما قرر دى سوسير ذلك تشعبت آراء

الدارسين من بعده إلى اتجاهين رئيسيين في هذا الشأن .

أما الاتجاه الأول فهو اتجاه معارض ، ويتزعمه اللغوي الدنمركي يسبرسن الذي ينص على أن هذا التفريق يخالف طبيعة الأمور وواقعها . فاللغة والكلام جانبان لشيء واحد ، وكلاهما عقلي ومادي وكلاهما اجتماعي وفردى ، وليس أحدهما أولى

هل أن هذا التقابل في استعمال هذه المصطلحات لا يرقى بحال إلى مستوى التفريق الذي جاء به دى سوسير . فنوضح أن هذه المصطلحات (أو أغلبها) ذات مفهومات واسعة ، وقد يحدث التداخل أو الخلط بينها أحياناً . « فاللغة » في العربية مثلاً مصطلح ذو مدلولات عدة ، فقد يطلق على الأسلوب ، وقد يعنى اللهجة ، وربما أطلق على « الكلام » نفسه ، هذا بالإضافة إلى معناه التقليدي المشهور .

« والكلام » هو الآخر قد يعنى أشياء كثيرة ، منها : اللغة ، ومجموعة الأصوات المنطوقة ، والمحادثة واللهجة ، وقد يكون مرادفاً للجملة ، كما في نحو قول ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد ، كاستتم .

وقد يشير إلى هذا التداخل أو الخلط ما لسناء من استعمال بعض هذه اللغات لهذه المصطلحات . ففي الألمانية والسويدية تستعمل الكلمتان *sprache* و *sprack* في معنى « اللغة » على حين أن المصطلح الإنجليزي *speech* يطلق على « الكلام » ، بالرغم من انتهاء هذه الكلمات الثلاث إلى أصل لغوي واحد ، كما هو معروف . وفي السويدية تعنى الكلمة *tal* « الكلام » ولكن المصطلح الهولندي *taal* يعنى « اللغة » .

وعلى فرض أن هناك فروقاً دقيقة بين « اللغة » و « الكلام » في الاستعمال العام لهذه اللغات ، فإن هذه الفروق ذات طبيعة تختلف عما عناه دى سوسير بمصطلحيه المشهورين ، على الوجه المبين سابقاً . ولهذا لم يجد أكثر العلماء بدا من الالتزام في غالب الأحيان بالمصطلحات الفرنسية التي استعملها هذا اللغوي الكبير في هذا المجال ، حيث تأكدوا أن غيرها من المصطلحات في اللغات الأخرى لا يستطيع الوفاء بما يرى إليه دى سوسير ويعنيه .

أما الصورة الثانية التي تشر بوجود فروق بين « اللغة » و « الكلام » في التراث اللغوي ، فتظهر فيما يرويه التاريخ عن الهنود القدماء . يروى التاريخ أن هؤلاء الهنود قد وجدت لديهم فكرة التفريق بين هذين الجانبين ، ونصوا على أن « الكلام شيء ، ومعرفة العناصر التي يحتوي عليها هذا الكلام شيء آخر » ، أو بعبارة أخرى — كما يقرر أستاذنا فيرث — « لقد أكد الهنود من القدامى الفرق الكبير بين الكلام ومعرفة هذا الكلام . . أو تحليله من طريق نسبتهم أول تحليل للكلام — وبالتالي نسبتهم أسس قواعد الكتابة — إلى الإله إندرا *Indra* » (انظر : فيرث *Tongues of Men*, P. 15.) .

وواضح من هذا أن هؤلاء الهنود كانوا يدركون خواص كل من اللغة والكلام . ولكن هذا الإدراك — في نظرنا — لم يعتمد هذه المرحلة إلى ما بعدها ، بحيث تظهر آثاره في الدرس العلمي ، وبحيث يضيف جديداً في طرق البحث اللغوي . وحقيقة الأمر أن هذا التفريق الهندي بين الجانبين كان صادراً عن دافع ديني بحث ، ظهرت نتائجه في نسبة تلك الأعمال العظيمة — وهي القدرة على التحليل اللغوي ووضع أسس الكتابة — إلى آلهتهم .

وبهذا كله استقر لنا الرأي الذي تبينناه ، وهو أن مقام به دى سوسير في هذا الموضوع يعد أول محاولة علمية في تاريخ البحث اللغوي .

ويسير الاتجاه الثاني في ركب الأستاذ مع خلافت يسيرة لا تخرج السافرين في هذا الطريق عن الإطار العام الذي حدده دى سوسير . ومن البديهي أن يسلك تلامذته هذا النهج ، كما سبق أن بينا فيما يتعلق بتلميذه « بيه » الذي وافق أستاذه في قضيته هذه ، ولكنه تخلف عنه حين قرر أن دى سوسير قد بالغ في التفريق بين اللغة والكلام .

وهناك خارج « مدرسة جنيف » يقابلنا « بالمار » الإنجليزي الذي يحدو حدود دى سوسير في مبدأ التفريق في عومه . ويقدم لنا تفسيرات أخرى لبيان الفرق بين اللغة والكلام . لأنه يشبه الفرق بينهما بالفرق الذي يوجد بين القواعد والنظم والتلغرافية وإرسال الرسالة التلغرافية نفسها عن طريق استخدام هذه القواعد . أو قل لأنه كالفرق بين قواعد الموسيقى ونظمها وبين العزف نفسه .

وكذلك الحكم على جاردنر الذي ينضم في نظرنا إلى أصحاب هذا الاتجاه . يظهر اتباعه لهذا المنهج في تفسيره للحقيقة اللغوية وعناصرها وشرحها لعملية اللغوية وميكانيكيته .

والحق أن جاردنر يفصح عن منهجه هذا بعنوان كتاب له ينتظم صراحة وبلا غموض فكرة التفريق السويسرية ، إذ أطلق عليه The Theory of Speech and Language « نظرية اللغة والكلام » .

من الآخر بالنظر والدراسة . وإذا كان لنا أن نفرق بينهما كان ذلك على أساس الواقع والاستعمال . فنقول مثلاً : لغة الجماعة ولغة الفرد . وفي رأى أصحاب هذا الاتجاه أن دى سوسير في نقطته هذه كان متأثراً بآراء « دركايم » في التركيب الاجتماعي وفكرته حول ما أسماه « العقل الجماعي » أو « الشعور الجماعي » و « العقل الفردي » أو « الشعور الفردي » .

ويميل إلى هذا الرأي في عومه أستاذنا فيرث . والحق أن فيرث لم يتورط في موضوع التفريق بين اللغة والكلام بالصورة التي خرج بها دى سوسير إلى الأوساط اللغوية . إن فيرث لا يرى التفريق بينهما ، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، لا في النظر ولا في التطبيق . ويبدو أن فيرث كان أكثر اهتماماً بالأحداث المنطوقة - سواء أسميتها لغة أم كلاماً ؛ لأن هذه الأحداث هي اللغة الحية التي تحمل في طياتها الحقائق الاجتماعية والثقافية في المجتمع المعين . وسر هذا الاهتمام من فيرث ليس غريباً عن منهجه العام في دراسة اللغة . إنه منهج يقوم على نظرية « المقام » أو سياق الحال context of situation . ومعناه عنده أنه لا يمكننا دراسة اللغة منعزلة عن سياقها الاجتماعي الذي تستعمل فيه .

(علم الأصوات Phonetics)
 في قائمة فروع علم اللغة على أساس أنه
 يختص بالنظر في أصوات الكلام ، وهي
 أصوات مادية ، ليس من شأن اللغوى أن
 يعرض لها إلا بوصفها وسيلة لا غاية .
 أما العلم الذى نض عليه ، وراه أهلا لنظر
 اللغويين فهو « الفنولوجيا » (أى علم وظائف
 الأصوات Phonology) أو علم الوحدات
 الصوتية للغة ، لا الأحداث الصوتية المنطوقة
 في الكلام الفعلى .

أما التأثير الواضح لفكرة التفريق بين
 اللغة والكلام التى أتى بها دى سوسير فيظهر
 في أعمال مدرسة مشهورة في البحث اللغوى
 الحديث تعرف « بمدرسة براج اللغوية » .
 نلمس هذا التأثير عميقاً في ذلك المبدأ المنسوب
 إلى رواد هذه المدرسة في فترات الأولى .
 ونعنى به مبدأ التفريق التام بين علمين أو
 منهجين اثنين لدراسة الأصوات ، أحدهما
 هو « الفونانيك » ، والآخر هو « الفنولوجيا » .
 ويخصصون الأول لدراسة الأحداث الصوتية
 المنطوقة في الكلام الفعلى ، أما الثانى فيكرس
 جهوده في النظر في النظم الصوتية للغة المعينة
 ودراسة وظائف أصواتها في التركيب .

ولقد كان هناك في أواخر القرن التاسع
 إحساس عام بين اللغويين بوجود التفريق

وامتد هذا التأثير إلى واحد من أشهر
 المهتمين بالسيمانتيك أو علم المعنى في إنجلترا .
 ذلك هو أولمان الذى يسير على الدرب ذاته ،
 حين يقرر بوضوح أن « اللغة نظام من رموز
 صوتية مخزونة في أذهان أفراد الجماعة
 اللغوية ، ولكن الكلام نشاط مترجم لهذه
 الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية
 حقيقية » .

ولم يكتف أولمان بهذا التفريق النظرى ،
 بل ظهر أثره في أعماله في أكثر من صورة .
 من ذلك مثلاً أنه ينص على أن التحليل
 اللغوى ينبغى أن « يسير في خطين متوازيين »
 أحدهما يعنى بالجانب المادى وهو يتمثل
 في الأصوات المنطوقة بالفعل والآخر يختص
 بالنظر في الجانب العقلى وهو المعنى .

وما هذان الجانبان في نظرنا إلا انعكاس
 صادق لفكرة « الثنائية » التى جاء بها دى
 سوسير . ويظهر هذا التأثير بصورة أعمق
 في مواضيع أخرى مهمة أولاها أولمان
 عناية كبيرة .

من أبرز هذه المواضيع ما شغل أولمان
 به نفسه حين أراد تفريع علم اللغة إلى فروع
 المختلفة . لقد قام هذا الباحث بتفريع هذا
 العلم تفريعاً يطابق هذه الثنائية اللغوية مطابقة
 تامة . من ذلك مثلاً أنه لم يدخل « الفونانيك »

شيئان لا ينفصلان ، وكذلك لا تتم الدراسة الصوتية دراسة دقيقة دون الاعتماد على الفوناتيک والفنولوجيا كليهما .

ومهما يكن الأمر فن المؤكد لدى الدارسين أن مبدأ التفريق الذى أتى به دى سويسر هو الأساس الحقيقى لظهور مدرسة صوتية مميزة ، ما كان لها أن تظهر بمنهجها هذا لولا أفكار هذا السويسرى العظيم : هذه المدرسة هى « مدرسة براغ للصوتيات » .

وهناك فى الجانب الآخر من الصورة مجموعة من اللغويين فى بلاد العالم المختلفة لم تشأ أن تقف عند مسألة التفريق بين اللغة والكلام وقفة خاصة ، وأن تبدى رأيا حاسما واضحا فيها ، ولكننا مع ذلك نلمح فى آثار بعضهم الميل أحيانا إلى التسليم بمبدأ التفريق فى بعض صورته .

من ذلك مثلا ما يعتمد إليه البعض فى أمريكا بالذات من محاولة الإشارة إلى الطبيعة المادية للكلام فى مقابل الطبيعة التركيبية أو « النظامية » للغة . ومن ثم نرى هؤلاء

بين الأصوات المنطوقة ، وأماط الأصوات أو الوحدات الصوتية . فكروا فى هذا التفريق - بصورة ما - يسبرسن الدنمركى وسويت الإنجليزى ، ولكن وضع الحدود الفاصلة بين الجانبين إنما جاءت بطريقة حاسمة على يد الدارسين التشيكيين . وكان زعيمهم فى هذا الشأن هو العالم الشهير « تروبتسكوى » الذى وضع أسس « الفنولوجيا » ، ومناهج البحث فيه ، بوصفه فرعاً من فروع التحليل اللغوى ، مناظرا ومقابلا للفوناتيک .

ولقد اعتمد تروبتسكوى فى عمله هذا على فكرة دى سويسر فى التفريق بين اللغة والكلام ، حيث طابق هذه الثنائية بثنائية « الفوناتيک والفنولوجيا » وحكم على الفوناتيک بأنه من العلوم الطبيعية ، على حين عد الفنولوجيا منهجاً لغوياً أو فرعاً مهماً من فروع علم اللغة . وبالرغم من اعتراف تروبتسكوى بأهمية الفوناتيک بالنسبة للفنولوجيا وعلم اللغة بعامة ، فقد قبل بما قبل به دى سويسر من اعتراضات على مبدأ التفريق بين الجانبين ، فكلاهما مبالغ فى نظره ، إذ اللغة والكلام - فى رأى المعارضين -

يضعون حدوداً من نوع ما بين الفوناتييك
والفنونولوجيا . حتى لتجد الواحد منهم يعد
« الفوناتييك » فرعاً ثانوياً من فروع علم
اللغة ، أو تخرجه نهائياً من هذا الحقل ،
على حين يضع الفنونولوجيا في قائمة الفروع

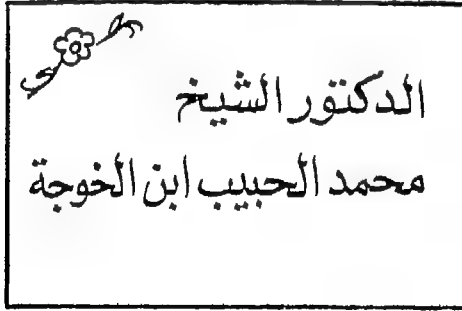
الأساسية لهذا العلم ، بوصفه منهجاً يعنى
باللغة أو بنظامها الصوتي ، لا بالأحداث
المادية للكلام المنطوق . يظهر هذا السلوك
في أعمال هُكت الأمريكي ، ويشبهه إلى
حد ما في ذلك روبنس الإنجليزي .

كمال محمد بشر





في الساعة السادسة من مساء الاثنين ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٤ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، أقام المجمع في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، حفل استقبال الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس ، وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :



كلمة الأستاذ زكي المهندس في استقبال

إننا إذ نستقبل الزميل الجديد لا ننسى أن اسم تونس الشقيق ، وقد اقترن بهذا المجمع وقت نشأته ،

فقد كان المرحوم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من أولئك الرواد الأوائل الذين حملوا رسالة المجمع وشارك في وضع الأسس والقرارات التي مازلنا حتى اليوم نفيد منها ، ونعمل في ضوءها ، ثم بعد ذلك أتى إلينا المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ، فكانت له مواقف وكلمات وتعاينات في المجمع مازلنا نذكرها له بالإعجاب والتقدير ،

وهانحن أولاء الليلة نظفر بعالم جليل كما ظفرنا في العام الماضي بأستاذ جليل ، وهكذا سيظل تونس دائما يزودنا بالعلماء الأجلاء الذين يشاركوننا في تأدية رسالة المجمع ، وإننا لعل ثقة أن زميلنا الجديد بما يعرف عنه من نشاط وكفاية سيشغل هذا الفراغ

أيها السادة : في مثل هذا اليوم من العام الماضي وفي هذه القاعة نفسها سعد المؤتمر باستقبال زميل كريم وعالم جليل هو السيد الأستاذ الشاذلي القليبي وزير الثقافة التونسي الذي اختير عضوا عاملا بالمجمع من تونس الشقيق ، خلفا للعالم الكبير الأستاذ المغفور له حسن حسني عبد الوهاب ،

والليلة سعد المجمع كل السعادة أن يستقبل زميلا كريما آخر من تونس الشقيق وخلفا للمرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور وهو السيد الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عميد كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الزيتونة وأحد أركان النهضة الفكرية العربية ، وإن المجمع إذ يهنئ الزميل الجديد بما نال من ثقة وتأييد ليسره كل السرور أن يرى كفاية عربية جديدة تضاف إلى كفاياته ، ونشاطا علميا جديدا سيلتقي بنشاطه ، فكمذلك كان المجمع . وسيظل مثابة للثقافات العالية ولملتقى للكفايات الممتازة

— أيها السادة — فسيستولي استقبال الزميل
الجديد الكريم الدكتور مذكور الأمين العام
لمجمع اللغة العربية ، فليفضل وشكراً .

الذي تركه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور بيننا ، وسيكون خير خلف
لخير سلف ، فرحباً بالزميل الجديد في أسرة
المجمع ، وأهلاً به بين الخالدين . أما الآن .

• • كلمة الدكتور إبراهيم مذكور

لعاجز كل العجز عن أن أوفي تونس والتونسيين
حقهم من الحمد والثناء ، أما الزملاء
والأصدقاء فأنا مدين لهم بمودتهم الصادقة
وأخوتهم الكريمة ، وأتيحت لي الفرصة مرة
أخرى لأبين في دقة موقف العربية في هذا
القطر الشقيق ، وقد وجدت صامدة لتقلبات
الدهر ، تصارع وتجادل ، وتسترد مكانتها
بعد ما أقامه الاستعمار في طريقها من أشواك ،
ولا سبيل بحال للغة أخرى أن تحل محلها ،
ولا غربة فالشعب التونسي عربي صميم ،
عربي في أصله ونشأته ، يعتز بماضيه
وتراثه ، ويسعى جاهداً إلى أن يستعيد
مجد الأغلبية والحفصيين ، عربي في حاضره ،
يحس إحساساً صادقاً بعرويته ، ويشعر
شعوراً خالصاً بأنه جزء من الوطن العربي
الكبير . يهتز طرباً لأجاده وانتصاراته ويأسى
حزناً وكداً على ما يحل به من ويلات ونكبات
وإن شعباً أنجب ابن رشيق القيرواني بالأبوس
وأبا القاسم الشابي اليوم لا يمكن أن تصاب
العربية فيه بسوء .

سيدي الرئيس ، سادتي :

زرت تونس منذ ثلاث سنوات في مهمة
خاصة بتكليف من المجمع ، ولمست حين
ذاك أن للعربية فيها جلوراً أصيلة وعميقة ،
بغم منافسة الفرنسية الشديدة وتعصب
فريق لها . وبدأت لي آثار ذلك واضحة في أفلام
الكتاب وعلى السنة الخطباء في الإذاعة
والصحافة ، في الدرس والمحاضرة ، في
الأندية والمجالس ، بل في الحديث الدارج
بين الناس ، ولم يتسع لي الوقت لتفهم مدى
هذه الظاهرة ، والوقوف على ما وراءها
من عوامل وأسباب .

ونعمت هذا العام بزيارة هذا القطر
الشقيق مرة أخرى ، فتوثقت صلتى به ،
ووقفت على كثير من شئونه ، وزاد اتصالي
بشبابه وشيوخه ، وتنقلت بين أطرافه
وجوانبه ، وزرت عدداً غير قليل من مدنه
وشواطئه . ولست في حاجة أن أتحدث عما
خطيت به من رعاية وعناية أعتقد مخلصاً
أن مردها الأول إلى مجمعكم الموقر ، وإنني

والخلدونية إلا صورة من صور هذا التطور ،
أنشئت عام ١٨٩٦ على هدى من تعاليم الأستاذ
الإمام ، وقد كان له بتونس صلات وثيقة
وقصد بها أن تعلم فيها العلوم العصرية باللغة
العربية ، وأقبل عليها طلاب الزيتونة ،
ورغبوا في أن يمتد هذا التعليم إلى معاهدهم ،
واستعجاب المسئولون لذلك ، وأخذت حركة
الإصلاح تقوى وتشد . وجمعية قدماء
الصادقية دعامة أخرى من دعائم التجديد
والإصلاح ، ربي أبناؤها على أساس من
الثقافة الفرنسية ، ولكنهم ما لبثوا أن مزجوها
بالثقافة العربية ، فتلاقى الصادقية في البداية
مع الخلدونية ، وقد قاما معا على أكتاف
الزيتونة ، وجاء الصدا لتتطور المنشود .

وقد أضحت الزيتونة نفسها واحدة من
كليات جامعة تونس الحديثة ، وتضطلع
بوجه خاص بعلوم الشريعة وأصول الدين ،
وتؤدي رسالة عظمى في ميدان الثقافة
التونسية ، ولا يقف اشعاعها عند تونس
وحدها . بل يمتد إلى أبناء أقطار أخرى في
أفريقيا وآسيا . يفتدون إليها وينهلون من
حياضها .

وللزيتونة أياد على مجيعتنا هذا ، أسهمت
فيه منذ إنشائه ، أمدته بأئمة أعلام ، وغذته
بغذاء صاف كريم . فكان الخضر حسين
من أعضائه المؤسسين ، ولا تزال بحوثه
القيمة حجة يرجع إليها . واختير الشيخ
الجليل محمد الطاهر ابن عاشور بين أوائل

ومن حسن حظ هذا البلد الأمين أن قام
فيه معهد من معاهد الإسلام الخالدة ، وهو
جامع الزيتونة ، ثمرة الماضي وعون الحاضر .
وهو أحد مساجد ثلاثة في أفريقيا لها شأنها
في تاريخنا الثقافي الطويل ، قام إلى جانب
الأزهر والقرويين على رعاية التراث الإسلامي
وتعده . أسس أولا ليكون مصلى ومقرا
للعبادة ، ثم شاء الحفصيون أن يجعلوا منه
أيضا معهد للدرس والبحث ، فجلبوا
إليه الشيوخ والعلماء من الأندلس وصقلية .
وأصبح جامعة إسلامية مكتملة ، تعنى بالعلوم
النقلية والعقلية ، فدرس فيها الفقه والحديث
والنفس ، والتاريخ والأدب واللغة ، كما
درست الفلسفة والرياضة والطب . وكان
لهجرة علماء الأندلس في القرن السابع
الهجري إلى تونس شأن في ازدهار ثقافي
كبير عمر بضعة قرون . واتصلت الزيتونة
بالمعاهد الإسلامية الأخرى ، وبخاصة
الأزهر الشريف .

وتخرج فيها عدد غير قليل من الأئمة
والعلماء . والكتاب والأدباء ، ويكفي
أن أشير إلى أن ابن خلدون عالم تونس
الكبير نهل من حياضها .

قضت هذه الجامعة التونسية نحو ثمانية
قرون تسير في طريقها ، وتنشر العلم والثقافة .
وفي القرن التاسع عشر أريد تطويرها ،
والتطور سنة من سنن الحياة . ولم ير
القائمون عليها بأسا في أن يسايروا الزمن
ويلائموا بين الحاضر والماضي . وما الجمعية

عقل وحسني . ورحمة الله على الراحل الكريم ، ومرحبا بالقادم العزيز ، وسأترجم له في اختصار ، وأشير إلى شيء من جوانب نشاطه وثقافته .

ولد الحبيب في أوائل العقد الثالث من هذا القرن ، ونشأ في بيئة دينية محافظة ، وأسهم في تثقيفه البيت والمدرسة ، فالتحق بالمدارس القرآنية الابتدائية ، وكان أبوه يرعاه ويوجهه ، ويشرف على دروسه في اللغتين العربية والفرنسية ، وفي سن الرابعة عشرة دخل المدرسة الصادقية ولم يكدهمضي فيها عامين حتى بدأت الاضطرابات السياسية ، ولم يكن بد من أن يسهم فيها شاب مثله ، وداعى الوطن عنده مستجاب دائما ، وكان جزاؤه أن نال شرف السجن والطرود من المدرسة في سبيل أمته وبلاده . وما أن أطلق سراحه حتى ألحق بجامع الزيتونة ، وفيه أتم دراسته الثانوية والعالية . واستطاع أن يضيف إليه دراسة قانونية ، وحصل على شهادة الحقوق التونسية ويوم أن اكتمل لإعداد اجتهاده اجتذبه المعاهد المختلفة ، فدعى للتدريس في ثانوية الجمعية الخلدونية ، وثانوية الدراسة الزيتونية ، ومعهد البحوث الإسلامية للجمعية الخلدونية ، ولما تجاوز الرابعة والعشرين . وفي عام ١٩٥٠ نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية ، وانتدب بعد ذلك بقليل أستاذا بالتعليم العالي بالجامعة الزيتونية ، وقضى فيها لإحدى عشرة سنة . ثم شاء أن يضيف الثقافة الغربية إلى ثقافته العربية ، فالتحق

أعضائه لمراسلين ، وهر من تعرف تفانيا في خدمة اللغة والدين ، امتسسا كما بكلمة الحق ، أطال الله بقاءه ونفع به الإسلام والمسلمين . وحسني عبد الوهاب ، وإن كان صائد النشاة ، لم يفته أن ينهل من جامع الزيتونة ، فأكثر التردد عليه وعلى خزائن ديبه حتى اختلط بالحيط الزيتوني وامتزج به ، وقد كان من أعضاء الجمع المؤسسين . ونعمنا معه زيتوني آخر كبر هو الخالد الذكر محمد الفاضل ابن عاشور ، وقد عرفتموه فاضلا حقا ، وعالما كبيرا ، وإماما من أئمة الأدب ، اللغة والفقه والتشريع .

* * *

ها نحن أولاء نستقبل اليوم تلميذه وصفيه ، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ، وهو زيتوني النشاة والثقافة . نستقبله ليشغل كرمي استاذة ، ولو كان الأمر ميراثا ما كان أحد أحق به منه ، على أنكم اخترتموه وأنتم على يقين من أنه خير خلف لخير سلف . وما اظن اني رايت تلميذا شبيها بأستاذه شبه الحبيب بالفاضل . يحاكيه في زيه وسمته ، ويتسم بما انسم به من شمائل وخلال ، ويسر على نهجه في درسه وبخه .

وقد قدم الاستاذ لكتاب « مناهج البغاء » الذي أخرجه التلميذ ، وفي هذه المقدمة ما يعبر عن البنية الروحية والود الأثر ، يقول الفاضل : « إنه سرى في نفس الحبيب ما سرى من نفحات نفس ومدارك

وعضو قديم بالجمعية الخلدونية ، وعضو
بالشبيبة المدرسية لجمعية قداماء الصداقية ،
ورئيس للشبيبة الزيتونية ، وجمعية طلبة
شمال أفريقيا ،

وما أشبه الحبيب في نشاطه العلمي
بشيخه الفاضل ، لإنتاجه غزير ومتنوع ،
درس وحاضر وحقق وأخرج ، وكتب
وألف ، كتب بالعربية وبالفرنسية معا ،
قام بهذا كله ولما يبلغ الخمسين في نشاط
الشباب ورجاحة الشيوخ . ويدور إنتاجه
حول أبواب ثلاثة : بحوث إسلامية ،
ودراسات في الأدب واللغة والتاريخ ،
وتحقيق لبعض نفائس التراث القديم .
فعرض الزميل الكريم للعمل والجهاد في
الإسلام ، وعالج موضوع الأخلاق الإسلامية
وموقف الإسلام من التطور والتجديد وقد
ظهرت سلسلة من هذا أخيرا تحت عنوان :
مواقف إسلامية وعنده أن الإسلام دين جد
وعمل لا خمول وكسل ، والعمل فيه مناط
التكليف وأساس المسؤولية ، « وقل أعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »
والجهاد لفظة إسلامية واسعة الدلالة ، يقصد
بها خاصة مجاهدة العدو الظاهر والعدو الباطن ،
وترمى مجاهدة العدو الظاهر أولا إلى نصحه
ودعوته إلى الرشاد ورفع راية الأمن والسلام ،
فإن أبي إلا العدوان والخصومة لم يكن بد
من الدود عن الحياض والدفاع عن دار

بجامعة باريس التي منحته درجة الدكتوراه
بمرتبة « الامتياز الفائق » بعد عامين اثنين ،
وأصبح في آن واحد الشيخ الزيتوني والدكتور
السربوني . ثم عاد إلى وطنه ينشر العلم في
أرجائه ، ويؤي الزيتونة بعض حقها عليه ،
وقد عين أستاذا بها ، ولم يبعده عنها إلا
عمل بمصلحة النشر بوزارة الثقافة أشرف
فيه على إخراج طائفة من الكتب القيمة ،
وهو اليوم عميد الكلية الزيتونية للشريعة
وأصول الدين ،

ولم يقف نشاط الحبيب عند تونس
بل جاوزها إلى أوساط ثقافية مختلفة ، فدعى
للتدريس في جامعة محمد الخامس ، والقرويين
بفاس ، وجامعة بنغازي ، وبكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بالبيضاء . وحاضر
بدار الفكر بالرباط ، وفي الجزائر بدعوة
من وزارة الثقافة . وكان للمشرق فيه
نصيب ، فحاضر في معهد الدراسات العربية
العالية بالقاهرة ، وفي جامعة آل سعود بمكة .
أما رحلاته وأسفاره فتعددة ، زار في
العالم الإسلامي القاهرة ، وبيروت ، وجدة ،
والمدينة ، وكراتشي ، وفي أوروبا باريس ،
ولندن ، وبرلين ، وبون وفرנקفورت ،
وليبتز ، وبلجراد ، وبودابست . وأسهم
فيما يزيد على عشرة مؤتمرات ، بين أدبية
وثقافية ، عقدت في تونس أو في غيرها من
عواصم العالم الإسلامي . واشترك في عدة
هيئات ، فهو عضو بلجان الموسوعة الفقهية
وإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ألقاه تحت عنوان : « الإسلام وأزمة
مجتمعاتنا الحاضرة » بالجزائر في ديسمبر
الماضي بمناسبة الأسبوع الثقافي التونسي ،

وقد غنى زميلنا بالدراسات الأدبية
واللغوية والتاريخية عناية كبيرة ، فعرض
لبعض الكتاب والشعراء القدامى والمعاصرين ،
أمثال الشاب الظريف ، وصفي الدين الحلبي ،
وشوقي ، والجارم ، وأحمد أمين . واتجه
خاصة نحو الأدب ، التونسي ، يحكي
ماضيه ، ويحلل حاضره ، تتبع مراحلها ،
من الفتح والمعهد الأغلب إلى الدور العبيدي
والصنهاجي ، ومنه إلى العهد الحفصي ثم
التركي ، ووقف عند العصر الحديث عصر
 النهضة والتجديد . وله عشر محاضرات في
الشعر العربي المعاصر بتونس ألقى في معهد
الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، ولم يفته
أن يعالج موضوع الأزجال والموشحات في
الأندلس وبلاد المغرب العربي .

واستوقفته الدراسات النحوية والبلاغية
طويلا ، فدرس نشأة النحو العربي ، وبين
المدارس النحوية المتعاقبة في المشرق العربي ،
وأشار إلى ما أدخل على النحو من إصلاحات
وتجديدات وعلى نحو شبيه بهذا تصدى لنشأة
علم البلاغة والمذاهب البلاغية ، وعالج
قضايا النقد وما يتصل بها : وقرر بين
المدارس البلاغية المختلفة ، وبين أثرها في
الفنون الأدبية .

الإسلام : وليس عدونا الباطن شيئا سوى
أهوائنا وشهواتنا ، ومجاهدتنا لها هي الجهاد
الحقيقي أو الجهاد الأكبر ، لنقف
في طريقها ونترفع عن الخطايا والدنايا .
ولم يكن الجهاد في الإسلام قط مجرد عدوان
للظفر والغلبة ، أو الاستعمار والسيادة ،
ولا محل لأن يفسر فقط بالحرب والقتال ،
بل هو معالجة طويلة ومتنوعة ربما كانت
الحرب آخر وسائلها . ومن الخطأ أن يقال
إن الإسلام لم ينشر إلا بالسيف . ولا شك
في أن الدعوة الإسلامية السمحة تقوم على
أساسين هامين : كفالة الحريات ، وإقرار
السلام « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي » ، « وإن أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله » ، « وإن جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ويحرص
الزميل الكريم في بحوثه هذه على أن يصدر
عن الكتاب والسنة وأن يستخلص منهما
الأهداف الحقيقية للإسلام . وهو يرى
أن تعاليم الإسلام تواجه شئون الدين والدنيا ،
وليس فيها ما يتعارض مع أصول الحضارة
الصحيحة أو الرقي السليم . أما الدعايات
الهدامة ، والأيديولوجيات الكاذبة فليست
من الدين ولا من الحضارة في شيء . وهل
من سبيل لأن تقوم حضارة على الماديات وحدها
لأنها بذلك أشبه ما تكون بحياة الغابات والجاهلية
الأولى والإباحية المطلقة ، وهذا ما تشقى به
بعض المجتمعات الغربية اليوم ، وما أجدر
مجتمعاتنا الإسلامية أن تتحرر من هذه
آفات . وللشيخ حديث طويل في هذا

النبأ الكبير ، وهو من ماله ، أقام بتونس
 زمنا ، ثم رحل إلى مصر ، وكان رئيس
 العشابين بها وابن سيد الناس (٦٥٧ هـ)
 الفقيه والحدث تلميذ ابن خروف وابن جبير ،
 وهو من أشبيلية ، وابن عصفور (٦٦٩ هـ)
 النحوى المشهور تلميذ الشلوين ، وهو من
 أشبيلية أيضاً ، وحازما القرطاجنى (٦٨٤ هـ)
 الشاعر والناقد واللغوى ، ولزميلنا صلة
 وثيقة به سخرض لها بعد قليل . وعن هؤلاء
 وزملائهم الآخرين أخذت الأسانيد الأندلسية ،
 وعرفت المذاهب النحوية ، وحفظ الشعر
 والأدب الأندلسى ، وكتب العلم والتاريخ .
 ونشأت باختصار مدرسة أندلسية تونسية ،
 كان فيها الفقهاء والحدثون ، والنحاة
 واللغويون ، والنباتيون والرياضيون .

وللشيخ الحبيب ولع خاص باحياء التراث
وتحقيق النصوص ، وأغلب الظن أن شيخه
الأكبر الطاهر ابن عاشور وأستاذه الفاضل
غرساً في نفسه ذلك . فأولع به في شبابه
الباكر ، وكان من أحب الأشياء إليه أن
يتردد على المكتبة العبدلية ، وأن يقتني نفائس
المخطوطات .

وقد حقق وأخرج كتاب « منهاج البلغاء
وسراج الأدباء » لحازم القرطاجني ، وهو
الذي قدمه لجامعة باريس ، ونال به شهادة
الدكتوراه ، واتصلت عنايته بحازم ، فحقق
ديوانه ، وهو تحت الطبع الآن . وحقق
كذلك رحلة ابن رشيد (٧٢١ هـ) . وكتابين

وله بحث طريف ودقيق في هجرة
الأندلسيين إلى أفريقيا في القرن السابع
الهجرى ، وهى هجرة أشرنا إليها من قبل ،
وسبق للشاعر الطليطلى أن توقعها قبل ذلك
بنحو قرن ونصف حين قال :

يا أهل أندلس شدوا رحالكــــــــــــم
فما المقام بها إلا من الغلــــــــط
السلك ينثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منتورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سفــــــــط
وقد اتجه مهاجرو الأندلس نحو شمال
أفريقيا ، فاستقر به منهم من استقر ،
وأوغل في الرحلة فريق آخر ، اتجه نحو
مصر والشام والحجاز . وكان لتونس من
هؤلاء المهاجرين نصيب كبير ، نزلوا أهلا
ومكانا سهلا ، وأسهموا في الحضارة والثقافة
التونسية إسهاماً واضحاً ، ولا تزال في
تونس أسر معروفة بأصولها الأندلسية ،
وأ أسرة آل عاشور واحدة منها . ويحرص
الأستاذ الحبيب على أن يقف عند الأثر
الثقافي لهذه الهجرة ، ويلاحظ بحق أن
هؤلاء المهاجرين قد غدوا الحركة الفكرية
في تونس بغذاء خاص ، فكان منهم القراء
والمحدثون ، والفقهاء والمؤرخون ، والأدباء
والعلماء . ويسرد صاحبنا أسماء عدد وفير
منهم ، نذكر من بينهم ابن الأبار الأديب
الشاعر من بلنسية ، وكان من أوائل الوافدين
(٦٣٥ هـ) ، وابن البيطار (٦٤٥ هـ)

أستاذه الفاضل ، أن يخرج كتاب « مهاج
البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجني ،
عرفه بخطوطا منذ عهد مبكر ، واستعان
به في عام ١٩٥٦ على تدريس النقد ومناهجه
لطلبة كلية اللغة العربية بالجامعة الزيتونية ،
وأخذ يقلب صحائفه ، ويتدارسه ، واستقر
رأيه على إعداد نشره وطوال عامين كاملين
بباريس تفرغ له تفرغا تاما ، ثم أخرجه
بتونس عام ١٩٦٦ في ثوب أنيق :

وقد جهد له بمدخل طويل يقع في نحو
٩٠ صفحة ، ترجم فيها للمؤلف ، متبعا
كل المصادر التي عرضت له من أقوال
حازم نفسه ، أو ما كتبه عنه معاصروه ،
أو ما سجله له رجال التاريخ والطبقات
وبخاصة السيوطي والمقرئ . واستخلص من
ذلك كله ترجمة كاملة تكشف عن مراحل
حياة الرجل وتوضح البيئة السياسية والفكرية
التي عاش فيها ، وتعرض لمصنفاته المخطوط
منها والمطبوع ، « والمقصورة » على رأسها ،
وتبين أثرها في المشرق والمغرب . ثم اتجه
الحبيب إلى تحليل الكتاب نفسه ، ففتح
عنوانه ، ولخص موضوعه ، وشرح منهجه ،
وأشار إلى العوامل التي أثرت فيه . ولاحظ
بحق أنه مؤلف محكم الترتيب ، وضع في
صورة أقسام ، ومناهج ، ومعالم ، ومعارف
وإضاءات ، وتنويرات ، وأخرج بذلك
عن أسلوب التأليف المعهود . وبرغم ترتيبه
الدقيق لم يخل من غموض وتعقيد ، لاستعمال
الفاظ غريبة ، واستحداث مصطلحات

آخرين له في الحديث ، وهما : « السنن
الأبين والمورد الأيمن في السند المعنعن » ،
« وإفادة النصيح » ، ونرجو أن يخرج هذا
كله للقراء قريبا .

ولصاحبنا منهج مرسوم في التحقيق
 وإقامة النص ، وهو منهج عسى دقيق
يعتمد على التاريخ اعتمادا كبيرا ، فيستوعب
المراجع كلها : قديمها وحديثها ، فصلها
ومجملها ، مخطوطها ومطبوعها ، عربيها
وأجنبيها . ويوازن بينها في نقد محكم ،
ويستخلص منها أوثق المعلومات وأصح
الأحكام ، ويثبت الآراء المختلفة مرجحا
بعضها على بعض ، ومحاولا الفصل في
أدق المواقف وأعقدها . يتأهب لما يحاول
تحقيقه ، فيجمع كل ما يهتدى إليه من
أصوله . ولا يفوته أن يستعين ما أمكن
بكل ما ورد منه على ألسنة باحثين آخرين .
يعرف بالأشخاص والأماكن ، ويشرح
الألفاظ الغامضة والعبارات المأثورة . ويحتم
تحقيقه بمعجم للمصطلحات والألفاظ الغريبة
وبفهارس للأعلام والآيات والأحاديث
والأمثال والأشعار . وكل ذلك في ترتيب
واضح ، وأسلوب سهل ولغة دقيقة .
والحق أن زميلنا يعول على التاريخ التعويل كله ،
وقد تطلب هذا منه اطلاعا واسعا ، وقراءة
مستفيضة . وأضحى حجة في تاريخ الثقافة
التونسية بخاصة ، والإسلامية بعامة .

والنموذج القيم في التحقيق الذي أخرجه
خير شاهد على ذلك ، فقد شاء بتوجيه من

بأن الكثيرين ممن كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون ، كقدامة ابن جعفر ، والجرجاني (٤٧٢ هـ) وحازم القرطاجني واضح وصريح كل الصراحة في هذه الناحية ، فقد أخذ بآراء أرسطو وتلاميذه من المشائين العرب ، وعول على كتاب « الشعر » لابن سينا ، وأحال عليه عدة مرات ، وهو مستمد من كتاب « الشعر » الأرسطي . ولا غرابة فحازم ! تلميذ تلميذ ابن رشيد وان لم ينقل عنه وآثر النقل عن الفارابي وابن سينا ، ونزعته الفلسفية والمنطقية واضحة .

سادق :

لقد عنيبتنا بتاريخ الثقافة العربية في عصورها الأولى ، وعالجنا شيئا من تاريخها المعاصر والحديث ، واغفلنا مرحلة طويلة بين هذين الطرفين . أغفلنا أو كدنا - ما بين القرنين السادس والثاني عشر الهجري ، وهي حقبة على ما بها جديرة بالبحث والدرس .

وفي جهود زميلنا الكريم الأستاذ الحبيب ابن الخوجة ما يلقى أغمواء عليها ، وما يكشف عن الصلات الوثيقة بين ثقافة المغرب الإسلامي ، وثقافة المشرق . وقد رأيت كيف طوف بأرجاء الثقافة العربية وأحاط بجوانبها المختلفة ، وفي زمالته الكريمة خير عون لجميع الخالدين على أداء رسالته . والسلام عليكم ورحمة الله ، ، ،

جديدة ، وإسراف في المصطلح الفاسني وهو مع هذا يؤذن باطلاع واسع ، وإحاطة تامة بالأدب العربي ، يستشهد حازم بالشعر الجاهلي والأموي والعباسي ، كما يستشهد بشعر المشاركة والمغاربة المتأخرين . ويشير إلى بعض النقاد والبلاغيين السابقين ، أمثال قدامة بن جعفر (٢٩٤ هـ) وأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، وابن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ) ، وابن الأثير (٦٠٦ هـ) ، والآمدي (٦٣٠ هـ) ، والخفاجي (١٠٦٩ هـ) ، ولكن من الخطأ أن يظن أنه قنع بمجرد الأخذ عنهم بل له محاولات لا تخلو من ابتكار وأصاله . وكتابه « المنهاج » لون خاص من ألوان الدراسة الأدبية .

والواقع أن هذا الكتاب يتصل اتصالا وثيقا بموضوع دار حوله شيء من الأخذ والرد ، ونعني به موضوع الصلة بين الدراسات الأدبية العربية وبعض الآراء والنظريات الأدبية الهلينية ، وقد أنكر هذه الصلة فريق ، وأيدها آخرون ، وسبق لابن الأثير أن ذهب إلى أن كلام أرسطو ومن بعده ابن سينا في الخطابة والشعر لغو ، ولا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا . ولكننا نعتقد أنه لم يبق اليوم شك في أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة والمنطق على الأخص ، وقدما فرق بين الطريقة الكلامية والطريقة الأدبية ، وما الأولى إلا درس للبلاغة في ضوء الكلام والفلسفة . ويشهد تاريخ البلاغة

• • كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الرئيس الموقر

حضرات الأساتذة أعضاء المجمع المحترمين

سيداتى الفضليات ، سادتى الكرام

جرت عادة هذا المجمع الجليل - كغيره من المجالس العلمية واللغوية في مختلف البلاد - باقتبال الأعضاء الجدد في جلسة علنية عامة ، يقدم فيها أحد الأعضاء العاملين العضو المنتسب ، ثم يتلو هذا بالحديث عن صاحب المقعد الذى يخلفه فيه تقريراً لاستمرارية العمل بالمجمع وتخليداً للراحل الذى زان من قبل تلك المؤسسة العلمية الموقرة بمواقفه وخدماته وعمله وآثاره .

والى حين يقم بى لإقحاماً فى هذا المقام الجليل : لأتعرّض فى مشيتى حياء ، وبمقد لسانى شعورى بحقيقة أمرى ، وأفقد العبارة الموفية بما يطلب منى وتدعونى ضرورة هذا الموقف إليه .

وأبجذى بادئ بدء مصروفاً إلى رد التحية ، وشكر الأستاذ الجليل أمين المجمع

على ما حبانى به من عطف وشملى به من رعاية يحاول بهما أن يرفع من منزلتى لديكم ويقربنى منكم بما تستطيعون به الاطمئنان إلى القادم عليكم الذى يعتقد فى قرارة نفسه أنه لا يريد إلا الاستفادة منكم ، والانتفاع بتجاربيكم ، والمسايرة لمناهجكم ، لكونه قاصراً عن المشاركة لكم مشاركة مركزة فيما بلوتم من أسرار البيان ، وحقائق وتصارييف لغة القرآن . وانى لا أقدر على أن أوفيه حقه فقد شرفنى بما عرض له وذكرنى به عرضاً وذكرنا بصوران كمال خلقه وجميل أدبه وما أعرب عنه وترجم عليه من حسن ظن بى أرجو محاولة تحقيقه بما يكسبنى محبتكم ، ويدينى منكم .

وهل أشك فى تفضلكم بذلك ، أو أتردد فيما أطمع وأنطلع إليه من صداقتكم وحبكم وقد بذلت الشواهد عليه أولاً وآخرها . فكنتم المقترحين لعضويتى المبادرين بإكرامى فى غيبتى حين شتم أن أكون لمجمعكم عضواً مراسلاً ، ومن بعد عام رشحتونى لأكون عضواً عاملاً .

وليس لى ما أطمح به إلى هذه المنازل الشريفة العالية إلا ما طبعت عليه من إخلاص للعربية ، وتفان فى خدمتها ، وذود عنها ،

محمد الفاضل ابن عاشور بينكم ، وأشعر
بما تشعرون به لذكراه من أسى على فراقه .
وأعلم أن أى واحد من بعده من أهل بلده -
لا يمكنه أن يشغل ذلك الفراغ الذى تركه ،
أو يقوم بالدور الذى كان يقوم به معكم بهذا
المجمع .

فلقد كان - رحمه الله - فردا فيما تجمع
فيه من خصال وكمالات ومعارف وآداب
ولطائف وأذواق . وكان وحده الذى
يستطيع أن يمثل بصدق هذا المجمع - بمجمع
اللغة العربية - ببلده ، كما كان يمثل أحسن
تمثيل بلده المسلم العربى التونسى به . ولا غرو
فى ذلك فقد كان طود علم ، وقمة فكر ،
أجمع الناس من حوله فى الأجيال التى
تخرجت عليه وعاشت معه على كونه
المثل والرائد والأسوة . وقبلوا فى تقدير
ولاجلال رئاسته الفكرية والعلمية فى كل
ميدان حل به أو مجلس ظهر فيه .

تعود معرفتى به إلى أيام الدراسة الثانوية
زمن كنت تلميذا فى الصفوف الأولى بالمدرسة
الصادقية . وكان كل ما نتصل بهم من
الأساتذة هناك يطبقون على تعظيمه وإكباره ،
وينعتونه بالعلامة البحر . حتى إذا تحولت
إلى الجامع - جامع الزيتونة الأعظم كعبة
العلوم الإسلامية والعربية بإفريقية ،
رأيت فيه علما لا نظير له فى الشيوخ
والمدربين ، يتميز عن جميعهم بكمال الذات
والأدوات . وبعد الغور ، واتساع النظر ،

أنا فى جميع ذلك مدين به للراحل العزيز
أستاذى وشيخى مقام والدى ، العلامة
محمد الفاضل ابن عاشور ، تغمده الله
برضوانه : وأسكنه فسيح جناته .

وإنى لأزجى لكم من الشكر على ثقتكم
الغالية التى أعز بها اعتزازى بلغتى وأدب
قوى ، ما يكافئ جهودكم الجبارة فى
الحفاظ على العربية ، والدعم لها . والحرص
على إنمائها وإثرائها ، والمساعدة على تطورها
والهوض بها ، تطورا ونهوضا تستعيد به
ما سلف من مجدها ، وتكون معه لغة
إنسانية عالمية . لاتضيق بشئ مما تمتد إليه
أيدى الناس . أوعين لهم من آراء وأفكار
ونظريات وقوانين ومصطلحات وأغراض
وعلوم وفنون .

وإن فى الأعمال التى يشتغل بها مؤتمركم
فى كل عام مما يتصل بأصول اللغة والمعجمات
والمصطلحات والبحوث والدراسات ، وفى
ما يصدر عن المجمع من منشورات ومعاجم
وكتب ، وفى ما تقوم به اللجان العلمية
من تحقيق ودرس على مر الأيام وطوال
السنين ، وفى ما تتجهون إليه وتنمونونه
وتؤكدونه من صلات المجمع بالهيئات
والمؤسسات العلمية ، ما هو كفيل بما نؤمله
للغة العربية من ازدهار ، وللسان الوحي
الإسلامى من غلبة وظهور .

وإنى لأحس بالفراغ الكبير الذى تركه
الراحل الخالد فضيلة الأستاذ المقدس المبرور

الله عزه - وهو ، زيادة على خصوصية
جمعه بين الصحيحين ، يكون أعلى إسناد
يجمع على استيفاء شروطه يحدث به في
الصحيحين ، إذ يكون فيه بين الابن البخار
وبين الإمامين البخاري ومسلم ثلاثة عشر
راويا ، ويكون بينه وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبعة عشر راويا في ثلاثيات
البخاري . وكتب لي ذلك شاهدا به على
نفسه . كتب الله له في هذه الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة ، في يوم الأربعاء خامس شهر
رمضان المعظم من سنة ست وستين وثمانمائة
وألف .

ثم قرأت بين يديه موطأ الإمام مالك ،
وهو بمسك بيده الشريفة نسخته ، وكتب
لي في آخر نسختي ، عند تمام التلاوة ،
ما نصه :

(الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم . قرأ على ابني العزيز
محمد الحبيب ابن الخويرة جميع الأحاديث
التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأقواله وأفعاله وإقراراته من مسند أو مرسل
أو بلاغ مما تضمنته برواية يحيى عن مالك
في الموطأ . وكانت قراءته بهذه النسخته ،
غير معتمد على طبعها لما فيها من تحريف ،
قراءة تحقيق وإتقان قدر الطاقة في أربعة
أيام ، وذلك بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة
المنورة . وكان الختم بعد صلاة العشاء من
ليلة الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة

وشمول المعرفة . وقد اقتضى ذلك فيما أحسب
حسن تخرجه على شيخنا الأستاذ الإمام والده
أطال الله عمره المبارك ، وأخذ به بالمنهجين
المتكاملين والوجهتين المتلاقيتين فيه ، الأصالة
والافتح .

يشهد لأصالته مارواه وسمعه وقرأه ودرسه
ودرسه من أمهات الكتب الخلية والمصنفات
العظيمة المعتمدة في العلوم اللسانية والشرعية
جميعا . فقد حضرنا دروسه للمطول ،
والبيضاوي بحاشية الشهاب ، والعقائد النسفية ،
وجمع الجوامع للجلال المحلى . وهو إلى عظيم
غوصه ، وبديع تقريراته ، وكمال تدبره
لتلك المؤلفات وما كتب عليها ، جليل
المخاضة ، جميل المداكرة ، عجيب التدقيق
والتحرير للقضايا ومسالكها ، والمسائل
ومتفرعاتها . لا يكاد يسأل في شيء إلا أجاب
عنه ، مع شرح ومقابلة وتفصيل وتعليل .
وهو إلى هذا الجانب العظيم فيه الذي ينفرد
به يضم إلى كمال الدراية حسن الرواية في
هذا العصر ببلدنا ، لا يعرف ذلك منه إلا
النزر اليسير من طلابه والمنتسبين إليه .

وقد خصني - رحمه الله وبرد ثراه -
بعد دراسة طويلة عليه ، وانقطاع كامل
إليه بالإجازة العامة في كل ما قرأته عليه
وسمعه منه ، وما يتجمله من شيوخه من
الطرق . وأتخفى بعد ذلك من بين تلك
الأسانيد بأعلاها وأكملها قائلا في التمهيد له :
« وهذا السند العزيز الغالي هو ما لا نعلم أحدا
في الدنيا يحدث به الآن غير والدنا - أدام

ابن حمدان ، عن محمد مكى ، عن محمد
ابن يوسف الفيرى ، عن الإمام محمد
محمد بن اسماعيل البخارى .

وليست هذه الأسانيد مقصورة على
رواية الحديث النبوى الشريف أو العلوم
الشرعية بل له منها ، كما تدل على ذلك
الإجازة العامة ، ما يضبط روايته الكتب
الأدبية ، ومن ذلك سنده الذى نروى به
ديوان الحماسة عن طريق أبى العلاء المعرى
الذى كان أعلم أهل عصره به - عن أبى
عبد الله النمى ، عن أبى رباح ، عن
عبد السلام البصرى ، عن أبى المطوف
الأنطاكى ، عن أبى تمام .

وتنطق بفتحة محاضراته التاريخية والأدبية
ودروسه فى الفرق وفى المناهج الأدبية وما
كان يتعرض له أثناء ذلك من آراء وأفكار
للمستشرقين وغيرهم بالنقد والمناقشة
والتصحيح بعد مطالعات واسعة وشاملة
لكتبهم ، وتحليل دقيق لمواقفهم ، سواء
منها ما يتصل باللغة أو الأدب أو القرآن أو
التاريخ أو الحضارة العربية الإسلامية .
وقد كان العامة والخاصة ينشالون مع الطلاب
على حلقاته أو فصله أو قاعة المحاضرة التى
يكون بها ، يغترفون من معينه الذى لا
ينضب ويتلقون عنه ما لا يستطيعون الحصول
عليه بمفردهم فكان يفرغ فى أسماعهم
نتائج مطالعاته المختلفة المتنوعة مرتبة منسقة
مصفاة لا تشوبها شائبة غموض أو إبهام
ولا يكدرها توقف أو حيرة .

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف بالروضة
الشريفة بين منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبره الكريم ، محمد الفاضل ابن
عاشور) .

ومن لطيف الأسانيد التى تحملتها منه
وأقرأ بها الجامع الصحيح لأبى المؤمنين
فى السنة أبى عبدالله محمد بن اسماعيل
البخارى المسلسل بالمحمدين :

محمد الحبيب ابن الخوجة ، عن شيخى
وأستاذى سيدى محمد الفاضل ابن عاشور ،
عن والده سيدى محمد الطاهر ، عن جده
الشيخ محمد العزيز بوعتور ، عن شيخ
الإسلام محمد ابن الخوجة ، عن الشيخ
محمد بن التهامى الرباطى ، عن محمد بن
عبد السلام النصاصرى ، عن محمد بن الحسن
التطاوى ، عن محمد بن عبد العزيز الحننى ،
عن محمد بن علاء الدين البابلى ، عن الشيخ
محمد حجازى ، عن الشيخ محمد الغيطى ،
عن محمد بن محمد الزنجى ، عن محمد
الخضرى ، عن محمد المرامى ، عن فخر
الائمة محمد القرشندى ، عن محمد بن فليح ،
عن محمد بن مسلم الحنبلى ، عن محمد
ابن أحمد بن عبد الرحيم المقدسى ، عن محمد
ابن عبد الواحد ، عن محمد بن أبى القاسم
القطان ، عن محمد ابن محمد الحفيد ، عن
محمد بن طاهر المقدسى ، عن محمد بن
عبد الواحد البرار ، عن محمد بن أحمد

القاسر القاهر إلى سلطان وحدة وطنية
ترعاهم بعنايتها وتشملهم برحمته ورعايتها
وهكذا بخطبه الحماسية الإيمانية ودعوته
الإسلامية الدينية بعث منظمة للشغاليين -
أسندت إليه رئاسته الشرفية - قابل بها
منظمة العمال الفرنسية .

وتنقل - وأنا في معيته - من أجل التأليف
بين عناصر العمال ، والإحكام لروابط
الحركة القومية النقابية من أقصى البلاد إلى
أقصاها يخطب في المساجد والنوادي يدعو
إلى الإئتلاف وراى الحركة الشغيلة التونسية .
فكان صوته يرن في كل مكان وكلماته
تردد على جميع الأذان تحرض على الاتحاد
وتحث عليه . ومن كلمة في مثل هذه المواطن
قوله بمدينة صفاقس في اجتماع نقابي :

« وهكذا قامت نقابة المدرسين ومعلمي
المدارس القرآنية لتطبيق المبادئ الإسلامية
في تأييد العامل ونصرة الشغل . فالشريعة
الإسلامية قد أزال كل معنى من معاني
التفريق ، والفوارق الظاهرة حكمت بتميز
الطبقات ، على أن في كل عصر كانت فيه
مبادئ الإسلام مطبقة ، كانت فيه الفوارق
معدومة ، فالحروب أو الفتن التي تقوم بين
الطبقات الاجتماعية إنما هي ناشئة على غير
مبادئ الإسلام . فمن واجب المسلم أن
يشعر بما يربط بينه وبين أخيه من موثيق
الأخوة التي هي أمن من النسب . فالمدار
على الاتحاد القلبي لا على ما يرتديه الشخص
من البرنس الأبيض والرداء الأزرق » .

فعلى أساس تلك الأصالة المثالية التي تشد
راحلتنا الكريم بمصادر اللغة العربية ومنابع
التشريع الإسلامي ومناهج الفكر والنظر في
الثقافة والحضارة الإسلامية التي تجعله لا
يصدر في شأن من شئونه إلا عن ملاحظة لها
وتقدير لجانبها ومراعاة وحفاظ على قوانينها
وأذواقها ، وعلى أساس هذا التفتح النير
الذي كان به الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
الرجل الأصيل مواكبا لعلوم وثقافات
وحضارة عصره ، عائشا زمنه ، منتبها
لكل ما يجري به من تغير وتطورات ،
متفاعلا معه تفاعلا ينأى به عتق القعود
والرجعية ويدفع به إلى الإصلاح .

قامت شخصية الراحل العزيز وتركزت
جهوده وأعماله ، فكان الشيخ الحليل
وأستاذ الأساتيد ، إليه المرجع في كل
عويص ، وعنده المصدر لكل بحث قد زاد
في تعلق الناس به ، وإقبالهم عليه ، وحرصهم
على زيارته والاتصال به ، بره واحتفاؤه
بكل من يلقاه منهم ، وإعائته ومجاملته لكل
من يقصد إليه في حاجة أو مهم . ولم تعرفه
فقط حلقات الدرس والمجالس العلمية والأدبية
بل تجاوز نشاطه ذلك ليكون شأنه في
مجتمعه شأن العالم المسلم والرجل المصلح الذي
ينهض بأعباء قومه ويعنيه من أمرهم ما يعينهم .
فوقف إلى جانب العمال الذين استولى على
شئونهم المستعمرون ، وأطهروهم بالتنظيمات
النقابية التي سخروها لخدمة مصالحهم .
فدعاهم بداعي الإسلام والإيمان للتكتل
والتجمع ، والخروج من ذلك السلطان

النهضة الأدبية بتونس ، ثم عنوان لها بتحليلاته الفلسفية ومواقفه الإصلاحية .

فالإسلام في اعتقاده فكر ونظر ، يملك طاقات عجيبة ، ويصنع بذاته لمعتقيه أصول النهضة كما يرسم لهم مناهج الحضارة ومسالك الرقي والازدهار . أكد ذلك عند حديثه عن نسبة التفاعل بين الكندي وبغداد حين قال :

« فالإسلام يدعو البشر إلى سبيل من النظر العقلي : يسلكونه متجربين عن آثار الوراثة والعصبيات ، متخلصين من تضارب القوى الذهنية ، بين عقلية وإحساسية وإعتقادية ، حتى يصلوا بأنفسهم إلى إقامة الحكمة الحق : المتجانسة مع العقل الصحيح والقطرة السليمة الجامعة لما تشتت بين مذاهب الحكماء من صواب المنزلة عما علق بها من خطأ ، حيث تكون العقيدة بنت عقل إرادي جعل الوجود كله ميدانا لحركته » .

وهكذا تتجه الفلسفة الإسلامية اتجاهها الخاص بها ، فتختلف في مادتها بعض الاختلاف عن مادة فلسفة السابقين ، وتتبع منهجا مفردا يميزها عن غيرها ، ويكون لها به الغنى عنها والظهور عليها . ولتوضيح ذلك وتقريره يمضي شيخنا قائلا :

« وما كانت الفلسفة الإسلامية بحاجة إلى هذه المادة من فلسفة الأوائل لتنبع منها وتتكون بها ، لأنها فلسفة تخرج من صميم العقيدة الإسلامية ، ولكنها كانت بحاجة إلى

وقد كانت روحه الوطنية العارمة التي يذكها إيمانه بالعروبة ويصهرها بتمسكه بالإسلام هي التي حسنته مع بعض إخوانه زعماء الحركة الوطنية على إقامة مؤتمر ليلة القدر الذي زج بأثره مع ثلة منهم إلى السجن . وبهذه الروح أيضا شارك في العمل التحريري الحزبي ، وخطب على منبر معهد البحوث الإسلامية داعيا ، بعد التحليل والدرس لأوضاع العالم العربي والإسلامي ، إلى وجوب التفكير في تمكين الروابط بين مختلف أقطار الجامعة الإسلامية ، وبذلك الروح أيضا احتفل وأقام مهرجانات عيد العروبة .^٣

فكانت العناصر الثلاثة المقومة لشخصيته ، وهي الوطنية والعروبة والإسلام : بادية في كل عمل يأتيه أو أثر يصدر عنه ، لا يشعر بواحد منها على حساب الآخرين ، ولا يخضع للمفاهيم الضيقة التي تعنها أو توجه إليها الحركات الانفصالية التي لا تهدف إلى ما يهدف إليه في اتجاهه القومي التونسي المغربي العربي الإسلامي . وهو كذلك دائما ما قامت الحقيقة الإسلامية في النسب الإقليمية والعربية فإذا ضعفت تلك الحقيقة لم يحتفل بالنسب لأنها فقدت جوهرها وعلقت القوة المحركة فيها ، والدافعة لها .

بهذه الروح وتلك المبادئ طبع دراساته الإسلامية والأدبية كالحركة الفكرية والأدبية في تونس في فجر هذا القرن ، وأعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي . وأركان

على النحو الذى برز عليه فى التاريخ الوسيط وهذا المنهج الثقافى الإسلامى يقوم من خصوصيات تتحقق من تلاقيها وتفاعلها مادية الثقافة الإسلامية . وتعتمد تلك ، الخصوصيات على أربعة أركان : الروح والمادة والوضع والحركة .

فإذا فقد ركن من تلك الأركان ، فأعوزت المادة الروح ، أو خانت الحركة الوضع ، حصل مآلنا نستغرب اليوم ، وما هو مشاهد من فروق بين العالمين الأوربى والإسلامى .

« فان حركة تداول التراث العلمى بينهما ثلاثة قرون لم تكن نتائجها بين العالمين متساوية ولا متقاربة بل كانت فيما يظهر للعيان متعاكسة فإذا كان اقتباس الغرب عن الإسلام قد أفاد تقدما واستقلالا وتفوقا ، فلم اقتباس الإسلام عن الغرب لم يفده عزة ولا استغناء ولا ارتقاء بل أصابه بخنوع متواصل وتبعية متظاهرة وما زاده إلا خبالا . »

ولن يعود شأن المسلمين إلى المستوى الثقافى السليم الاصيل الا متى شعروا بأن العلم الرياضى والطبيعى سند للعلم الدينى ودعامة من دعائمه وأن العلم الدينى روح توجه بها المدارك العلمية الرياضية والطبيعية .

« فهناك يعود العالم الإسلامى إلى الأصالة الفكرية ، وينزع عن التقاليد ، وتبدو عبقريته بالإسلام كما بدت به أولا ، إذ يستمد من ذاتيته الإسلامية روحاً ثقافية

الحكمة القديمة لتجمع أطرافها . وتسيطر عليها بالبحث الفاحص والحكم الممحص ثم لتخرج منها فلسفة جامعة مهيبة قوامها روح النظرة الإسلامية ، ومادتها كل ما أنتجته الأوائل من آراء وما سلكت من مذاهب ، ومنهجها التقريب بين كل مآلها الأوائل متباعدة ، والتأليف بين ما حسبته متنافرا ، وخاصة فى ما بين العقل والمقيدة والطبيعة وما بعد الطبيعة . »

وهل هذا النحو من تحليل الفلسفة الإسلامية أو النظر والفكر الإسلامى ببيان خصائصه وإبراز ظواهره ومميزاته يتجه العلامة المرحوم شيخنا الفاضل إلى التفريق أولا بين العلم والمعرفة والثقافة ليتخلص من ذلك إلى الحديث عن مقومات الثقافة الإسلامية وما تتميز به ذاتيا عن غيرها من الثقافات . وهنا يظهر العمق الذى يعالج به هذا الموضوع الدقيق . وهو قبل أن يحلل ركائز الثقافة الإسلامية الأربع يمهّد لذلك بقوله :

« وإن الثقافة الإسلامية ذاتية للإسلام ، ناشئة عن خصوصيات تعاليمه ، وخصوصيات المناهج التربوية التى كوّنت بها الدعوة الإسلامية أمة الإسلام ، فرديا واجتماعيا ، فى الاعتقاد والفكر والسلوك . وبذلك كان للثقافة الإسلامية منهجها الذى اختلف عن جميع المناهج الثقافية ، وسارت به المعرفة والحضارة فى تاريخ الإسلام سيرة ذات مميزة هى التى برز بها التفكير الإسلامى

الإسلامية جزاء الله من العربية والإسلام خيراً ،
وأفاض عليه من شآبيب الرحمة ، وواسع
المغفرة ما يرفع مقامه في عليين ، ويحشره
به مع عباده المخلصين من الشهداء والصالحين ،
﴿ وحسن أولئك رفيقا : ﴾

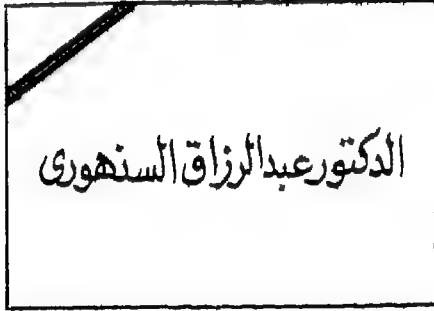
وإني وأنا أخلفه في مقامى هذا ، وقد
بوأتموني - شكر الله لكم - مقعده بينكم
لأوجه من هذا المكان إلى روحه الزكية
الطاهرة ، وهو في دار الخلد ، هذه التحية
الخالصة من ابن بار به ، يعرف حقه
عليه ، ويحاول قدر الطاقة الجهرى على سننه
والإيتساء به في ما كان له عنوانا من الفضائل
الخلقية والكمالات العلمية . وأرجو الله
أن يكتب لى من التوفيق ما أكون به عند
حسن ظنكم جميعا ، وأن يمدنى بعونه
وأيده كيما أسهم معكم - لا زلتم للغة الضاد
حماة . ولأعجابه دعاة ، ولروائعه بناء -
في الخدمات الجليلة التي يقومون بها والأعمال
العملية التي تعكفون عليها والجهود الجبارة
التي ما فتئتم تبذلونها قصد حماية العربية
وصونها ورعايتها وتعزيزها . أقدرنى الله
على أن أكون حريا بالانتساب إليكم والعمل
معكم وسدد خطانا جميعا للاطلاع بأعباء
المسؤوليات الثقيلة التي تنوء بها كواهلنا من
أجل أن نعيد للغة القرآن شباها وماسلف
من زاهر عهودها وأن نحقق لها الانطلاقة
الكبرى بفضل ما توفر لها من شمول واتساع
مادة وحيوية تجعلها دوما ثابتة ولتطورات
الزمان وه مقتضيات الحضارة الحديثة مواكبه .

متجانسة مع روحه الاعتقادية ، تجعل التعليم
الإسلامي باللغة القرآنية أصلا للتعليم في مراحل
كافة ، ينمو مع نمو الفرد طبعاً وفكراً ويمتد
إلى طلب المعارف واللغات طلباً حثيثاً بدافع
من الذات ، ولغاية زكية سامية من الدين ،
فيذكر أن منهجه الإسلامى هو منهجه الأصلى
لا التقليدى ، وأنه لن يبلغ مبلغ الأهم التي
يتطلع إلى اللحاق بها ، إلا إذا طلب العلم
على منهجه الذاتى ، وبدافع من نفسه كما
طلبت هى العلم على منهج ذاتى لها وبدافع من
أنفسها . سنة الله ولن نجد لسنة الله تبديلاً .

فالروح الإسلامى ، والتربية الدينية ،
والوازع الدينى ، والتمسك باللغة مع
مراعاة متطلبات العصر ومقتضياته والاستجابة
لمستلزمات رقيه وتطوراتها هى الأصول
النظرية والطرائق العلمية ، التي جاهد
فقيدنا العزيز في تركيزها ، وعمل مخلصا
من أجل الدعوة إليها والحث على التمسك
بها . أعلن عن ذلك في غير ما مناسبة وصرح
به في مقامات مختلفة ، تنطق بذلك بحوثة
ودراساته عن منهج الثقافة الإسلامية ،
وعن روح الحضارة العربية ، وعن التشريع
الإسلامى وغيرها ، كما تردد صدق ذلك
ندوات ومحاضراته وخطبه بوطنه وخارج وطنه .

فله ما بذل الراحل الخالد فقيدنا العزيز
أبو عياض محمد الفاضل ابن عاشور ذلك
الداعى ، المجاهد فى سبيل اللغة والإسلام ،
المكافح المناضل فى سبيل إرساء قواعد
الثقافة العربية وبعث وتجديد الحضارة ،

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٣ من شوال سنة ١٣٩١ هـ
الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٧١ م أقيم المجمع في دار الجمعية المصرية
للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع حفل تأبين للمفطور له الدكتور
عبد الرزاق السنهوري عضو المجمع ، ولما يلي الكلمات التي أقيمت
في الحفل :



كلمة الأستاذ زكي المهندس في تأبين المرحوم

سيداتي ، ومادتي :

لقد كان السيد الدكتور طه حسين رئيس
المجمع ، حريصا على أن يشارك في تأبين
الفقيد الكريم ، ولكن نظرا لحالته الصحية
فقد اضطر إلى الاعتكاف والاعتذار ،
ولأن باسمه وباسم المجمع أحييكم وأشكر
لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأبين
الفقيد . وإنه ليعز علينا أن نرى الموت
يختطف زملاءنا واحدا وراء الآخر وفي
فترات متقاربة ، فما تكاد دموعنا تجف على
[زميل راحل حتى تعود فتنهمر على زميل
آخر ، ففي عام واحد ودع المجمع ثلاثة من
أعضائه العاملين الذين كان يعتز بهم ،
ويعتمد في تحقيق رسالته على علمهم ونشاطهم .

لقد ودع المجمع في صدر دنيا العام
الزميل الكريم والعالم الجليل المرحوم الأستاذ

مصطفى نظيف ، الذي اغتاله المنيء فجأة
ثم ودعنا بعده الزميل الكريم المرحوم الأستاذ
عبد الفتاح الصعيدى الذى دهمته سيارة
وهو في طريقه إلى المجمع ليشارك في حفل
تأبين المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف .

وما نحن أولاء نجتمع الليلة لتكريم ذكرى
راحل كريم ثالث وهو المغفور له الدكتور
عبد الرزاق أحمد السنهوري . لقد وافته المنية
في شهر يونيه الماضى حين كان المجمع في
عطلة السنوية . وكان قد اعتكف عنا عامين
كاملين ، أخذ يصارع فيهما المرض ، ولكنه
انتهى إلى حيث أراد الله لكل حتى أن ينتهى .

لقد كانت خسارتنا فيه فادحة وفجيعتنا
فيه أليم ، وقد ترك بيننا فراغا ليس من السهل
أن يشغله سواه ، على أننا لاذ نبكى السنهوري
الليلة ، فإننا لانبكى فيه عضوا مجتمعا ممتازا

فحسب ، ولكننا نبكى فيه علما من أعلام القانون ، ورائدا من رواد الفكر والثقافة .

نبكى فيه عالما تجاوزت كفايته القانونية حدود بلده وشع ضوؤها على كثير من البلاد العربية . ولعل أصدق ما وصف به السهوري أنه « ديفامو » عمل ونشاط ؛ فقد اجتمع له من صفات الصبر والجلد والقدرة على مواصلة العمل ، ما لم يتبها للقليل جدا من الناس .

وأذكر أنني اجتمعت به ذات مساء

في لجنة من لجان وزارة المعارف وهو يومئذ وزيرها ، وفي أثناء الاجتماع انطفأ النور وطالت مدته وشاء الرفاق أن يؤجلوا عمل اللجنة إلى موعد آخر ، ولكنه أبى وأصر على أن تتم اللجنة عملها وأمر بإحضار بعض الشموع ، وظلت اللجنة تعمل في ضوء الشموع حتى عاد التيار .

هذا - أيها السادة : - هو فقيدنا الذي نجتمع الليلة لتكريم ذكره ، رحمه الله وطيب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومثواه .

• • كلمة الدكتور محمد مصطفى القللي

سيداتي ، سادتي

فقدنا الأستاذ الإمام : فقدنا رجل القانون النابغة الفذ الدكتور عبد الرزاق السهوري ، وقلما يجود الزمان بمثله . ذلك قضاء الله ولا راد لقضائه ، ولا حيلة إلا الصبر والامتنال لمشيئته . . . إنا لله وإنا إليه راجعون

إن الخطب جلل والخسارة فادحة ، لا لجمع اللغة العربية وحده ولا لمصر وحدها بل وللشرق كله ، ولعالم القانون بصفة عامة .

كان - عليه رحمة الله - نسيج برد وحده . فإذا بكيته فإنما أبكى فيه أمة مجتمعة في شخصه

نبكى فيه العالم المتبحر والباحث المدقق والأستاذ المتمكن والمؤلف الفياض والمشرع الحصيف الثاقب النظر ، والقاضي النزيه الحرى العادل ، الذي لا يرى إلا الحق سلطة تعلق على سائر الرموس ، والذي ينتصر للمظلوم ولو كان من خصومه والحاquدين عليه ، ويقتص من الظالم وإن كان من أقرب الأقربين إليه ، أو كان له النصيب الأوفى من الهيمنة والسلطة الغاشمة . نبكى فيه الوطني الغيور الخالص في وطنيته ، والاشتراكي الصادق النظر المدرك لأوجاع أمته ، نبكى فيه الرسول المؤمن برسائله ، والعربي الوفي

لعرويته ، العامل على استعادة مجدها والتقريب بين أبنائها وتوثيق الألفة بين قلوبهم .

نبكى فيه كل هاتيك الفضائل والمناقب : تعددت ميادين جهاده وتنوعت المهام التي اضطلع بعيشها ، وامتد نشاطه إلى سائر البلاد العربية أستاذًا ومؤلفًا ومشرعًا . وتوالت أبحاثه ومؤلفاته فيضا غزيرا في القانون وخاصة في القانون المدني ، فخاض لنا ثروة علمية طائلة لا يدانيه فيها أحد ، وتراثا خالدا من محكم البيان وصائب التفكير ، ونموذجا رائعا لحسن الأداء وسلاسة التعبير . كنز ثمين لا تبلى جدته ، وذخر دائم لا غنى عنه لرجال القانون على اختلاف مشاربهم في سائر البلاد العربية .

لقد مكنه من كل هذا الإنتاج الضخم وهياً له تلك المنزلة السامية سواء في مصر أو في الوطن العربي بصفة عامة ما حباه الله به من مواهب عقلية وخلقية فذة وما استقر في قرارة نفسه وأمام ناظره من مثل عليا تغياها طول حياته ؛

منحه الله عقلا منطقيا مرتبا ، وذهنا نافذا لا يرضى بالقشور أو السطحيات ، وإنما يعمل في تودة حتى يكشف عن أصول الأشياء ويصل إلى كبد الحقيقة . وأفرغ عليه صبورا وطول أناة في كل ما يفعل . فكان جلده وتفانيه في العمل مدعاة للإعجاب بل وللإشفاق عليه . إنما ذلك كله يرجع إلى حبه لفنه . فقد كان محبا لفنه إلى أقصى درجات الحب . وهذا هو سر تفوقه وإنتاجه الغزير

في هذا الميدان . كان يضحى في سبيل عمله بكل الاعتبارات أيا كانت . كان عمله وخاصة في ميدان القانون والقانون المدني في الطليعة هو متعته وغذاؤه ، وهو سلوته وهو هناؤه . وكانت أسعد الأوقات تلك التي يقضيها بين كتبه وأوراقه يطالعها ويناقشها ويستوعب ما فيها ، أو مع إخوان من الصفوة الممتازة يجادلونه ويجادلهم في شتى المسائل وخاصة المشكلات القانونية . ولم يكن يضمن في هذا السبيل بوقته أو براسته أو بصحته . تعرض له المشكلة فلا يزال يقلب فيها ويجزئها . ويستعرض سائر وجوها ومختلف الاحتمالات في مجاباتها وحلها . ويتناقش مع المختصين فيها ، ويستمع إلى كل رأى ولان كان يسرف في معارضة رأيه ومناقضته ، كل ذلك في صبر وفي جلد ودون أدنى ملل مهما طال النقاش ، كما لو لم يكن أمامه في الحياة سوى تلك المشكلة ؛ يتأمل فيها ويراجع من سبق أن عالجوها ويستوعب آراء من يتناقشون معه . وبعد هذا الدرس وهذا التحييص يستخلص النتيجة التي ينتهي إليها فإذا بها آية في سداد الرأى وسلامة التفكير ، تدل على تلك العقلية المنطقية المرتبة وعلى ذلك الذهن النافذ الوقاد .

كان يؤمن إيمانا عميقا وجوب سيطرة القانون . فالقانون هو صوت العدل مجسما يبين للناس كافة حدود حقوقهم والتزاماتهم سواء في علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو في علاقتهم بأرباب السلطة العامة والقابضين على

عادلا في تصرفاته مستهدفا المصلحة العامة دون سواها ، مضحيا في خدمتها بوقته وصحته أبعد ما يكون عن التطلع إلى كسب مادي أو مظهر ما من زيف الحياة ، مما يتكالب عليه الناس ويتسابقون ويتفانون في الوصول إليه . ولم يكن ينسى وهو في دوامات السياسة فنه الحبب وأبحاثه في القانون المدني خاصة ، فلم تنقطع صلته به بل ظل يوالى تأليفه ومحاضراته . وعدت عليه تيارات السياسة أيضا ضيقا بحيدته وطمعا في إمالته ، فلم يهن ولم تفل عزيمته . وظل كما هو كالطود الراسخ لا تلين قناته ولا يلتوى عوده ، شديد الإيمان بالله وبعبدائه وبأنه جل شأنه ناصر للمحق وإن طالت غشاوته .

وكان في طليعة المؤننين بأن وحدة الشعوب العربية غاية أولى يجب أن تتضافر الجهود من كل النواحي لتحقيقها . ففي ذلك القوة الحقة للعروبة وإعلاء كلمتها في المجال الدولي ، والوسيلة الناجعة لاستعادة مجدها ورد كيد الحاقدين عليها والطامعين في ثروات أقطارها . وكان في هذا الميدان الحندي الباسل والداعية الحصيف الرأي والثاقب النظر . فأخذ يستعين بذات للتقريب بينها ، وذلك عن طريق توحيد الشافة القانونية وتوحيد التشريعات أو تقاربها . بهما ينهل أبناء البلاد العربية في هذا الصدد من معين واحد وتربط بينهم في معاملاتهم وتصرفاتهم أيا كانت أنظمة واحدة وتؤلف بين قلوبهم أصول ومبادئ راسخة لديهم مؤننين بها مجتمعين عليها .

مقابلها . والقانون روح قبل أن يكون نصا ومعنى قبل أن يكون حرفا ، ولهذا يجب أن يكون تعبيرها صحيحا عن الوضع العادل السليم ، يستهدف المصلحة العامة في غير جور أو حيف أو محاباة . ولهذا أيضا لا بد أن يرسخ في نفوس الحاكمين والمحكومين وجوب احترامه والإذعان لأوامره ونواهيه . ذلك لأن القانون هو الذي ينظم سير الناس في طرقات الحياة ، ويحدد أبعاد ملهم وما عليهم . فهو الدرع الواقى لكل فرد سواء في نفسه أو في ماله أو في عرضه أو في كرامته . وعلى أساس القانون السليم العادل يجب أن تقيم الأمة بناءها وللا انهيار كل ما تبنيه أو يتخيل البانون أنهم يقيمونه . كانت هذه نظرة الكريم الراحل . نلمس أمثلة عليها بارزة في قراراته وأحكامه وهو رئيس لمجلس الدولة ، وفي مشروعاته الدستورية التي عهد لإياه بوضعها . وفي الحق أن القانون أشبه بشرطى المرور ينظم لأفراد الشعب سيرهم في طرق الحياة . وبلد تهرن فيه سلطة القانون أشبه بطريق مزدحم بالمسارة خال من إشارات المرور ومن ينظمه . ومؤدى ذلك دون ما ريب فرضي لاحد لها ، واختلال ضحيته الضعفاء والراجلون .

وكان عليه رحمة الله - في هذا السبيل صلبا في الدفاع عن الحق الذي يمثله القانون عنيدا في الدود عن حياضه . اختطفته السياسة فترات ما لتفقد من عبقريته ومن نبوغه فكان وهو في غرتها كالعهد به طول حياته ،

في ليون . وهناك كان اتصاله بالعلامة الكبير الأستاذ إدوار لامبرت الذي كان فيما مضى ناظرا لمدرسة الحقوق الخديوية . وكان لهذا الاتصال أثر كبير في توجيه النشاط العلمي للمرحوم الدكتور السنهوري . ذلك لأن الأستاذ لامبير كان زعيم المنادين بأهمية دراسة القانون المقارن في ذلك فائدة محققة سواء من حيث دراسة القانون القائم أو البحث في مجال التشريع عن أصلح الأنظمة وأوفها بحاجيات الأفراد ، وتقرير الأحكام العادلة في معاملاتهم وشئ تصرفاتهم . وفعلا أنشأ الأستاذ لامبرت معهدا للقانون المقارن . وعن هذا الأستاذ الجليل أشرب المرحوم الدكتور السنهوري حبه للدراسات المقارنة . وقد أسهم فعلا بنصيب كبير في هذا المجال في المقارنة بين القوانين الوضعية وأحكام الشريعة الغراء .

ومن كلية الحقوق بليون حصل على الدكتوراه في العلوم القانونية سنة ١٩٢٥ وكان موضوع رسالته « القيود التعاقدية على حرية الفرد في العمل » . وقد عني فيها خاصة بدراسة أحكام القضاء الإنجليزي وتناول فيها بحث المعايير القانونية المرنة مقارنا إياها بالقواعد الجاملة . ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية سنة ١٩٢٦ وكان موضوع رسالته « الخلافة الإسلامية وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية » . وحصل كملك على دبلوم معهد القانون الدولي بجامعة باريس .

كان السنهوري - تغمده الله برحمته - شخصية نادرة تنوعت مواهبه وتعددت مآثره . وكانت حياته صورة مشرفة للعاملين [المخلصين المجاهدين ، ومثلا عاليا جديرا أن يحتذيه الناشئون ويجري على نهجه الحاكمون والمصلحون . وكم يطول في المقام بعد هذه النظرة المحملة لو حاولت أن أحصى آثاره ومناقبه . وحسبي أن أستعرض في عبارات موجزة خطواته في الحياة وثمرات إنتاجه ، وكلها صفحات ناصعة وضاعة ، هي ماثار للإكبار والإعجاب وعلى مثلها فليعمل العاملون .

نشأ الفقيه الكرم بالإسكندرية . وكان مولده بها في سنة ١٨٩٥ . وبعد أن أتم دراسته الابتدائية بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية التحق بمدرسة رأس العين الثانوية ثم بالمدرسة العباسية وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة ١٩١٣ وكان ترتيبه الأول بين الناجحين في القسم الأدبي . ثم التحق بمدرسة الحقوق بقسم المنتسبين وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩١٧ وكان ترتيبه الأول بين خريجي ذلك القسم . وعين في ذلك العام بالنيابة العامة . ثم عين رغم حداثة سنه لتدريس مادة القانون بمدرسة القضاء الشرعي خلفا للمرحوم الأستاذ الكبير أحمد بك أمين . ولما أعيد لإرسال البعثات الدراسية للخارج عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى أوفد صيف سنة ١٩٢١ إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في القانون فالتحق بكلية الحقوق

نهج علمي ممتاز . ثم أخرج سنة ١٩٣٤ مؤلفه الشامخ « في نظرية العقد » وهو يقع في نحو ألف صحيفة من القطع الكبير . وكان هذا الكتاب بحق فتحا علميا جديدا في الفقه المدني في مصر ، وتلقاه كبار رجال القانون وخاصة من أساطين القضاء بكل تقدير وترحيب .

وقد نشر بعد ذلك كتابه « الموجز في النظرية العامة للالتزامات » في ٧٥٠ صحيفة وهو مرجع مبسط شامل لطلاب القانون . كما أخرج كتاب « أصول القانون » بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أحمد حشمت أبوستيت

وفي سنة ١٩٣٥ ندب عميدا لكلية الحقوق في بغداد بالعراق فاصطحب معه نخبة من خيرة الشبان الأكفاء . وهناك وضع الأسس السليمة التي قامت عليها دراسة القانون وأرسي قواعد النظام المحكم لكلية الحقوق ببغداد . وكان حصيفا وعمليا فأفرع جهده في الموامعة والمقارنة بين المبادئ الحديثة في القانون المدني وبين « أحكام المجلة » التي كانت سارية بالعراق وقتئذ ، ووضع مؤلفين في هذا الصدد لطلاب الكلية . وطلب منه وزير العدل المرحوم رشيد عالي الكيلاني مشروعاً للقانون المدني فلم يتمكن إلا من وضع مشروع لعقد البيع .

ولم تطل إقامته بالعراق . وبعد عام عاد إلى مصر واختار معه العشرة الأوائل من أبناء كلية الحقوق ببغداد وألقاهم بكلية

وهكذا نرى أنه قد اتسعت آفاق دراساته القانونية فناول في تحصيله مواد القانون الخاص والقانون العام ولا سيما مادة القانون الدولي .

وبعد أن أتم دراساته في الخارج عاد إلى مصر سنة ١٩٢٦ وعين مدرسا بكلية الحقوق . وربما لا يعرف الكثيرون أن الدكتور السنهوري ذلك القطب العملاق في القانون المدني عندما عاد من بعثته في الخارج كان المقرر أن يعين لتدريس القانون الدولي . ولكن نظرا لعدم خلو المكان في ذلك الوقت عهد إليه بتدريس القانون المدني فتفوق فيه وأبدع ، وكان له ذلك الإنتاج الضخم الغزير الذي يعد ثروة غالية وكثرا ثميناً لرجال القانون . وليس هذا بمستغرب فالفضل في ذلك إنما يرجع إلى تلك العقلية الجبارة والعبقرية الموهوبة وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وسرعان ما تخطى درجات الترقى بالكلية حتى صار أستاذا للقانون المدني . وفي كلية الحقوق تجلّى نبوغه وبرزت شخصيته الفاضلة العظيمة . فكان الأستاذ العطوف على تلامذته ، القريب إلى قلوبهم ، المحب إلى أسماعهم ، المتفاني في تثقيفهم وإرشادهم وتيسير عويص المشكلات أمامهم ، يحرصون كل الحرص على محاضراته ويرسمون أسلوبه ومنطقه فيما يلقيه أو يكتبه . وأخذت تتوالى مؤلفاته القيمة . فأخرج في سنة ١٩٣٠ كتابه في « شرح عقد الإيجار » جرى فيه على

للعديل فيما نجم عن تطور أساليب الحياة وما ترتب
عن ذلك من مشاكل وتضارب بين الحقوق
والالتزامات وساعده في مجهوده الموفق
في هذا المشروع تضلعه في أحكام الشريعة
الغراء وسعة اطلاعه فاقتبس منها وأفاد منها
أيما فائدة :

وانتهى وضع مشروع القانون المدني
الحديد سنة ١٩٤٥ ثم مرفى مجلس النواب
والشيوخ بعد لإدخال تعديلات قليلة عليه
وصدر في أواخر شهر يولييه سنة ١٩٤٨ :
وأكشف لكم هنا عن ناحية مشرفة في عمله
الخليل الذى تفانى في إنجازها تدل على زهده
ولكباره للمعنويات دون الماديات . فقد
عرضت عليه الحكومة القائمة وقتئذ مبلغا
ضخما لقاء الجهد المضنى الذى بذله في هذا
العمل العظيم وأصح عليه وزير العدل حينئذ
الحاحا شديدا فرفض بكل إباء ، وأنا أعلم
في يقين مدى حاجته وقتئذ ، وآثر أن يقدم
صنيعه خدمة للوطن ولا يبتغى عليه أجرا
فأجره عند الله ، والله عون له ورازقه ، فهو
هو عبد الرزاق كما كان دائما ، خدمة
القانون والقانون وحده هدفه وغايته .

وقد رأى من واجبه أن يشرح للمطلعين
والباحثين ذلك القانون الذى وضعه . فقام
بتأليف كتابه القيم « الوسيط في شرح القانون
المدنى » وهو مؤلف في عشرة أجزاء استغرق
في تأليفها عشرين سنة . وكل جزء منها
يتكون من ألف صحيفة أو يزيد ، وبعض
الأجزاء يتكون الواحد منها من مجلدين .

الحقوق بالقاهرة . وكان من هؤلاء نواة
الأساتذة العراقيين الذين اضطلعوا بتدريس
القانون هناك فيما بعد .

وفي أواخر سنة ١٩٣٦ انتخب عميدا
لكلية الحقوق بالقاهرة . ثم نزعته السياسة
من التدريس إلى القضاء المختلط في سنة ١٩٣٧
فكان القاضى النابه بن زملائه من القضاة
الأجانب . ثم اختير مستشارا مساعدا بقلم
قضايا الحكومة .

وحدث أن استجابت الحكومة في ذلك
العهد إلى ماسبق أن نادى به من قبل من
وجوب وضع قانون مدنى جديد للبلاد .
فقد سبق أن نشر مقالا مسهبا في هذا المعنى
بمجلة القانون والاقتصاد في سنة ١٩٣٦
في العيد الخمسينى للمحاكم الأهلية . وإذ
نزلت الحكومة عند فكرته هذه شكلت
في أول الأمر لجنة لتعديل القانون المدنى ،
وكان السهورى من أبرز أعضائها . ثم انتهى
الأمر بإسناد مهمة التعديل إليه وحده في
سنة ١٩٣٨ . وكان أن انقطع لوضع مشروع
القانون المدنى ، أفرع فيه جهده مستعينا
في ذلك بنخبة من خيرة رجال القانون
الأكفاء ، واشرك معه في أول الأمر أستاذه
العلامة الخليل إدوار لامبير . وفي هذا
المشروع سد ما بالتشريع القائم من ثغرات على
ضوء ما جرت به أحكام القضاء واستقرت
عليه ومادعت إليه ضرورات الحياة والأخذ
والعطاء بين المتعاملين ، وما اهتدى إليه
المشرعون . مختلف البلاد الراقية تحقيقا

أبحاثاً ومقالات عديدة باللغة العربية واللغة الفرنسية في مختلف المجالات العربية والأجنبية، وكلها كسب عظيم للثروة العلمية . أسوق منها خاصة ما يأتي :

باللغة العربية :

١ - تنقيح القانون المدني وعلى أى أساس يكون (الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية سنة ١٩٣٣) .

٢ - من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي (مجلة القضاء العراقية سنة ١٩٣٦) .

٣ - مشروع تنقيح القانون المدني المصري (مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٤٢) .

٤ - الروابط الثقافية والقانونية بين البلاد العربية (المجلة المصرية للقانون الدولي سنة ١٩٤٦) .

٥ - عقد البيع في مشروع القانون العراقي (مجلة القضاء العراقية) .

٦ - الانحراف في استعمال السلطة التشريعية (مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥٢) .

٧ - تطبيق نظرية الظروف الطارئة (مجلة المحاماة سنة ١٩٦١) .

٨ - الإسلام والشرق (السياسة الأسبوعية ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٢) .

٩ - الوحدة العربية (في ثلاث مقالات) (مجلة الرابطة العربية سنة ١٩٣٦) .

وقد أتم الجزء الأخير من هذا الكتاب وهو في مرضه الأخير ، ولم يقعه المرض عن تنفيذ ما اعتزمه ، ولتمام رسالته التي يؤمن بها حق الإيمان . وهذا الكتاب موسوعة مسهبة في القانون المدني ، وهي ذخيرة علمية لاتداني . وكما يقول عنها بحق أحد الأساتذة الأجلاء : « إنها تذكرنا بالمجلدات الضخمة التي كان يعكف على تأليفها فقهاء الإسلام في العصور الأولى ويفرغون لها العمر كله . ولكن الغرابة تزول إذا ما عرفنا أن ذلك المؤلف الذي اضطلع بكل هذا العبء وحده هو الدكتور السهوري » .

ولمعانا في خدمة المادة والتيسير على الطالبين والباحثين كان يعتزم - كما أفصح عن ذلك في مستهل كتابه « الوسيط » - لإخراج موجز يقتصر فيه على بيان الأصول والقواعد الأساسية ، وكذلك لإخراج شرح مستفيض في مؤلف باسم « المبسوط » . وقد أثر أن يبدأ بالوسيط فهو كما أشار إليه بمثابة الحلقة الوسطى من عقد واحد تجمله فيصبح وجيزاً وتفصله فيصير مبسوطاً .

وقد أصدر فعلاً في سنة ١٩٦٦ كتاب « الوجيز في نظرية الالتزام بوجه عام » ، لخص فيه الأجزاء الثلاثة الأولى من الوسيط وهو يقع في ١٣٠٠ صفحة . وكان في نيته أن يلخص كل ثلاثة أجزاء من الوسيط في جزء واحد من « الوجيز » .

١٠ - وفضلاً عن هذه المؤلفات نشر الفقيه

وباللغة الفرنسية :

١ - المعيار في القانون (في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ جيني سنة ١٩٣٧) .

٢ - الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى (في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير سنة ١٩٣٨) .

٣ - المسئولية التقصيرية (بالاشتراك مع المحرم الأستاذ الدكتور حلمى بهجت بدوى ، في مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣) .

٤ - المسئولية التقصيرية في الشريعة الإسلامية (مجموعة بحوث مؤتمر القانون المقارن بلاهى سنة ١٩٣٧) .

٥ - الشريعة الإسلامية أمام مؤتمر القانون المقارن بلاهى (مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٧) .

٦ - مجلس الدولة (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان ، في مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥١) .

ومن نواحي عظمة البنىهورى العلمية تمكنه من الشريعة الإسلامية . فقد كان يؤمن بأن فقهاء الشريعة قد خلفوا كنوزا ثمينة من خير ما تنتجها القرائح وتهدى إليه العقول الناضجة في التخريج والتدليل والعمل على تحقيق المصالح بين الناس . ولذلك

كان يرى أن الشريعة الغراء مصدر عظيم من مصادر التشريع . وله في هذا الصدد بحث رائق باللغة الفرنسية بعنوان « الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى » وقد نشر في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير كما سبق وأشرت إليه . وقد عكف على دراسة الشريعة دراسة عميقة ومفصلة . ولم يقتصر في ذلك على منهج معين بل تناول المذاهب المختلفة بالبحث والتحليل والمقارنة . ولهذا لم أدهش حينما قرأت لأحد تلامذته النابهن أنه سمع من أحد الثقات أن الأستاذة المتفرغين للدراسة الشريعة الإسلامية في الجامعات البريطانية يعتبرون البنىهورى دون أدنى جدال الإمام الخامس بعد الأئمة الأربعة .

ولإن أنس لأنسى جهده الرائع الموافق في مؤتمر القانون المقارن الذى عقد في لاهى في صيف سنة ١٩٣٧ . فقد صاحبه أنا ونخبة من أساتذة كلية الحقوق كأعضاء في ذلك المؤتمر الذى كان يتناول موضوعات مختلفة في شتى فروع القانون . كان الفارس المحلى في ميدان أبحاث القانون المدنى وفي المقارنة مع أحكام الشريعة الغراء بوجه خاص والدفاع عنها ضد من يتجنون عليها ، وما أكثرهم ، ويردون إلى القانون الرومانى فضل ماجادت به قرائح الفقهاء وثمرات اجتهادهم .

ومن آثاره الخالدة في خدمة الفقه الإسلامى مقام به في معهد الدراسات العربية العليا . فقد تقدم لمجلس جامعة الدول العربية بمشروع

في وضع تشريعاتها الحديثة . فوضع للعراق قانونها المدني الذي جمع فيه بين أحكام القوانين الوضعية العصرية وأحكام الشريعة الإسلامية . إذ كان الساري في العراق من قبل « مجلة الأحكام العدلية » . وهي مجموعة قواعد قانونية مستمدة من الفقه الإسلامي على مذهب الإمام أبي حنيفة جرى العمل بها منذ التبعية فيما مضى للدولة العثمانية . وقد رأى بصادق نظره أن لا يقطع الصلة بين الماضي والحاضر وآثر التدرج على الطفرة .

كذلك قام عليه رحمة الله بوضع القانون المدني في سوريا وقانون البيئات وهو يشمل قواعد الإثبات الموضوعية وإجراءاتها ، كما وضع القانون المدني في ليبيا ، وتكفل بوضع جميع قوانين الكويت الأساسية ودستورها وكذلك وضع الدستور السوداني . وكان آخر عمل تشريعي قام به في البلاد العربية مشروع وضع دستور لاتحاد إمارات الخليج العربي ، ولكنه لم يتمكن من إتمامه نظرا لحالته الصحية التي لم تكن تساعد على السفر إلى تلك المنطقة لدراسة ظروفها وعوائدها وتقرير ما يلائمها . كذلك وضع لإمارة البحرين مجموعة من القوانين العصرية قال عنها أحد الأساتذة المحترمين أنها تعد من المفاخر التشريعية .

ومن الصفحات الخالدة الوضاعة في تاريخه عهد رئاسته لمجلس الدولة ، وما بدا منه في ذلك العهد من مواقف حازمة جريئة ومآثره من مبادئ سامية عادلة صونا للحريات

لإنشاء معهد للدراسات العربية ووافق المجلس على إنشاء المعهد في مارس سنة ١٩٥٢ . وعين السهوري رئيسا لقسم القانون بالمعهد منذ إنشائه وظل رئيسا له حتى أواخر سنة ١٩٥٩ . وقد قام بلقاء المحاضرات في الفقه الإسلامي ونشرت هذه المحاضرات على نفقة المعهد في كتابه « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » وهو ذخيرة قيمة ويقع في ست أجزاء . وقد طبعه المعهد ثلاث طبعات .

ولم يقتصر نشاطه في مجال القانون على الدرس والنظر ، بل أن آثاره في ميدان العمل والتطبيق بارزة عديدة . فقد عمل في الحاماة في فترات متقطعة أكثرها طولا ما بين سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٥ وله في هذه الحقبة مذكرات قيمة قدمها لمحكمة النقض في قضايا خطيرة حدثني عنها أحد تلامذته النجباء الذين عملوا معه في تلك الفترة ، وخص بالذكر منها مذكرة مستفيضة في أكثر من مائتي صحيفة كان لها صيت مدو وكان موضوعها : « وصية غير المسلم وخضوعها لأحكام الشريعة الإسلامية » . وتعتبر مرجعا علميا ثمينيا في بابها . وما يؤثر في شأنه في عالم الحاماة أن أرباب القضايا كان يعجبون لتواضعه في تقدير أتعابه وفي رفض القضايا المجزية .

ومن أروع آثاره الخالدة في ميدان العمل والتطبيق والتي تعد بحق خدمة جليلة للعروبة وللتقريب بين أبنائها نواحي نشاطه في مجال التشريع . فقد قصدت إليه أغلب البلاد العربية لتفيد من غزير علمه وواسع خبرته

وخلفاً للرأى الراجح فى ذلك الوقت :
أوضح فى بيان مفهم أن السلطة القضائية
وهى تراقب تقدير السلطة التشريعية لا تقوم
بعمل تشريعى يحول دونه مبدأ الفصل بين
السلطات ، ولكنها تقوم بعمل قضائى محض
هو تعرف القانون الواجب التطبيق فى النزاع
المطروح أمامها . فإذا تعارض التشريع مع
الدستور وجب عدم تطبيق التشريع
المخالف وتطبيق الدستور سيد القوانين فى
البلاد .

ومن تصرفاته العادلة الرشيدة انتصاره
لحرية الصحافة ، فقد وقف بالمرصاد لما
كانت تقرره الحكومة من تكيم حرية
الصحف وتعطيلها . لقد أدرك بثاقب نظره
الصادق أن حرية الكلمة وحرية الصحافة
خاصة هى أول ضمان للحريات عامة ،
وأن حرية الصحافة سياج واقى من عبث
الحاكمين وطغيانهم . ولهذا أصدر بوصفه
رئيساً لمجلس الدولة القرارات بوقف ما كانت
تصدره الحكومة من أوامر بتعطيل بعض
الصحف رافضاً أن يعتبر القرار الصادر بتعطيل
جريدة أو برفض الترخيص بإصدارها
أو إلغاء الترخيص عملاً من أعمال السيادة ،
واو كان صادراً من مجلس الوزراء . واتبع
هذه القرارات بالفصل فى الموضوع من
محكمة القضاء الإدارى بإلغاء القرارات
الإدارية الصادرة من مجلس الوزراء . سار
على هذا النهج فى إنصاف الصحف حتى وإن
كان أربابها من خصومه .

وكبحاً لافتيات السلطات الحاكمة وعنتها .
وليس من المبالغة فى شئ إذا قيل بأنه حين
يذكر مجلس الدولة فإنه يذكر مقروناً باسم
السنهورى . فقد جعل من مجلس الدولة حصناً
منيعاً لحماية حريات الأفراد وملاذاً أميناً من
عدوان الحاكمين .

لقد تولى رئاسة ذلك المجلس فى سنة ١٩٤٨
وظل به حتى عام ١٩٥٤ . وفى تلك الفترة
عمل جاهداً على أن يحقق على خير وجه الغاية
التي من أجلها أنشئ ذلك المجلس . وقد
عبر عن ذلك فى تقريره سنة ١٩٤٨-١٩٤٩
بقوله : « إن مجلس الدولة له رسالة جليلة
سامية ، فهو يقف إلى جانب الإدارة
المصرية يعاونها فيما تحمل من أعباء وتبعات
ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث يقوم
مجلس الدولة ويصبح حقيقة واقعة .
بل لعله أن يكون حقيقة رائعة . روعته أن
الإدارة المصرية أعلنت بقيامه أنها تقف
إلى جانب الحق والقانون لا تظلم ولا تتعسف »
« وأن صدرها يتسع للشاكي يناقشها الحساب
فتتصفه أو تتصف منه . وروعه أن الأفراد
والجماعات يرون فيه غوثاً للملهوف ولذاذاً
للعاث والموتلاً للحريات » .

وحسبى أن أشير إلى بعض المبادئ
الجوهرية التي قررها والمواقف الحميدة
التي حرص عليها والتي تعد مفخرة فى سجل
مجلس الدولة .

فى قمة المبادئ السليمة التي أرساها حق
القضاء فى رقابة دستورية القوانين ، وذلك

كذلك وقف في حزم وصلابة ضد امتناع بعض الوزراء وقتئذ عن تنفيذ الأحكام التي تصدر من مجلس الدولة ، ووصم هذا الامتناع بأنه مخالفة قانونية خطيرة لأصل من الأصول التي تملها المبادئ الدستورية العليا ، وقضى بأن هذا يعد خطأ جسيماً يندرج تحت الجرائم التي يعاقب عليها جنائياً ، ويعد خطأ الوزير الذي يقدم على ذلك مستوجبا لمسئولته الذاتية في ماله الخاص عن التعويض المطالب به دون خزينة الدولة .

وتفويض أعداد مجلة مجاس الدولة في عهده بأحكامه وقراراته العادلة الحكيمة ، وتروى مواقف الحازمة الحريثة ضد تحدى بعض الحكومات التي كانت تضيق به ذرعا في أوائل عهده ، وتحاول أن تحمله على التخلي عن منصبه . ولكنه ظل كالطود الراسخ مؤمنا ببادئه السامية المحايدة بعيدا عن التحيز أو الغرض لايعبأ بالتحدى وتعطيل وجوه الإصلاح التي كان يقترحها للنهوض بالمجلس .

أن ذكره العطرة في مجلس الدولة تحدث عن مثل عال ضربه لما يجب أن يكون عليه القاضي من النزاهة والعدل ، فلا يخشى في الحق لومة لائم ولا يبطأ رأسه لصاحب النفوذ مهما علا قدره وأمن في عتوه وعدوانه . وقد قرأت للسيد ضياء شيت خطاب رئيس ديوان التدوين القانوني بالعراق أن إحدى الصحف البريطانية قالت في تعليق لها على أحكام المرحوم السهوري : « ليت في بريطانيا قضاة مثل هذا الرجل » .

ولم جانب نشاطه القانوني الفياض علما وعملا كان له نشاط في ميدان الإدارة والسياسة فقد عين وكيلا لوزارة العدل كما عين وكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها مرتين . وكان في كل هذه المراحل هو هو معدته الأصيل لا يتغير ، هدفه المصلحة العامة أولا وآخرها مضعيا في ذلك بمصلحه الخاصة وبراحته ، وتصرفاته في مختلف الشؤون والمشكلات لا يبغي من وراءها إلا وجه الحق والإنصاف ، لا يقعه في هذا السبيل أية اعتبارات مهما كان شأنها . وقد ترك في وزارة المعارف آثارا جلية . وكان من أول ما عني به وضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها إنصاف المعلم وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة التعليم وتوجيه الطلاب إلى ما يتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفني ، الزراعي والصناعي ، الذي لا جدال في أنه دعامة أساسية لتقوية البنيان الاقتصادي للدولة . كذلك عمل على دعم سلطة المناطق التعليمية واستقلالها ، كما عني كل العناية بالتوسع في إنشاء دور التعليم المصرية في السودان .

هذا وقد أوفد إلى مؤتمرات دولية عديدة . ففضلا عن المؤتمرات القانونية التي شهدا ، كان رئيس الوفد المصري إلى لندن في مؤتمر فلسطين سنة ١٩٤٦ ورئيس الوفد المصري في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ وعضوا في الوفد المصري الذي تقدم بشكوى مصر ضد إنجلترا أمام مجلس الأمن سنة ١٩٤٧ .

على السواء مصادرهما واحدة . مصادر الفقه الإسلامي كما تعلمون الكتاب والسنة ، أى النص ، ثم القياس والإجماع ، ومصادر اللغة العربية هى أيضا النص . وهو هنا ينحصر فى هذه الألفاظ والعبارات التوقيفية التى ورثناها عن أجدادنا الأولين والتى يأتى بعض منا إلا أن يقف عندها ، وهم فى ذلك يعتبرون أهل الظاهر فى اللغة ويقابلون أهل الظاهر فى الفقه . ثم القياس ، وبه يقول فيما أعلم جمهور الزملاء فى المجمع ، فيستنبطون صيغة من أخرى سماعا وقياسا ، ويشقون وينحتون . ثم الإجماع وهذا هو المصدر الذى أحب أن أسترعى إليه أنظاركم ، فإن الإجماع فى اللغة كالإجماع فى الفقه مصدر جوهري ، وهو الذى يكفل التطور فى اللغة كما كفل التطور فى الفقه . وقد لا يريد بعض منا أن يعترف بهذا المصدر أو يقره . ولكنه مصدر يفرض نفسه ، ونحتمه سنن الوجود ، ويقتضيه القانون الطبيعى . واللغة التى لايعترف بالإجماع مصدرا لها لغة لاتلبث أن تنطوى على نفسها ، ثم تذبل وتموت ، والذين ينكرون الإجماع مصدرا للغة ، ينكرون على هذه اللغة أن تعيش .

والإجماع معناه حق المساواة ما بين السلف والخلف . وهو حق هؤلاء جميعا فى أن يصنعوا لغتهم على قدر حاجتهم ، فيكون لكل جيل نصيب فى ذلك . وكما أن الذى يراه المسلمون فى الفقه حسنا فهو عند الله حسن ، كذلك ما يراه الناطقون بالعربية

ويشج هذه المواهب النادرة والمناقب التى ذكرتها ماكان للفقيد العزيز من شأوعظيم فى مجال اللغة وآدابها . فقد أوتى حظا كبيرا فى تحصيلها ، وبدا ذلك جليا رائعا فى مؤلفاته وعديد كتاباته . وهو دون أدنى ريب فى طليعة الأفذاذ فى أدب العبارة فى القانون . يمتاز أسلوبه بالرصانة والأحكام والسلاسة ، وكان مجددا فى تعبيراته التى يستعملها موقفا فى اصطلاحاته التى يبتكرها . كان مثلا فريدا فى بلاغة الأداء وسهولة التعبير . وستظل مؤلفاته وكتاباته نموذجا يحتذى فى حسن البيان والإفصاح عن المراد فى عالم القانون .

وقد حظى مجمعا بانضمامه إليه فى سنة ١٩٤٦ فأسهم بأرائه واقتراحاته الناضجة . وقد عرض فكرته حول تطور لغتنا العربية ومسايرتها لتطور المجتمع وحاجياته فى مؤتمرات المجمع .

ومما ذكره فى ذلك المقام قوله فى مؤتمر عام ١٩٤٨ ماأتى :

« اللغة العربية ليست مقصورة على مقاله أسلافنا وأجدادنا فى العصور السابقة ، بل هى تتسع لتشمل ما نقوله نحن فى عصرنا الحاضر . ولا يملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما يملك الأحياء » .

ثم يستطرد ويقول :

« هناك وجه شبه حقيقى فيما بين اللغة العربية والفقه الإسلامى ، هو فى أن الفقه واللغة

فى جيل من الأجيال حسنا فهو فى اللغة
حسن .

لا نستطيع أن ننكر على أى جيل حقه
فى أن يساهم فى صنع لغته ، وفى أن يبتدع
من الألفاظ ما يفي بحاجاته ، وما يمشى مع
حضارته ، ومتى فعل ذلك فإن الألفاظ التى
ابتدعها تكسب مكانا مشروعا فى اللغة
لا يجوز لأحد إنكاره .

هذا هو النابعة العظيم الذى نفتقده اليوم .
كان منارا للعلم وداعية للحق ، ومعلما أميناً
ارتوى من فيض علمه قولاً وكتابة آلاف
الطالبين والباحثين . كان نورا تجلى فى سماء
البلاد العربية كافة ، أضواء لها سبل الحياة
عن طريق القانون ، وعاملاً على التآليف
بن قلوب أبنائها وتوحيد تفكيرهم والتقريب
فى الأخذ والعطاء بينهم .

وقد رأت الدولة حلوله وسمو منزلته
فمنحته أخيراً سنة ١٩٧٠ جائزة الدولة
التقديرية تكريماً له واعترافاً بفضله .
والسهنورى من ذلك الطراز الذى ترتفع به
الوظائف وتزدان به الحوائز . وهو من حيث
تقدير العارفين فى سائر الوطن العربى فى
أعلى عليين .

ولئن غاب شخصه الكريم عنا فستظل
ذكراه خالدة أمد السنن ، وسيظل المرشد
الأمين والحكيم الصائب الرأى ، يستنجد
بترائه وينهل منه الطالبون والمدافعون والقضاة
والمشرعون ، ويحتكم إلى سداد رأيه المتنازعون
والمتقاضون . فهو السند الأمين لصاحب
الحق ، ومطلع النور فى الظلمات الخسومة ،
وصائب الرأى ما ألقى به وما قاله السهنورى .
رحمه الله رحمة واسعة وأنزله فسيح جناته
فى عداد الأبرار الأخيار المخلصين .

• • قصيدة الأستاذ محمد عزيز أباطة

الحليم الذى يتوج بالفرا
ن آلاءه على عبْدانه^(١)
كل حىّ فان . وما الحىّ إلا الله
سه فى حوله وفى سلطانه

ظلم الموت ، إن فى أحضانه
مرقاً للغريق فى أشجانه
ومجازاً إلى جوار طهور
ساكب حوله سنا رحمانه

(١) عبدان وعبيد جمع عبد

والردى راصد . وكل ابن أنقى
بين فكَّيه مُنْظَرٌ لأوانه
يتلقى الصباح في أردانه
ويراه المساء في أكفانه
ما الحياة التي نعيش غرور
نحن نلتذه على بهتانه
إن حب البقاء غشَّى^(١) على المو
ت وحض الورى على نسيانه
غَيَّبَ الموتُ شافعى^(١) زمانه
وأصاب القانون في بُرهانه
يعظم الخطب في العظيم إذا لم
يَرَقَ راقٍ إلى عوالي مكانه
نَكَّسَ الفقه رأسه يوم أودى
وانطوى سامداً^(٢) على أحزانه
أى صابٍ منه تدافع سهلاً
مُعْجِزاً من جَنَانِه لبَنَانِه
صاحبَ الفقه منذ هلَّ صَبَا الفقه
سه إلى أن أشع^(٣) في ريعانه
راضٍ للباحثين جامعَه الصَّغْب
بَ وأرخی لهم عَصِيَّ عِثَانِه
وحبَّاهم من المراجع بالغيـ
ثُ تُضِيءُ الشُّرُوحُ في هَطْلَانِه
مُغْنِيَاتٍ عن غيرِهِنَّ جَلَادُ
نَ بعيدُ الآفاقِ من إمْكَانِه
صادراتٍ عن رأيه . لايسوقُ الـ
حُكْمَ إلا إن صَحَّ في ميزَانِه
جهد فردٍ تغياً المَجَامِيعُ ذاتُ الـ
عَزْمَ عن صوفه وعن إمْتِقَانِه
صَفْوَةُ القول أنه عَبَثُرى الـ
سَجِيلُ غيرُ المَسْبُوقِ في مَبْدَانِه
ذو حَيَاةٍ في فَضْلِه حين بعضُ الـ
خَلَقِ ذُو خَيْلَةٍ^(٤) على نُقْصَانِه
جَمْعُ الشرقِ وحده فتَلَاقِ
في دِيَابِيجِ علمه وبيانه
من أَقاصى خَلِيجِه لِدِمَشْقِ
من طَرَابُلسِه إلى بَغْدَانِه^(٥)

(٢) السامد : المبهوت المتحير

(٤) الخيلة : الكبر والعجب

(٥) إشارة إلى أن الفقيه هو الذى سن قوانين الكويت وليبيا وسورية والعراق وغيرها .

(١) الإشارة للإمام الشافعى رضى الله عنه

(٣) أشعت الشمس : تلاًل نورها

وطوى العرب عند ضاف من التَّقْدِ

نين أعلى وَشَدُّ من أركانِه

فَجَنُّوا من نُضِيرِ بستانِه الفَيْبِ

نان أَبْهَى ما رَفَّ من ألوانِه

وانتَشَوا من رَحِيْقِ راووقه^(١) العَدِّ

بِ وضُمِّوا الصفوفَ حولَ دِنانِه

لَمْ من شَعلَهم طراز من التَّشْبِ

سريع باثُوا في أَمْنِه وضَمائِه

ثم عادُوا إلى التَّخاذُلِ مُفْتَنِّبِ

سِينَ في خَلْقِه وفي إِعْلاَنِه

أَه لو يُخْلِصُونَ لانبَعَثَ الشَّرُّ

تُ ورُدَّتْ له نِباهَةُ شانِه

اختلاف الآراء قد يَلِدُ الخَيْبِ

رَ ويبْنى إن عَفَّ عن شِئانِه

إن هذِي الحَيَاةَ وهى صِرَاعُ

لم تُوطَأَ لِقابِعِ في هَوانِه

رُبَّ ومِضٍ مُبَشِّرٍ لاح في الأَفِّ

قِي سَنَبِلُو غداً مَدَى لَمعانِه

نَهْنَهُوا الحُزْنَ إنه في رُفائِه

حُطَّ عنِه ما مَضَّه في حَياتِه

حُطَّ عنِه الأَذَى يُشْنُ فَيَشْقَى الـ

حُرٌّ في وَقْدِه وفي لَفْحاتِه

صادنُ العَدْلِ أَعرضَ العَدْلُ عنِه

ساخرًا من يَقينِه وَحِصانِه

رأيه الحُرُّ عُدَّ من سَيِّئاتِه

والإِبائِ الوقُورُ من سَقَطاتِه

وعَظِيمُ الرجالِ يُغَرِّى به الحَقُّ

سَدُّ فيُضْفى السَّنا على حَسَناتِه

حَسَدُ الحاسِدينَ يُغْضى عن السَّفِّ

ح وَيَرى للطُودِ في شُرفائِه

إنَّ رَأى الإنسانِ ضَرْبُ من العِرِّ

ضِر ، هما الأَكْرمانِ من حُرْماتِه

فإذا ساقَه اسْتَطارَتْ قُوى الشِّ

رُ فَالَوْتُ بِرِزْقِه أو بِذاتِه

ولمّا البَغى لَمْ تُزلْهُ فامْهَلْ

سُ نَفْلُ الأَيامِ حَدَّ شَباتِه

ليس حُكْمًا ؛ حُكْمُ يَشُقُّ من الإِزِّ

هاب مَهْواتِه إلى شَهْواتِه

(١) الراووق : المصفاة .

ليس شعباً ؛ شعبٌ يقرُّ على الضَّ
 كادَ لولا حياؤه وجلالُ الـ
 يم. ويشفى غليله في نيكاته
 إليه عَبْدُ الرِّزَاقِ أَضْفَى عَلَيْكَ اللـ
 سِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَمِنْ رَحْمَاتِهِ
 وَقَوْلًاكَ مِنْ رِضَاهُ بِفَيْضِ
 يَتَوَالَى عَلَيْكَ فِي جَنَاتِهِ
 يُكْرِمُ اللَّهُ نَافِعَ النَّاسِ قَبْلَ الـ
 سُنْطَوَى فِي صِيَامِهِ وَصَلَاتِهِ
 جَزِعَ الْمَجْمَعُ الْوَقُورُ وَهَلْ يَجْـ
 سَزَعُ إِلَّا لِلصُّمِّ مِنْ نَكْبَاتِهِ
 لم يمت عالم جماهيرُ أهْلِ الـ
 خَفِيقَهُ مَهْمَا يَشْعَبُوا مِنْ رُؤَاثِهِ
 لا . ولا الْمَشْرِعُ الْخِصْمُ الَّذِي فـ
 سَجَرَتْ لِلشَّرْقِ فَاسْتَقَى مِنْ فُرَاتِهِ
 أَنْتَ حَيٌّ وَإِنْ طَوْنَكَ الْمَنَابِيا
 وَمِنْ النَّاسِ مَيِّتٌ فِي حَيَاتِهِ

● ● كلمة الأسرة للأستاذ حنفي محمود الفزاري

أساتلتي الأجلاء :
 الخطباء الأجلاء ، تلك الكلمات الفياضة بكل
 معاني الإجلال والإكبار ، الزاخرة بكل
 عواطف الوفاء والإخلاص—أن تجعلوا منه
 حفلاً يمدنا بأسباب الزهو به ؛ فقد أصبحنا
 أسرة أخرجت إلى الأمة عظيماً من عظمائها .
 على أن الراحل العظيم لم يكن فرداً في
 أسرة وإنما كان واحداً في أمة ، عاش حياته
 يعمل لها وينشر فقهه ، ويطوف ببلاد الأمة
 العربية بضع دساتيرها وقوانينها ليقيم أقوى
 عناصر الوحدة بينها .
 يوسفى أن تغيب عن هذا الحفل كريمة
 الراحل العظيم ؛ إذ هي في خارج البلاد تواصل
 دراساتها العليا في صحبة السيدة والدتها .
 ولقد أريد لهذا الحفل أن يكون حفل
 تأبين للفقيد الكبير ، ولكنكم استطعتم بشرف
 حضوركم وأنتم الصفوة المختارة من رجال
 العلم والقانون وما دوى في أرجائه من كلمات

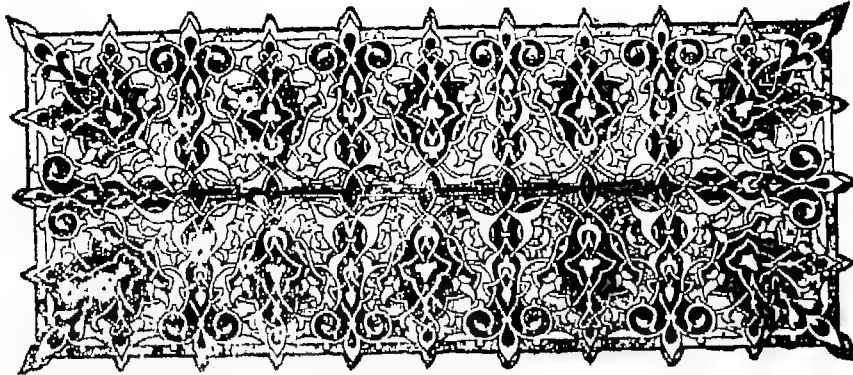
ومعدرة إذا رأيتم أن هذه الكلمة قد
خالطها لسان واحد من تلاميذه فوق لسان
واحد من أسرته؛ إذ أن أجداد الرجل العظيم
هي حديث أمته لا حديث أسرته .

ويكفيينا - نحن أسرته - أن يكون لنا
شرف الانتساب إليه .

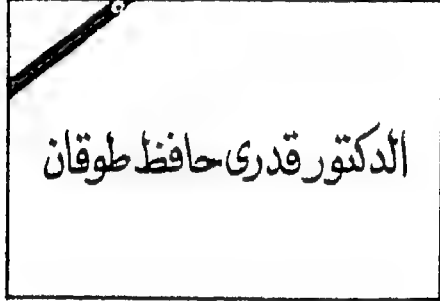
أطال الله بقاءكم، وجزاكم عنا خير
الجزاء .

ولقد سعى سعيه يبتغي الحياة في مواجهة
الموت، فدانت له الحياة، وبقي بقاء فقهه
وعلمه وإن ذهب عنها كما يذهب أصحاب
الرسالات؛ فالراحل العظيم من هذا ينتمى
إلى أسرته القانونية التي ظل عقله ينبض
بحبها. مكرسا حياته لها. وليس أمامي إلا أن
أعترف بأنه فقيدكم قبل أن يكون فقيدنا .

لقد كان يغالب عدوا واحدا هو الزمن
فقد كان يسابقه خشية أن يحين الأجل قبل
أن يفرغ من تدوين علمه وفقهه .



الام المجمع في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء
والتشريع في الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٣٠ من ذي الحجة
سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، حفل تأبين للدكتور
قدرى حافظ طوقان عضو المجمع من الاردن . وفيما يلي ما القى في الحفل:



كلمة الأستاذ زكى المهندس في تأبين المرحوم

سادق

لانه ليعز علينا أن نجتمع الليلة لتأبين زميل
كريم وعالم جليل هو المغفور له الأستاذ
الدكتور قدرى حافظ طوقان .

لقد تركت وفاته في نفوسنا الحزن ،
وأعمق الأسى .

لقد كان رحمه الله - يتابع أعمال المجمع عن
كثب ، وكان عاملاً نشيطاً بمدنا بكثير من
بحوثه ومقالاته ، وقد نشرنا له في مجوعة
البحوث ثلاثة لها بحوث قيستها وأثرها .

على أن الفجعية في طوقان ، ليست فجعية
المجمع وحده ، أنها فجعية الأمة العربية بأمورها
لأنها فجعية العلم والعلماء في كل قطر عربي .

لقد استطاع - طيب الله ثراه - بمؤلفاته
ومقالاته أن يجلو أمامنا أمجاد العرب العلمية ،
وأن يؤكد لنا ما سبق أن أكدته بعض المنصفين
من علماء الغرب من أن الطريقة الحديثة في
البحث العلمي مدينة بنشأتها وتنظيمها للجهود
علماء العرب .

ففي الوقت الذي كانت فيه أمريكا لا تزال
في عالم الخفاء وكانت أوروبا لا تزال تعيش
في جهالة جهلاء ، وظلمة عمياء ، كانت
للعرب طاقات علمية مبدعة خلاقة ، تبحث
وتخال وتلاحظ وتجرب وتصل إلى نتائج
علمية ، كان لها أثرها وخيارها في نهضة
أوروبا .

على أن الفقيد - رحمه الله - كان من رجال
العالم القلائل الذين اجتمعت لهم دقة العالم
وخيال الأديب ، وعمدنا بكثير من رجال
العالم أنهم لا يحنلون بالأدب ، ولا يقيمون
له وزناً في حياتهم ، ولكن فقيدنا - رحمه
الله - كان يعنى بالأدب عنيته بالعلم ، كان
عاماً أديباً ، أو أديباً عالماً . وإذا كان العلم
يمثل العقل الإنساني في أعظم صورته ، فإن
الأدب يمثل العاطفة الإنسانية في أنبل
صورها ومظاهرها .

لهذا كان الفقيد يعنى بالأدب عنيته بالعلم .
إن النزعة الأدبية لم تفارقه حتى وهو يعالج
مسائل العلم . فإذا كان العلم من شأنه أن
يدربنا على التفكير المنطقي وعلى التماس الحق ،

القدرة على تذوق الشعر والأدب حتى لقد حاولت أن أقرأ شيئاً لشكسبير فلم أظفر منه بطائل ، ولئن أتيحت لي أن أبدأ حياتي مرة أخرى لأفرضن على نفسي قراءة الأدب والشعر كل يوم .

رحم الله الفقيد وجزاه عما قدم للأمة العربية بخير ما يجزى به عباده المخلصين العاملين . أما الآن أيها السادة - فسيتمولى تأبين الفقيد نيابة عن المجتمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر ، فليتفضل مشكوراً .

وعدم الاسترسال مع العواطف ، ويكشف لنا عن أسرار الكون وأعاجيبه ، فإن الأدب يعالج النفس الانسانية في جميع مظاهرها ويضيء في نفوسنا تلك الجوانب المظلمة . وهو كذلك يغني على أذواقنا رقيقاً وتهدياً وجمالاً .

ويحضرني في هذه المناسبة كلمة قالها (داروين) وهو العالم المشهور صاحب نظرية أصل الأنواع ، قال في أسى وحسره ما معناه : إن كثرة مزاويتي للعلم قد أفقدتني

• • كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

النادرة ، وكتب ونشر وأذاع مئات المقالات والأحاديث والمحاضرات في كثير من الحواضر العربية والأجنبية .

لقد كنا في مطلع نهضتنا العلمية ننقل المعرفة عن غيرنا نقلاً ، ونظن أنها علوم مستوردة كلها من الخارج ، حتى جاءت المدرسة العظيمة والشجرة الباسقة يتزعمها المرحومون مصطفى نظيف وعلي مشرفة وعبد الحميد حمدي والأمير مصطفى الشهابي وقدرى طوقان وأصواتهم تجلجل في المؤتمرات العلمية مصححة تاريخنا العلمي ومطعمة شجرة المعرفة لدى الأجيال الصاعدة بثقافة علمية عربية أصيلة ، وغدت أسماء ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي والبيروني والصوفي وابن يونس والحازن

لعمري لئن خطفتك المنايا ووارتك تحت ظلام الحفر

فازلت في كل نفس تعيش

عبراً زكا وضياء غمر

أيها السادة : []

يعز على نفسي جدا ، أن أقف في مكانى هذا ، مؤبناً صديق العمر ، زميلنا وفقيدنا العظيم الدكتور قدرى طوقان الذى شارك في جميع المؤتمرات العلمية العربية التى عقدت في العواصم العربية ، وكان خير سفير علمى للفكر العربى في الدول الأجنبية ، وقف حياته على الدراسة والبحث الخصب ، وأنشأ مكتبة تضم الألوف من الكتب والمخطوطات

وأن جابراً أول من أسس الكيمياء على دعائم التجربة الصحيحة الدقيقة ، وأن الصوفي كان نقطة تحول في علم الفلك ، وأن الرازي وابن سينا والزهرأوى كانوا بمثابة المصابيح التي أضاعت منها أوروبا قناديلها في القرون الوسطى في علوم الطب ، وأن ابن النفيس قد سبق هارفي في كشف الدورة الدموية الصغرى ، وأن الجاحظ لم يكن إماماً من أئمة الأدب فحسب بل إنه لإمام في العلم التجريبي كذلك بما أجرى من تجارب علمية على الحيوان . وأن ابن الهيثم سبق باكون في القول بالطريقة العلمية ، وأن ابن يونس مكتشف البندول لا جليليو كما يقال عادة . وأن ماتعرفه أوروبا باسم قاعدة البيروني أو معادلة البيروني لإيجاد نصف قطر الأرض ، إنما هو فضل يجب أن يعرفه أبنائنا ومن الخير أن نذكر أن فقيدنا العظيم كان الفارس المحلى في هذا الميدان ، ميدان تحقيق التراث العلمى العربى والتعريف به فيقول : إن الروح العلمية عند العلماء العرب والمسلمين ، إنما تتجلى في إخلاصهم للحقيقة ، وتمجيدهم للعقل ، والتقيد بأحكامه ، مما دفعهم في كثير من الأحيان إلى مخالفة فلاسفة اليونان .

كما ظهرت روحهم العلمية ، في عدم إيمان كثير منهم بالتنجيم والدعوة إلى إبطال نظريات تحويل المعادن إلى ذهب وانهم يدفعون إلى صميم الموضوع في دقة وإيجاز وضبط وإحكام ، تسيطر على هذا كله روح علمية صحيحة وكذلك امتاز أسلوب

وجابر وغيرهم كثير . غدت مألوفة لدينا وغداً فضيلهم معترفاً به بيننا ، وعرفنا أننا لسنا دخلاء على المعرفة العلمية وإنما نحن أهل أصالة فيها ، وقدرنا فضل هؤلاء على النهضة العلمية العالمية ، هذا الفضل الذى اعترف به المتصفون من الأجانب ، فقالوا إن الحضارة المصرية القديمة هى ينبوع الحضارات جميعاً وإن الحضارة العربية الإسلامية هى البعج الأصيل للعلوم الطبيعية من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وطب ونبات وحيوان ومعادن ، هى النبع الذى تزودت منه النهضة العلمية الأوروبية وإن العلماء العرب فى العصر الإسلامى هم الذين قدموا لأوروبا زاد نهضتها العلمية . ومن الحق أن نقول إن فقيدنا العظيم كان أبسر هؤلاء حركة وانتقالاً بين العواصم الأوروبية والعربية ، فكان خير سفير للفكر العلمى العربى فى كل رجا من أرجاء العالم [جلته إياه قدامه] . ويفضل هؤلاء الأعلام امتدت جذور شجرة ثقافتنا العلمية إلى منابعها الأصيلة ، وأصولها العربية العميقة ، فاستقام عودها وامتدت فروعها ، وكثفت أوراقها وانخضوضرت براعم وأغصانها ، وعرفنا فضل الخوارزمى على الحساب والجبر وأن ابن مسكوية وابن خلدون وإخوان الصفا ، قد سبقوا داروين ولا مارك في القول بالتطور وأثر البيئة على الأحياء ، وأن الخازن قد سبق تورشيلى ونيوتن ، فى القول بالخاصية ، وأن ابن الهيثم قد سبق ديكارت وغيره فى الضوء ونظرياته .

التجارب المتكررة بعد الملاحظة وإعمال العقل ، فالاشتغال بالأمور المادية والصناعات والعلوم هي الخطوة الطبيعية الأولى في سبيل الكمال الروحي ، ودعوة ابن خلدون أن يفكر العالم فيما تؤدي إليه التجربة الحسية ، وكيف حارب التنجيم بالأدلة العقلية ، وقوله إن الاشتغال بالكيمياء قصد الحصول على الذهب مضیعة لوقت ، قد انتحلها واشتغل بها بعض العاجزين عن معاشهم بالطرق الطبيعية وابتغاء المعاش من غير وجوه الطبيعية .

وإن فقيدنا العظيم ليدعو الأمة العربية إلى الأخذ بالروح العلمية التي تجلت في التراث العربي عند العلماء العرب والمسلمين تلك الروح التي تمجد العقل وتدعو إلى التجربة والتجديد واحترام الأمانة العلمية والإخلاص للحق والحقيقة ، وتقديس حرية الفكر والاعتناق من أغلال التقليد وتدفع إلى التطور ، وبذلك يدفع المجتمع العربي إلى التقدم المستمر واثمنو المتواصل ، وتحول دون تعطيل العقل وتجميده ، فينطلق متحركا خلافاً منتجاً في سائر ميادين الحياة .

ويذهب فقيدنا العظيم في بحثه عن فاعلية الفكر العربي في نقد الفكر اليوناني ، إلى أن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج عن منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت ، فقد قام أصحابها العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، ولم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل

الفارابي المعلم الثاني ، وابن سينا المعلم الثالث بالعمق والدقة والاعتماد على المنطق لأنه الآلة العاصمة للذهن من الخطأ ، ومع اعترافهما بفضل المعلم الأول أرسطو ، إلا أنهما يخالفانه في أشياء ويقولان إنه لا ينبغي أن يختار على الحق . ويورد اعتراف باكون بابن رشد كفيلاسوف يتعمق ، صحيح كثيرا من أغلاط الفكر وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى بها عنها لسواها . وأدرك كثيرا مما لم يكن قبله معلوما لأحد . وأزال الغموض من كثير من الكتب التي يتناولها بحثه وأثبت أن الغرب اقتبس فلسفة ابن رشد ، وكان من حسناتها أن حلت عقول الفكر الأوروبي ، وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها ، وكيف أن الغزالي قد جعل أول شرائط البحث عن الحقيقة أن يكون الباحث ذا عقل مستقل تماما ، فالحقيقة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق بحث حر مختار . وقد ندد في جميع أعماله وبحوثه بالتفكير الموسوم بالتبعية والتقليد .

ويورد أقوالا مشابهة كثيرة لابن الهيثم والكندي والبيروني ، يتحدث عن شجاعة البيروني الفكرية وحبسه للاطلاع العلمي ، وبعده عن التوهم وإخلاصه للحقيقة وتسامحه . ويبين كيف أنه كان في الواقع عبقرية مبدعا ، ذا بصيرة شاملة نافذة . وقول ابن طفيل بأهمية التجارب وأن أسرار العالم العربي المادى لا تفهم ولا تعرف إلا عن طريق

إن في نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا فهو أبعد ما يكون عن الحمود .

ففى فلسفتهم عناصر يونانية وهندية وفارسية ، ثم إن فيها ثمرات عبقرية أهلها ، خالفوا أرسطو وأفلاطون وجالينوس - وبطليموس . ويؤيد مذهب إليه سارتون بأنه لو لم ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ، لتأخر سير المدنية عدة قرون ، وأنه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والصوفي حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبلروكوبرنيق . وأنه أولا أعمال العلماء العرب لا اضطر علماء النهضة أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية . وأن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم وأنهم قد نقدوا واتقنوا وعملوا على تحسين وتصحيح وإثراء التراث اليوناني حتى سلموه إلى العصور الحديثة ، وما كان التحسين ، والتصحيح والإثراء ليم لولا النقد والتمحيص . فقد وضعوا الكتب والمقالات في الشكوك على بطليموس وتصحيح أغلاط أرسطو وجالينوس وأفلاطون .

ويورد قول ابن الهيثم في الشكوك على بطليموس : « الحق مطلوب لذاته ، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ووجود الحق صعب والطريق إليه وعرة » ، ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة ، يعنى بطليموس القلودي ، وجدنا فيها علوما كثيرة ، ولما درسناها وميزناها ، وجدنا فيها

سواضع مشبهة وألفاظا بشعة ومعاني متناقضة إلا أنها يسيره في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة ، ورأينا في الإمساك عنها هضمًا للحق وتعديا عليه ويعرض لآراء الكندي الحرثية في نشأة الحياة على الأرض وفي زرقة السماء الناشئة من انعكاس الضوء على ذرات الغبار وبخار الماء العالق بالجو ، وأثر القمر في حركة المد والجزر ، ولآراء ابن حزم في أثر النجوم والكواكب ، وقوله : ليس لها تأثير في أعمالنا ، ولا لها عقل تدبرنا به إلا إذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا كتدبير الماء والهواء ونحو أثرها في المد والجزر ، وتأثير الشمس في عكس الحر وتضعيد الرطوبات . والنجوم لا تدلل على الحوادث المقبلة - وبين كيف أن ابن الهيثم قد قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جديدا ، فقد أبطل علم المناظر وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث وبالحدود والأصول التي نريدها الآن ، وأن أثر ابن الهيثم في هذا لا يقل خطورة عن أثر نيوتن في الميكانيكا ويشرح رأى ابن طفيل ومخالفته للكثيرين من معاصريه ومن الذين سبقوه من فلاسفة اليونان ، إذ قال بوحدة القوانين والأنظمة الكونية وشمولها ، مما يسيطر على النبات والماء والهواء والجماد يسيطر على الحيوان والإنسان وسائر الموجودات ، وأن العالم بجملته كشيء واحد يتصل بعضه ببعض ويتحرك في دائرة من الأنظمة والتوازن لا يخرج عنها ولا يشذ عنها .

رحمات الله عليه لايفتا يدعو إلى التعاون العلمى بين العلماء والباحثين فى العالم العربى باعتباره عنصرا أساسيا فى نهضة العلم وأنه لايمكن للبلاد أن تتقدم ولا أن يرقى مستواها المادى والاجتماعى إلا على أسس علمية سليمة وأن هذه المؤتمرات دلت على وعى علمى كما أنها تنبيه للشعوب العربية بأن العلم هو القوة الفعالة التى تنقل العرب إلى آفاق جديدة؛ تحررهم من الماضى ومقاييسه ، وأنه طريق الرخاء والصحة وهو القوة بجميع معانيها .

أما روحه المرحه ، فقد كانت طبيعة فيه لا اصطناع فيها ، ولذا كان نجم كل مؤتمر وكل ندوة وكل اجتماع ، إنه مركز الاشعاع والإشراق الذى يتحلق حوله المجتمعون ، يستمتعون بحلو حديثه وطريف تعليقاته وعمق فكره وآرائه ، إنه الرفيق الذى لا تمل صحبته أبداً ولا تشيع من عذب حديثه أبداً . وهو فى العيد الألفى لابن سينا كأنما تسمع متخصصا فى أعمال ابن سينا باحثا منقبا فى ابن سينا وأعماله العلمية ، وفى العيد الألفى للبىرونى كأنما هو الدارس المتخصص لأعمال البىرونى ، وحين يعرض لأعمال ابن الهيثم أو الكندى أو الرازى أو الصوفى أو الفارابى فكأنما صرف عمره كله فى دراسة مئات الدراسات والكتب التى تركها هؤلاء ، فهو يحيط بها إحاطة شاملة ويعرضها عرضا أميناً وافياً ، لا يكاد يترك منها شاردة ولا واردة ، إنما هى دراسة استقصائية يعرضها فى عمق وإيجاز .

ويتابع عالمنا عرض هذه الصفحات المشرقة من التراث العلمى العربى ، موضحا أن العرب لم يكونوا مجرد نقلة أو مقلدين وأنهم لم يصيبهم شلل الفكر ، بل لجأوا إلى العقل فجعلوه المرجع والأساس ولجأوا كذلك للامتحان والتجربة والدرس والبحث ، فنفذوا نظريات وآراء فلاسفة اليونان وعلماء الإسكندرية وخالفوهم فى القضايا والأحكام ، وعدلوا بعضها وصححوها بعضها الآخر ، ولم يعبأوا بالمصدر أو القائل ، بل ركزوا عنايتهم واهتمامهم بالنظرية أو الرأى والقول ، ولهذا أضافوا إلى المعرفة الإنسانية إضافات هامة ، يرى فيها المنصفون من الثقاة والباحثين الغربيين عملا هاما من عوامل التقدم العلمى والنهضة العلمية الحديثة ، حتى قال دى فر : إن الميراث الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام عليه ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة . وكذلك ظل عالمنا يردد هذه الآراء فى المؤتمرات والمحافل التى كان يرتادها ممثلا الأردن ، بل الدول العربية جمعاء على مدى ربع قرن من الزمان ، وما أشك فى أنه نجح إلى أبعد الحدود فى تبيان فضل العرب على الحضارة العلمية . ولا بد لى من الإشارة إلى دور فقيدنا العظيم فى إنشاء الاتحاد العلمى العربى ومحاضراته فى مؤتمراته المختلفة ، وكانت شعبة الأردن أو الاتحاد العلمى الأردنى ، أول شعبة تتكون فى هذا الاتحاد، وكيف شاركت فى اجتماع اللجنة التأسيسية فى بيت مري بلبنان ، وكان

أعد لهم رتلا من السيارات نقالتهم من القدس إلى نابلس ، حيث نهـموا بكرم ضيافته وأمضوا يوماً لا أظن واحدا منهم ينسى قدرى الكريم المضيف صاحب المكتبة الزاخرة بالمولفات النادرة ولا المصانع التى يديرها ولا كلية النجاح التى يشرف عليها ، ولا هداياه الرمزية التى لا يفتأ يغرر بها أصفياه وأصدقائه .

أما وفاؤه لأصدقائه فلا أكاد أعرف له ندا فى هذا الوفاء ، فهو حين يحل مصر ، لا بد أن يتصل بأصدقائه وأن يزورهم ، وأن يحل لهم التذكارات وفى الحق أن أصدقائه هنا ، كانوا يباينونه الود والوفاء ، فما يعلمون بوجوده بين ظهرانيهم حتى يهرعون إليه للتحية والسلام ، وما ذلك إلا أنه أهل لكل تقدير ووفاء .

تقد أذاع عالمنا عشرات الأحاديث العلمية فى الأقطار العربية والأوروبية ، وكتب العديد من المقالات وألقى الكثير من المحاضرات فى العلم والتوجيه العلمى .

ونال عالمنا أرفع الأوسمه من الأردن والمغرب ، كما نال وسام الجمهورية من الطبقة الأولى فى عيد العلم العاشر فى سنة ١٩٦٤ بالقاهرة ، وذلك تقديراً لجليل خدماته للعلم والقومية العربية ، ومنحته جامعة البنجاب فى الباكستان درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٥ .

وهو فى اشتغاله بالحركة الوطنية ، تأمما هو الزعيم الذى نيط به قيادة الحركة الوطنية ليسم بلاده ذرا الخجد والاستقلال ، كما كان داعية إلى اتحاد الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج .

تقد ولد عالماً فى مدينة نابلس بالأردن سنة ١٩١٠ وتخرج فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ١٩٢٩ متخصصاً فى العلوم الرياضية ومثل بلاده فى أكثر من خمسة وعشرين مؤتمراً علمياً وثقافياً وإنسانياً فى البلاد العربية والغربية فى سويسرا والهند والباكستان وإيطاليا وأسبانيا ومصر والكويت ولبنان والمغرب والعراق ودمشق وهو عضو فى المجمع العلمى العربى بدمشق والمجمع العلمى لدول البحر المتوسط بإيطاليا ورئيس الجمعية الأردنية للعلوم وعضو اللجنة القومية وعضو مجلس الاتحاد العلمى العربى بالقاهرة وعضو مجلس أمناء الجامعة الأردنية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ١٩٦١ ، وانتخب نائباً للرئيس فى المؤتمرات العلمية العربية جميعاً ومؤتمر المفكرين فى لاهور ومؤتمر التعريب فى الرباط .

أما عن كرمه وبسطة يده ، فيكنى أن أذكر لإصراره على دعوة وفد مصر فى مؤتمر الخريجين بالقدس فى الخمسينيات الوسطى . وكان يزيد على مائة وخمسين عضواً فلما راجعته فى ذلك ترك لى الخيار أن أدعو له من أشاء فدعوت نحو الخمسين .

والباحثين في البلاد العربية « و » فعالية الفكر العربي في نقد الفكر اليوناني » .

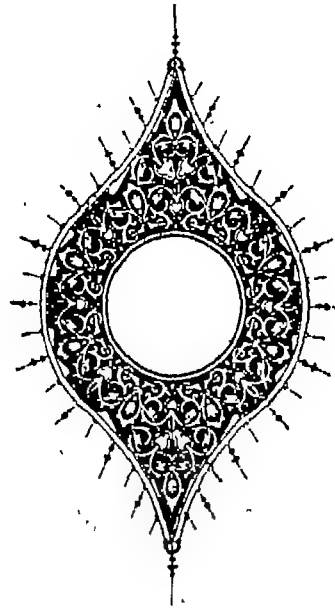
لقد عمل فقيدنا وزيرا للخارجية في الأردن عام ١٩٦٤ ، وكان من أهم منجزات الوزارة حينذاك تحسين العلاقات بين الأردن ومصر وبقية الدول العربية ، وكانت طبيعته المرحية تتجافى ومقتضيات هذه المناصب ، فكان يصرف من يتولون حراسته سواء في الأردن أو في خارجه ثم أن طبيعته الصريحة والحرية إلى أبعد الحدود لم تتح له البقاء طويلا في مثل هذه المناصب التي قد تحتاج إلى مؤهلات أخرى لم تكن متاحة لصاحبنا .

لقد عمل فقيدنا منذ تخرجه مدرسا بكلية النجاح الوطنية بنابلس ثم تولى إدارتها منذ خمس وعشرين سنة ، وإن هذه الكلية لمدينة لعالمنا بكل ما وصلت إليه من نجاح وازدهار وقد علمت أن إدارتها فكرت في إقامة تمثال له يقوم على صنعه مثال مصري . كم أرجو أن يتولى مجمعا الدعوة إلى أن تسهم مصر في نفقات صنع هذا التمثال وإقامته ، فقد كان فقيدنا مثالا في عربيته ومتفانيا في حب مصر والمصريين . ولاني لأقترح تخليدا لذكراه أن يتبنى المجمع الدعوة لإنشاء كرسي لتاريخ العلم عند العرب في إحدى الجامعات العربية في أي من البلاد العربية وليكن جامعة الأردن أو الجامعة العربية في بيروت ،

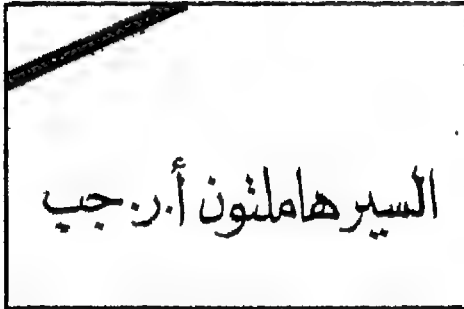
ولا يتسع المقام لعرض أعماله العلمية ، ومعظمها يدور حول تراث العرب العلمي ، وله كتاب بهذا العنوان طبع ثلاث مرات ، عالج فيه أعمال العلماء العرب في العصر الإسلامي ، أشاد فيه بأفضالهم على العالم والحضارة العلمية وقال بحق لأنهم كانوا واسطة العقد بين العصرين الإغريقي والإسكندري من ناحية وبين عصر النهضة الأوروبية والعصر الحديث واستشهد بأقوال كثير من المستشرقين من أمثال سارتون ونيلاينو وسميث وبرنال وغيرهم . وبين بما لا يدع مجالا للشك فضل الحضارة العربية على النهضة العلمية الأوروبية . ثم الأسابب العلمي عند العرب ، والنزعة العلمية في التراث العربي والعلوم عند العرب وقد طبع عدة مرات ، ومقام العقل عند العرب . وأثر العرب في تقدم علم الفلك ونشاط العرب العلمي . ذلك إلى جانب مؤلفات ومحاضرات أخرى مثل نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، والكون العجيب ، وبين العلم والأدب ، وجمال الدين الأفغاني « والعيون في العالم » « وبعد النكبة » ، و « وعى المستقبل » « والخالدون العرب » و « بين البقاء والفناء » « وابن حمزة والتمهيد إلى اللوغاريتمات ، كما أتى أمامنا في المجمع ثلاثة نحو تيسة هي « الروح العلمية عند علماء العرب والمسلمين » ، و « التعاون بين العلماء

وكذلك عاش فقيدنا كتلة من النشاط
والحركة والبحث والدرس والكتابة والنشر
والسفر ، حتى وافاه القدر المحتوم وهو
في طريقه إلينا ظهر يوم ٢٦ من فبراير ١٩٧١ ،
اختطفه الموت فجأة في بيروت وإن مقعده
في الطائرة التي تغادر بيروت إلى القاهرة

لينتظره في عصر نفس اليوم ، رحمه الله رحمة
واسعة وأجزل له الثواب بقدر ما أعطى
للعلم والأمة العربية وتراثها العلمي من خدمات ،
وأحسن عزاء آلله وذويه ومحبيه وعارفه
فضله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما



في الساعة العادية عشرة من صباح الاثنين ١٣ من المحرم سنة ١٢٩٢هـ
الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٢ اقام المجمع في داره حفل تأبين للأستاذ
السير هاميلتون الزاندر رسكين جيب عضو المجمع من إنجلترا ، وفيما
يلى كلمة التأبين التي أقيمت في الحفل :



كلمة الدكتور مهدي علام في تأبين

كانت تمثل مرحلة قد انقضت في حياتنا الثقافية ،
وأنها ليست مما يشغل بال الأدباء اليوم .

وهنا أدركت لأول مرة أنني لم أكن أمام
رجل يقصر بحثه على الأدب العربي ، بل
كنت أمام أستاذ يورخ للفكر العربي الإسلامي ،
فقد أخبرني أنه لا يعنيه موضوع هذه الكتب
ولا مدى قبول ما فيها من أفكار . إنه يبحث
عن كل ما خطته أقدام المؤلفين في مصر
ليورخ له بل إن دائرة بحثه قد اتسعت ،
كما نعرف من مؤلفاته التي أخرجها في نحو
نصف قرن بعد ذلك ، حتى شمل نشاطه
العلمي السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين ،
ولم يحتل الأدب إلا منزلة لا تتميز عن سائر
هذه الفروع من المعارف ، إن لم تكن أقلها .

وكادت الصلة تنقطع بيننا منذ ذلك اليوم ،
حتى رأيت اسمه في المرسوم الذي صدر في
السادس من أكتوبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع
اللغة العربية ، فإذا هو واحد من عشرين علما
من أعلام اللغة العربية وأدبها ، يمثلون مصر ،
وسائر العالم العربي ، وخمسة من كبار
المستشرقين يمثلون : إنجلترا ، وألمانيا ، وفرنسا ،
وليطاليا ، وهولندا .

في خريف سنة ١٩٢٥ ، في مدخل
مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، عرفني
الأستاذ سير توماس آرنولد بشاب سامق
حبي هادئ الحركات ، يكاد يبدو مشغولا
عن محدثه وقال لي : هذا مستر جيب ،
مساعدى في تدريس اللغة العربية بمدرسة
اللغات الشرقية ولم يكن عملى يتصل بعمله
مدة دراستى هناك ، ولكننا كنا نلتقى في
الفينة بعد الفينة لتبادل تحية قصيرة ، أو
لمحديث موجز عن أصل كلمة عربية .

وفي شتاء عام ١٩٢٨ ، وكنت قد عدت
إلى مصر ، اتصل بي هذا الأستاذ ، فتقابلنا
على فنجان شاي في القاهرة ، وسارع إلى
موضوع المقابلة ، سائلا عن مؤلفات بعض
رجال الفكر المعاصرين في مصر ، فذكرت
له ما أعرفه منها ، مع تعليقات وجيزة عن
رأى فيها اعتقادا منى أنه كان يرغب في
هذه التعليقات . وحدث أنني لم أذكر
مؤلفات عالم شهير في ذلك الوقت ، فسألنى
عنها ، فقلت له لأننى لم أذكرها لأننى أعتقد
أنها كتابات لا تهمك باعتبارك متخصصا في
الأدب العربي ، ولأنها في رأى كتابات

وكان فقيدنا أصغر هؤلاء العشرين سناً ،
بل كان عمره أقل من متوسط عمر الأعضاء
بنحو عشرين عاماً ، وأقل من سن بعض
الأعضاء بأربعين سنة ؛

هذا هو الفقيه الذي نجتمع اليوم لتأيينه
في المجمع الذي اتصلت حياته العلمية به منذ
أربعين سنة .

ولد هاميلتون الكزاندر وسكين جب في
الاسكندرية ، في الثاني من يناير سنة ١٨٩٥
من سلالة اسكتلندية أباً وأماً ، وكان والده
مديراً للمزرعة تابعة لجمعية استصلاح الأراضي
الزراعية .

وفي سن الخامسة أرسل هاميلتون الصغير
إلى اسكتلنده ليتعلم هناك . وقضى في هذه
المرحلة اثني عشرة عاماً ، حتى سنة ١٩١٢ .
وفي خلال تلك المدة حضر إلى مسقط رأسه
مرتين لقضاء الصيف مع والدته التي كانت
ما تزال تقيم في مصر .

وقد شملت دراسته في هذه المرحلة اللغتين
العريقتين اليونانية واللاتينية ، واللغتين
الحديثتين الفرنسية والألمانية ، كما شملت
العلوم الطبيعية .

وفي سنة ١٩١٢ التحق الشاب الذي كان
في سنته الثامنة عشرة بجامعة أدنبرة . وهنا
ظهر له ميل يمكن أن نعزوه إلى ميلاده في
بلد عربي قضى فيه باكورة حياته ، فقد
التحق في السنة الجامعية الأولى بشعبة الدراسات
السامية ، لدراسة اللغة العربية والعبرية
والآرامية وكان أستاذه في اللغة العربية هو

الأستاذ ادوارد روبرتسون الذي سعدت
بزمالته بعد ذلك بربع قرن في جامعة
منشستر اثنتي عشر سنة ؛ وكثيراً ما حدثني
عن تلميذه النجيب هاميلتون جب . وكان
له أثر كبير في تحبيب دراسة اللغة العربية إليه
وانقطعت دراسة جب الجامعية بقيام
الحرب العالمية الأولى ، فقد التحق بالجيش
سنة ١٩١٤ وخدم في فرنسا من سنة ١٩١٧
حتى إعلان الهدنة سنة ١٩١٨

ثم عاد إلى الجامعة وحصل في سنة ١٩١٩
على درجة الليسانس (بنظام الحرب) وهي درجة
أنشأتها الجامعات البريطانية للطلاب الذين
قطعوا دراساتهم الجامعية للانحياز بالقوات
المسلحة باسم War Degree

والتحق بعد ذلك بمدرسة اللغات الشرقية
بلندن . وكانت وليدة الحرب ، ولكنها
ضمت إلى جامعة لندن كلية من كلياتها .
وحصل منها على درجة الماجستير في اللغة
العربية سنة ١٩٢٢ ، وعين مدرسا مساعدا
فيها ، وكان موضوع رسالته « الفتوحات
العربية في وسط آسيا » ؛

وهنا تحدد في ذهنه المنهج العلمي الذي أراد
أن ينتهجه في حياته ، وهو التأريخ للحياة
العربية الإسلامية ، في سياستها واجتماعها
واقتصادها ودينها . واعتقد أنني لا أعدو
الحقيقة إذا قلت إنه كان لأستاذه العظيم ،
سير توماس آرنولد ، أثر مباشر في هذا
الاتجاه فقد كان هذا العلامة أستاذا للتاريخ
الإسلامي في جامعة لندن ، وكان جب
مساعداً له .

وفي تلك السنة دعت جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، أستاذا ومستشارا للدراسات العليا - وبعد ذلك بعامين عين مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط .
وفي سنة ١٩٦٤ تقاعد مع بقائه مشرفا على ذلك المركز .

ولا يتسع المقام للحديث عن النشاط العلمي للفقيه ، فكتباته تملأ آلاف الصفحات ، ومحاضراته استمع إليها علماء البلاد العربية والإسلامية ، وبعض البلاد الأوروبية والأمريكية .

وقد كرمته دول وهيئات علمية كثيرة . فقد منحته دولته لقب سير سنة ١٩٥٤ ، ومنحته فرنسا وهولندا بعض الأوسمة . وكان عضوا في الأكاديمية البريطانية ، والأكاديمية الدانمركية ، والجمعية الفلسفية الأمريكية ، وكان عضوا فخريا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، وعضوا فخريا في الأكاديمية الأمريكية للقرون الوسطى وعضوا مؤسسا في مجتمعنا هذا ، وعضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا بالمجمع العلمي العراقي .

وسأقتصر على لمحات من نشاطه .

ففي هذا المجمع اشترك الفقيه في لجنة رسم الحروف ، ولجنة الأصول ، ولجنة معجم فيشر ، ولجنة الأعلام الجغرافية ، ولجنة

وقد قام في المدة التي كان يعمل فيها معه برحلتين علميتين ، إحداهما في شمال أفريقية ، والأخرى في الشرق الأوسط .

وفي سنة ١٩٢٩ عين في جامعة لندن بلقب "Reader" للتاريخ الإسلامي واللغة العربية ويعبر هذا اللقب في الجامعات الإنجليزية عما نسميه في جامعاتنا أستاذا بدون كرسي ، ولما خلا الكرسي في سنة ١٩٣٠ بوفاته أستاذه ، سير توماس آرنولد ، شغله هذا الأستاذ الذي كان بمقياس السن شابا صغيرا ، حتى لقبه المستشرق ليفي دلافيدا بالأستاذ الحدث السن "The young professor"

وكما خلف أستاذه في الكرسي الجامعي ، خلفه كذلك في الإشراف على دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٣١ ، وكان هنا كذلك أصغر المشرفين على هذه الدائرة سنا . كان أصغر من ليفي دلافيدا بتسع سنوات ، ومن فنسك بخمس عشرة سنة . وفي الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية كان أحد المشرفين الأصليين ، بعد ما تجلى من جهده في المدة التي حل فيها محل أستاذه في الطبعة الأولى .

وبقي الأستاذ جب في جامعة لندن من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٧ حين خلا كرسي اللغة العربية في جامعة أكسفورد من شغله الأستاذ مرجوليوث ، فشغله فقيدا من سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٥٥

اللهجات . وفي افتتاح دورة الانعقاد الثالثة سنة ١٩٣٦ جاء في خطابه قوله :

« قد أشار الزميل المحترم السيد محمد كرد على بك إلى أن المجمع قد تجاوز سن الرضاغة ، ويدخل الآن في سن الحضانة ، واحتج بصغر سنه على من يلح عليه بأن ينوء بأعباء فوق طاقته الحالية .

والمجمع كله يؤيد ولا شك هذا الاحتجاج ومما يزداد على ذلك أن سن الحضانة هي في الوقت نفسه سن التعليم والاستعداد لأعمال الرجولة ، وأن تجاربنا في سنتي الطفولة قد برهنت على أن نجاح المجمع في تأدية وظيفته نحو العالم العربي يتوقف على استعدادنا لساو ك طريق طويل المدى ، دارس المعالم - طريق الاكتشاف والتوسع ، وهو طريق لا يسلك إلا بشئ من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استعد له بكامل العدد ، وليس منا أحد إلا وهو يعترف بأنه تعلم في الدوريتين اللتين مضتا كثيرا . وأوضح لي بإشارة شخصية لقلت تعلم كثيرا جدا مما كان يجعله .

أما مدرستنا فليست محصورة بين هذه الجدر الأربعة ، بل تمتد إلى حدود العالم العربي وإلى ما وراءها . ويأحبذا لو أن العالمين بأنواع العاوم والفنون الذين ينظرون إلى المجمع بعين العطف والإخلاص ، أجابوا دعوته إلى الاشتراك معه في أعماله . ولن يتحقق صعوبة وظيفه المجمع في القرن بين

تيار الحديد وتراث القديم إلا من جربها . فويل للغة مصادرها ومجمعاتها ، دون الشعور الحي للناطقين بها ، وويل أيضا للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع . أمواتهم ويضربون بمجمعاتها عرض الأفق لذلك كان رجائنا إلى المخلصين المنتقدين جميعا أن لا يلزمونا التسرع في إصدار الرأي قبل أوانه .

وبهذه الروح - روح الاجتهاد في العمل ، وروح التعاون نتقدم إلى أعمال الدورة الثالثة عسى الله أن يوفقنا إلى أن نجعلها ، كما قال معالي الرئيس وباشرافه الكريم ، حافلة بالخير والبركة على اللغة .

وفي مؤتمر الدورة الثالثة عشرة سنة ١٩٤٨ ألقى الفقيد كلمة جاء فيها :

« أفتتح كلمتي معترفا بالتقصير - أوبالأحرى بما يشبه التقصير - في التخلف عن شهود المؤتمرين الماضيين . على أني لم أقطع صلتى بالمجمع : فإني لا أزال من أشد أعضائه تفاؤلا بمستقبله ، وإيماننا بمهمته .

وقد كنت خلال هذين العامين أعمل مع إخواني المستشرقين في إنجلترا . وقصة عملنا طويلة ، وهذا موقف اختصار . وربما أتيت في غير هذه المناسبة فرصة لشرح التفاصيل وحاصل الأمر أننا : أساتذة اللغات والثقافات الشرقية في إنجلترا ، كنا في هاتين السنتين متطوعين نجاهد في توسيع نطاق الدراسات الشرقية في جامعاتنا ، وقد تابعنا هذا الجهاد

في جبهتين مستقلتين ، جبهة حكومية ،
وأخرى داخلية .

فأما الجبهة الحكومية فقد ابتدأت بتأليف
لجنة رسمية مثلت فيها كثرة الوزارات
لبحث حالة الدراسات الشرقية في الجامعات
فاستمرت في البحث أكثر من سنة ، بل
نحو سنتين ، ودرست تقارير الجامعات
والمستشرقين ، وأصدرت تقريراً يسمى
تقرير سكار بارا ، دعت فيه إلى إرساد
مبالغ وافرة لتشجيع الدراسات الشرقية
في الجامعات ، وحث الطلبة المتميزين على
التخصص في هذه الدراسات .

وأما الجبهة الداخلية فقد جمعت أساتذة
اللغات الشرقية وعرضها تنظيم الدراسات
الشرقية في جامعاتنا . والاستفادة مما كسبناه
من التجارب أثناء سنى الحرب الماضية في
تعليم الضباط . وفي سنة ١٩٤٦ عقدنا مؤتمراً
عاماً في أكسفورد بمناسبة مرور مائتي سنة
على ميلاد سيروليام جونز (Sir William Jones)
من أكابر المستشرقين في القرن الثامن عشر .
وقد اشترك في هذا المؤتمر أساتذة اللغات
والثقافات الشرقية ، وبحثوا في أساليب التدريس
ووسائل التعرف إلى الثقافة العربية والهندية
وغيرها من ثقافات الشرق ، وكيفية نشرها
بين الجمهور . وقد نجح المؤتمر نجاحاً أكاد
أقول غريباً . واتجه العزم إلى انشاء جمعية
خاصة للمهتمين بهذه الدراسات ، لتواصل
عقد المؤتمرات والأبحاث لتنظيم أعمالنا ونشر

ثقافتنا ، إذا سمحتم لي أن أقول ثقافتنا . . .
وقد ألفت هذه الجمعية في مؤتمر عام انعقد
في كبردج في السنة الماضية ، وشرعت
الجمعية فعلاً في القيام ببعض الأعمال .

وفي أثناء ذلك فتحت جبهة ثالثة ، هي
جبهة ما وراء البحار ، فإن هذه الحركة في
انجلترا تردد صداها في بعض الدوائر العلمية
الأمريكية ، فدعت مؤسسة روكفيلر وفداً
منا للاتصال بالمستشرقين في جامعات أمريكا
والاشتراك معهم في بحث الأساليب الكفيلة
بتشجيع الدراسات الشرقية في الجامعات
الأمريكية ، وتنظيم وسائل التعاون في
هذه السبيل ، بين الأساتذة الانجليز والأمريكيين
وقد تم الاتصال المنشود ، ورسمت بعض
الخطوط العملية للقيام بغرضين : تشجيع
الدراسات الثقافية العربية في الجامعات
الأمريكية ، والتعاون على بث التعرف إلى
الثقافة الإسلامية والعربية في بلادنا .

وتلك هي الجهات الثلاث التي كانت تعمل
على تنظيم الجهود في السنتين الماضيتين وعسى
أن يراها الخجمع جديرة باهتمامه .

وقد أشرت فيما سبق إلى أن الفقيه توج
أعماله العلمية بما قام به في جامعة هارفارد ،
ومركز دراسات الشرق الأوسط بها .

ومما يجدر بي أن أشير إليه ، بصدد
لإشراف الفقيه على دائرة المعارف الإسلامية ،
أنه إلى جانب ذلك الجهد العلمي الشاق ،
قد ساهم بنحو ثلاثين مقالة في تلك الموسوعة

تنوعا كبيرا في موضوعاتها ، وأساليبها ، وأغراضها ، بحيث يصعب أن نجد عبارة تشملها جميعا . ويترجم الكتاب الأوروبيون عادة كلمة أدب ، بهذا المعنى ، بالعبارة (Belle — lettres) أو الأدب الجميل ، أو الكتابة الرفيعة ، ودى عبارة تكاد تكون في صعوبة النطق العربى تعديدا .

ولأيسر لنا أن نعرف الأدب تعريفا سائيا . فنحدد ما لا يدخل تحته بأن نميزه من الكتابات التي في فقه اللغة ، والفلسفة ، والتاريخ والجغرافية ، وما إلى ذلك على أننا سنرى أن الحد الفاصل بينه وبينها ليس واضحا بحال من الأحوال . ولعل أقرب تعريف يقضى لنا وضعه هو أن نقول إن كتابا في الأدب هو كتاب يكتبه مؤلفه وهو يشعر بغرض أدبي أو إنشائي ، سواء أكان يعالج موضوعا في فقه اللغة أو التاريخ أو الأخلاق أو التسلية المحضة ، فالكتاب في فقه اللغة أو التاريخ مثلا يرمى في كتابته إلى هدف واحد ، هو تزويد القارئ بمعلومات أو تنظيم بعض الحقائق وتبويبها لتزود القارئ بمعلومات على حين أن كاتب الأدب يدخل في موضوعه أيا كان ذلك الموضوع ، عنصر الخيال أو الابتكار بما يضيف عليه ثوب الجمال أو الفن ، فيجعله سائغا شائقا للقراء الذي يشاكلونه في ميولهم وأذواقهم العقلية . ويحدث هذا طبعا بدرجات مختلفة في مستوياتها من حاسة الجمال المرفهة المثقفة التي تتميز بها الدوائر الأدبية الواسعة الاطلاع ، إلى الفجاجة والفظاظة التي تتمثل في دهماء الشوارع .

وكان من الطبيعي أن تكون مقالاته عن تاريخ بلاد وشخصيات عربية ، وموضوعات إسلامية . فمن ذلك مقالاته عن عدن ، والبحرين ، ومصر ، وحضرموت ، واليمن ، وعبد العزيز بن سعود ، ومحمد علي ، وسعد زغلول ، وعن اللغة العربية ، والخلافة والدروز .

كذلك أود الإشارة إلى كتاباته عن أعمال بعض الزملاء الجامعيين . فقد كتب عن قاموس شرف ، وعن إحياء النحو للمرحوم إبراهيم مصطفى ، وعن قرية ظالمه الدكتور محمد كامل حسين .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان من حظي أن أترجم لسير هاميلتون مقالته عن الأدب العربى ، نشرت في مجلة « الأدب والفن » الأولى في العدد الثانى من السنة الأولى سنة ١٩٤٣ والثانية في العدد الأول من السنة الثالثة سنة ١٩٤٥ . وأعيد نشرهما في كتابه « دراسات في حضارة الاسلام » سنة ١٩٦٢

“Studies on the civilization of Islam”

ومما جاء في المقالة الثانية بعنوان « نشأة الإنشاء الأدبي » محاولة الكاتب في تعريف الأدب ، لاذيقول :

« الأدب ، كما هو معروف لكل إنسان كلمة اصطلاحية تدل على إنتاج إنشائي من طراز خاص باللغة العربية . غير أن الكتابات التي تدرج تحت هذه الكلمة تنوع

أوجز أعماله وأصغرها حجما ، هو كتابه
« الأدب العربي : مقدمة
"Arabic Literature : On Introduction"

كما يدل على ذلك هذا العدد الكبير من
البحوث التي كتبها ، والتي تميزت إلى جانب
عمقها ، بتنوعها وتعددتها ، فكانت بمثابة
روضة يانعة مترامية الأطراف متنوعة الثمار
وكان بين أشجارها شجرة صغيرة جميلة
هي شجرة « الأدب العربي » .

باسم هذا المجمع الموقر ، الذي شرفني
بالتحدث باسمه في تأبين فقيدنا الكريم ،
أحيي هذا الإنتاج العلمي العظيم في ميدان الثقافة
العربية الإسلامية ، وأحيي صاحبه في منواه
الأخير .

ولإذا كان هناك مؤسسة قديمة باسم
مؤسسة جب : The Gibb Memorial
فإن مؤسسة معنوية جديدة لذكرى هاميلتون
جب قد أقامها لنفسه فقيدنا الكريم .

فسنجد عناصر من جميع هذه المستويات
ممثلة في الانشاء الأدبي وأنه من أجل ذلك
كانت تلك الكتابة الأدبية إذا فهمت فهما
صحيحا ، هي المصدر الذي نجد فيه أصدق
صورة للمجتمع الاسلامي في القرنين التاسع
والعاشر ، ذلك المجتمع الذي كان مدهشا
في حيويته ، وبخه ، وقوته ، وتشعب
نواحيه .

وبعد : ألم أقل من قبل أن اهتمام هذا الأستاذ
كان يدور في فلك التاريخ السياسي والاجتماعي
للمجتمع الاسلامي .

فها هوذا يعلن أنه يستهدف من دراسته
للأدب العربي ، تحليل صور الحياة في
المجتمع الاسلامي .

لقد عاش هذا المستشرق العظيم دارسا
ومعلما في هذا الاطار الشامل للدراسات
الاسلامية . وما أبعدني عن انتقاص قدره
في يوم تكريم ذكره ، إذا لاحظت أن





القرار الجمهورى بتجديد انتخاب

الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع :

صدر قرار جمهورى بتجديد انتخاب الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى ، تبدأ من ١٢/٧/ ١٩٧١ ، وفيما يلى نص القرار :

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ٣١١٠ لسنة ١٩٧١

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء مجمع اللغة العربية ؛

وعلى قرار مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة فى ١٥ من نوفمبر ١٩٧١ بانتخاب الدكتور طه حسين بالاجماع رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات ، تبدأ من ٧ من ديسمبر سنة ١٩٧١ ؛

قرر :

(المادة الاولى)

اعتماد انتخاب السيد الدكتور طه حسين رئيسا لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات تبدأ من ٧ ديسمبر سنة ١٩٧١

(المادة الثانية)

على نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٩١ هـ
(٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧١ م) .

(انور السادات)

أعضاء جدد :

- انتخب عضوا بالمجمع كل من السيدين :
 • الامام الاكبر الدكتور الشيخ محمد الفحام شيخ الجامع الازهر ،
 في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد توفيق دياب .
- والأستاذ علي السباعي - الرئيس السابق لقسم النحو بكلية
 دار العلوم - في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ أحمد حسن
 الزبات .

وذلك في الجلسة التي عقدها مجلس المجمع في يوم الاثنين
 ١٩٧١/١٢/١٣

- كما انتخب عضوا بالمجمع الدكتور ناصر الدين الأسد - المدير العام
 المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول
 العربية - في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور قدرى حافظ
 طوقان ، عضو المجمع من الأردن .

وذلك في الجلسة الختامية التي عقدها مؤتمر المجمع في ١٩٧٢/٢/٢١

فقيدا المجمع :

قبض الله تعالى الى رحمته روح المغفور لهما : الدكتور محمد
 عوض محمد عضو المجمع - في ١٩٧٢/١/١٠ - والأستاذ سامي
 الكيالي عضو المجمع المراسل من سوريا - في فبراير سنة ١٩٧٢ -
 تفمدهما الله برضوانه ، والهمنا فيهما الصبر الجميل !!

خبراء جدد :

- وافق مؤتمر المجمع في جلسته الختامية المنعقدة في ١٩٧٢/٢/٢١
 على اختيار بعض الأعضاء المراسلين ، وهم السادة :
- الدكتور زكي المحاسني (من سوريا) .
- الأستاذ أحمد مشاري العلواني (من الكويت) .
- الدكتور محسن مهدي (من العراق) .
- الأستاذ علي نصوح الطاهر (من الأردن) .
- الأستاذ أبو القاسم محمد كرو (من تونس) .

● ● ● صلاات المجمع الثقافية :

ورد المجمع طائفة من المصطلحات الادارية ، بعث بها الاستاذ ابراهيم البرلسى - مستشار معهد الادارة العامة والخبير بلجنة القانون بالمجمع - وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٢/٦/١٩٧٢ احوالها على لجنة القانون ، لدراستها وابداء الراى فيها .

● ● ● بعثت جامعة هارفارد الامريكية الى المجمع بكتاب يعرض محاولة لتدريس اللغة العربية للطلبة الامريكيين ، فأحاله مجلس المجمع على الدكتور مهدى علام - عضو المجمع - لمراجعته وابداء الراى فيه . وقد قام الدكتور مهدى علام بدراسة هذا الكتاب وتقويمه ، وأبدى ملاحظات بعث بها المجمع الى جامعة هارفارد .

● ● ● عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية لجنة فنية لدراسة أحرف الطباعة العربية ودعمت الى الاشتراك فيها مجمع اللغة العربية مع ممثلى الهيئات الثقافية المختلفة فى البلاد العربية ، وقد قرر المجمع أن يمثله فى اللجنة الاستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع ، كما قرر ندب الاستاذ محمد شوقى أمين الخبير بالمجمع لهذه المهمة ايضا . ولما انعقدت اللجنة اختارت الاستاذ محمد شوقى أمين مقرا عاما لها . فقدم تقريرا عن أعمالها عرض على مجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ١٢/١/١٩٧٢ فأحيل التقرير الى لجنة تيسير الكتابة بالمجمع ، وهذا نصه :

مجمع اللغة العربية ١٩٧١

تقرير

فى شأن ما قامت به اللجنة الفنية لدراسة أحرف الطباعة العربية وهى اللجنة التى دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية

مقدم من الاستاذ محمد شوقى أمين
ممثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمقرر العام للجنة

١ - دعى المجمع الى تمثيله فى اللجنة الفنية لدراسة أحرف الطباعة العربية ، وهى اللجنة التى قامت بتأليفها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، فقرر المجمع أن يمثله فيها الاستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع . وكان المجمع من قبل قد تفضل فندبنى أن أكون بين ممثلى الهيئات المدعوة الى هذه اللجنة ، وفى الموعد المحدد لأول اجتماع لها كلبنى الاستاذ زكى المهندس أن أبلغ اللجنة اعتذاره من التخلف .

٢ - وقد تفضلت المنظمة فاخترتني في الهيئة التحضيرية لاعداد الموضوعات التي تدرسها اللجنة ، وتحديد جدول أعمالها ، ثم كلفتني الهيئة أن اعد الثلاثة البحوث الآتية :

- (أ) مراحل البحث في تيسير أحرف الطباعة .
 - (ب) نظرة مقارنة وموازنة بين طريقة المجمع وطريقة الاستاذ احمد الأخضر في اختصار صور الحروف الطباعية .
 - (ج) كيف تعالج قضية الشكل في الطباعة ؟
- وكذلك كلفتني اللجنة - من بعد - اعداد بحث رابع في الدلالة على الأصوات الأجنبية بعلامات في الكتابة العربية .

٣ - وقد عقدت اللجنة تسع جلسات بدأت يوم ١٩٧١/١١/٢٧ وانتهت يوم ١٩٧١/١٢/٢ وكانت الجلسات صباحية ومسائية في بعض الأيام ، وشهدتها ممثلون للمملكة الأردنية الهاشمية ، وجمهورية السودان الديمقراطية ، والجمهورية العراقية ، والجمهورية اللبنانية ، وجمهورية مصر العربية ببيئاتها التالية : مجمع اللغة العربية ، ومؤسسة الأهرام ، والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ودار الكتب والوثائق القومية ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

وكذلك ممثل لمعهد البحوث والدراسات العربية ، ووفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الى جانب بعض الباحثين ، وبينهم أحد المشتغلين بموضوع أحرف الطباعة العربية من جامعة أمستردام في هولنده .

٤ - وقد تفضلت اللجنة في جلسة افتتاحها ، فاخترتني مقررا عاما لها ، فتوليت تحرير جلساتها ، وتسجيل أعمالها ، وكنت بين أعضائها الذين تولوا صياغة قراراتها وتوصياتها .

٥ - وقد عنيت بأن اعرض على اللجنة مع البحوث الأربعة التي اعدتها لها وتدارسها أعضاؤها ، ما قام به « مجمع اللغة العربية » في مختلف الموضوعات المعروضة للبحث .

وكان للأستاذ الدكتور محمد مهدي علام عضو المجمع ، وممثل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في اللجنة - اثر عميق فيما دار من مناقشات ، وقيما انتهت اليه اللجنة من قرارات وتوصيات .

٦ - ويسرني أن انوه بما لقيت أعمال المجمع في اللجنة من تقدير وتأييد ، فقد كان فيما ووفق عليه بالاجماع مما يتصل بالمجمع أصالة في القرارات والتوصيات ما يأتي :

أولا - اعتبار النموذج الذي قدمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مطبوعا بعنوان « تيسير الكتابة العربية » أقرب النماذج التي عرضت تحقيقا لأكثر السمات التي أقرتها اللجنة لتتصف بها الحروف العربية الطباعية .

ولكن اغلب الأعضاء رأوا أن الأفضل استعمال حرفي العين المهملة والعين المعجمة في وسط الكلمة وآخرها بصورتيهما المفتحتين ، لا بصورتيهما المفتوحتين اللتين تجيئان في أول الكلمة .

ثانيا - قررت اللجنة استبعاد رقم ٢ ذى القنطرة وكتابته مستقيم الرأس أفقيا ، وذلك مما قرره المجمع ، ومما اتبع في طريقته لاختصار صور الحروف الطباعية .

ثالثا - الموافقة على تبني القواعد التي انتهى اليها المجمع في وضع الشكل في الكتب المدرسية على النحو المبين في تلك القواعد .

رابعا - توصي اللجنة المجمع اللغوية واتحادها أن تولى عنايتها للاتفاق على رسوم كتابية وطباعية للأصوات الأجنبية التي لا رموز لها في الهجاء العربى ، وأن يواصل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جهوده في هذا النضال .

٧ - ومع هذا التقرير نعوض القرارات والتوصيات كاملة .

٨ - وأضيف الى ذلك أن أحد ممثلى الجمهورية اللبنانية وهو الأستاذ جورج اديب صاحب مسبك الحروف الحديث قدم لى رسالة مكتوبة الى رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة والى أعضائه يقرر فيها انه في حالة اقرار اللجنة لسمات حرف طباعى موحد واعتماد المجمع اياه ، فانه يسره القيام بحفريات هذا الحرف دون مقابل .

٩ - كذلك أضيف أنه في اثناء مناقشات اللجنة عرض الأستاذ عبد الفتاح الكليسلى ممثل الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية أن الهيئة محتفظة بقاعدة المجمع في اختصار صور الحروف وأن الهيئة مستعدة لسبك حروف بها لطبع ما ينتجه من أعماله ، على أن تستخدمها الهيئة في طبع التقارير والنشرات التي تطلب منها الوزارات والهيئات طبعها ، وفي تزويد المطابع الفرعية بها .

١٠ - وفيما اقترحه أحد ممثلى المنظمة أن ينظر في طبع أعمال اللجنة وبحوثها وفق الطريقة الجمعية لاختصار صور الحروف ، وسيضع اقتراحه بين يدى المنظمة .

وأخيرا أشكر للمجمع أنه اتاح لى شرف تمثيله في اللجنة كما اتاح لى شرف الاسهام في أعمالها على ضوء اسهامى في جهود المجمع في تيسير الكتابة العربية اثناء عملى فيه .

محمد شوقي امين
الخبر بالمجمع

مؤتمر المجمع

انعقد مؤتمر المجمع في الدورة الثامنة والثلاثين لمدة خمسة عشر يوما ، بدأت من ١٩٧٢/٢/٧ ، وحضره عدد كبير من أعضاء المجمع في البلاد العربية الشقيقة ، وعرضت فيه أعمال لجان المجمع ، وألقيت عدة بحوث ، وجرى حول هذا وذاك مناقشات وتعقيبات .

وسيصدر المجمع محاضر جلسات المؤتمر وبحوثه في مجموعة خاصة به .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٢/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٢٠٠٢-١٩٧٢س١٠٨٢

